

تَسْلِيح

فَنُوحُ الْخَزَنَةِ وَالْخَابُورِ وَدِيَارِ بَكْرِ وَلِعِرَاقِ

تَأْلِيفُ

إِلَهِامِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ

(١٣٠ - ٥٢٧ هـ)

تَحْقِيقُ

عَبْدُ الْعَزِيزِ فَيَاضُ مَرْفُوسِي

تَبَاح

فَنُوحُ الْخَزَنَةِ وَالْخَابُورِ وَدِيَارِ الْبِكْرِ وَالْعِرَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

حقوق الطبع محفوظة



دَارُ الْبَشَائِرِ

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - هاتف: ٤٣١٦٦٦٨ - ٤٣١٦٦٦٩ - ص.ب. ٤٩٤٦٠

الإهداء

أهدي هذا الكتاب إلى أولادي ...
وإلى الأجيال القادمة من أبناء أمتنا العربية العظيمة
ليفخروا بأجدادهم العظام الذين قاموا بالفتوحات في
بلاد الشام والجزيرة والعراق .

والله الموفق

المحقق

عبد العزيز حروفوش

المقدمة

يكاد يجمع أغلب المؤرخين على أن الجزيرة فتحت سنة ١٧هـ ، في خلافة عمر بن الخطاب ، ولكن ابن اسحق جعل الفتح سنة ١٩هـ^(١) ، وهذا التاريخ غير دقيق لأن أبا عبيدة بن الجراح أمير الجيوش ببلاد الشام تلقى أوامر الخليفة بفتح الجزيرة سنة ١٧هـ^(٢) ، وتوفي بطاعون عمواس سنة ١٨هـ مع عدد كبير من الصحابة .

ومما يؤكد ذلك أن الروم حشدوا جيوشهم لغزو حمص مركز قيادة العرب المسلمين سنة ١٧هـ واتفقوا مع سكان الجزيرة على نجدتهم ، وتقديم العون لهم ، واتجهت الحشود نحو حمص ، فاضطر أبو عبيدة بن الجراح لضم مسالحه وجيوشه المتفرقة إلى حمص ، وجاءه خالد بن الوليد بجيشه من قنسرين لمواجهة الروم . فكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب بالموقف ، وطلب منه النجدة لأنه أحيط به في حمص^(٣) .

فأمر عمر ، عامل الكوفة سعد بن أبي وقاص ، أن يبعث جيشاً إلى حمص لنجدة المسلمين في الشام بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي ، فسار القعقاع في أربعة آلاف فارس إلى حمص ، وخرج عمر بن الخطاب من المدينة إلى الشام يريد الجابية منجداً للمسلمين^(٤) . وأمر الخليفة سعداً أن يُسرَّح عياض بن غنم الفهري بجيش إلى الجزيرة لفتحها . لأنه علم بنجدة أهل الجزيرة للروم في

(١)و(٢) انظر تاريخ الطبري ٥٣/٤ ، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ الحلبي ٩٧/١ .

(٣)و(٤) انظر تاريخ الطبري ٥٣/٤ ، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ الحلبي ٩٧/١ ، والمتنظم ٢٢٣/٤ .

حمص ؛ فخرج عياض بجيشه في إثر القعقاع ابن عمرو فسلخوا طريق الجزيرة على الفراض^(١) .

فسلك سهيل بن عدي بجنده طريق الفراض حتى انتهى إلى الرقة . فلما علم أهل الجزيرة المنجدين للروم في حمص ، بوصول جيش المسلمين إلى بلادهم ، غادروا حمص إلى الجزيرة ، وطلبوا الصلح من عياض بن غنم وكان في وسط الجزيرة ، فقبل منهم الصلح وعقد لهم سهيل بن عدي عن أمر عياض لأنه أمير القتال^(٢) .

وخرج عبد الله بن عتبّان إلى نصيبين بالمسلمين ، فلتقاه أهلها بالصلح على شروط صلح الرقة (الجزيرة) . فقبل منهم بعد موافقة عياض على الصلح^(٣) .

وتوجه الوليد بن عقبة بأمر الخليفة عمر إلى عرب الجزيرة ، كقبائل تغلب وإياد بن نزار وتنوخ . ليستنفرهم إلى جانب إخوانهم العرب المسلمين ضد الروم . فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلا بطوناً من إياد بن نزار ، ارتحلوا إلى أرض الروم فكتب الوليد بن عقبة بشأنهم إلى عمر بن الخطاب^(٤) .

فكتب عمر بن الخطاب إلى ملك الروم كتاباً جاء فيه : « إنه بلغني أن حياً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك ، فوالله لتخرجنه ، أو لننبدن إلى النصارى ثم لنخرجنهم إليك »^(٥) فأخرجهم ملك الروم ، وأعادهم إلى الجزيرة وعليهم أبو عدي بن زياد ، ولم يقبل الوليد بن عقبة من تغلب إلا الإسلام ، فأمره عمر بن الخطاب أن يقبل منهم الجزية ويعاملهم كما عامل تنوخ^(٦) . وتمكن أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وجيش المسلمين من

(١) انظر تاريخ الطبري ٥٤/٤ ، وإعلام النبلاء ٩٧/١ ، والمنتظم ٢٢٣/٤ .

(٢) و(٣) و(٤) انظر تاريخ الطبري ٥٤/٤ ، وإعلام النبلاء ٩٨/١ ، والمنتظم ٢٢٣/٤ .

(٥) و(٦) تاريخ الطبري ٥٥/٤ .

هزيمة الروم . قبل وصول القعقاع بن عمرو مع أهل الكوفة إلى حمص بثلاثة أيام ، عندها أمر عمر بن الخطاب بإشراكهم في الغنائم ^(١) .

ثم جمع عياض بن غنم كتيبتي سهيل بن عدي وعبد الله بن عتبان إليه ، وأمرهما بالتوجه إلى الرها وحران لفتحهما فأجابهما أهلهما إلى الجزية ، فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمراً وأيسره فتحاً ^(٢) فقال عياض شعراً ^(٣) : [البحر الكامل] .

مَنْ مُبْلَغُ الْأَقْوَامِ أَنْ جُمُوعَنَا حَوَتْ الْجَزِيرَةَ يَوْمَ ذَاتِ زَحَامٍ
جَمَعُوا الْجَزِيرَةَ وَالْغِيَاثَ فَتَقَسُّوا عَمَّنْ بِحَمَصَ غِيَابَةَ الْقُدَامِ

وكتب عمر بن الخطاب من الجابية إلى عياض بن غنم ، بأنه بعث إليه مدداً بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري ، وأمره أن يصرف عبد الله بن عتبان وسهيل بن عدي ومن معهما من جند الكوفة إلى بلادهم ، وأن يستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة ، والوليد بن عقبة على عرب الجزيرة ^(٤) .

وذكر ابن الأثير ، أن أبا عبيدة بن الجراح استخلف قبل وفاته على الجزيرة وحمص وقنسرين عياض بن غنم ، فأقره على ذلك الخليفة سنة ١٨ هـ في منتصف شهر شعبان وكتب له بولايته فأتى فتح الجزيرة كلها ^(٥) .

وكان عمر بن الخطاب ، قد عزل خالد بن الوليد عن عمله في قنسرين وكتب بذلك إلى أبي عبيدة في حمص ، وأمره أن يقيم عليه الحد ويحاسبه بشأن مالٍ أعطاه للأشعث بن قيس الشاعر . ويروى أن خالداً وعياضاً أدريا في بلاد الروم وأصابا أموالاً عظيمة ، ولما رجع خالد إلى قنسرين مدحه الأشعث بن قيس فأعطاه عشرة آلاف ؛ فوصل الخبر إلى عمر فعزله ^(٦) . وقدم خالد إلى المدينة

(١) أعلام النبلاء ٩٨/١ ، والمنتظم ٢٢٣/٤ .

(٢) و(٣) تاريخ الطبري ٥٤/٤ ، والمنتظم ٢٢٣/٤ .

(٤) و(٥) تاريخ الطبري ٥٥/٤ ، أعلام النبلاء ٩٩/١ .

(٦) المنتظم ٢٣٠/٤ ، أعلام النبلاء ١٠٠/١ .

فحاسبه عمر . وكتب إلى الأمصار : إني لم أعزل خالداً عن سخطه ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به ، فخفت أن يוכלوا إليه ، ويبتلوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع^(١) .

ونقل ابن الفقيه الهمداني عن الزهري قوله : لم يبق بالجزيرة موضع قدم ، إلا فتح على عهد عمر بن الخطاب ، على يدي عياض بن غنم ففتح مدن : الرقة ، وحران ونصيبين وقرقيسياء وآمد وقردي وباز بدى وأرزن وسنجان^(٢) .

وأجمع المؤرخون ، أن جيش عياض فتح بالس والرقه وجميلين وماردين ورأس العين بعد معركة مرج رعبان ، ومقتل الملك شهرياض ، على يد النعمان بن المنذر الغساني^(٣) .

وكان عياض بن غنم قائداً عاماً لفتوح الجزيرة ، وأن جيشه افتتح ما بيد الروم بالجزيرة صلحاً وعنوة^(٤) ؛ وذكر البلاذري أن عياض بن غنم فتح ميافا رقين وكفر توثا ونصيبين عنوة . في حين فتح مدينة آمد صلحاً ، وكذلك طور عبيدين وماردين ودارا على مثل صلح الرها^(٥) ، وغدر أهل سمياط وانتقضوا فحاربهم عياض وحصرهم وأعاد فتح مدينتهم^(٦) .

ولما كان فتح أرض الجزيرة ضرورة استراتيجية علينا من أجل حماية الفتوحات الهامة والواسعة التي أنجزتها الجيوش الإسلامية في بلاد الشام . أقاموا بها ، وطبعوها بطابعهم ، وقسموها وسثموا أقسامها بأسماء قبائلهم التي

(١) الطبري ٦٨/٤ ، إعلام النبلاء ١٠١/١ .

(٢) مختصر كتاب البلدان ص ١٣٢ .

(٣) الكامل لابن الأثير ٥٣٤/٥ ، تاريخ مختصر الدول ص ١٠١ ، وابن خلدون ٩٥٥/٤/٢ .

(٤) الخراج لأبي يوسف ص ٣٩ .

(٥) فتوح البلدان للبلاذري ص ١٨٠ ، ومعجم البلدان ٣٩/٥ .

(٦) إعلام النبلاء ٩٩/١ .

ما زالت حتى أيامنا^(١) هذه ، وصارت مسرحاً لمعارك المسلمين ضد الروم .
ونهاية فتوحاتهم وانتصاراتهم في بلاد الشام .

وقال ابن حوقل : الجزيرة إقليم جليل بنفسه شريف بسكانه ، كانت معدن
الأبطال ، وعنصر الرجال وينبوع الخيل^(٢) .

وتشمل الجزيرة ، الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات ، وتبدأ من
تكريت على دجلة ، وتمتد إلى الحديثة وعانة على الفرات . ثم تتجه شمالاً إلى
منابع النهرين دجلة والفرات ، اللذين يقتربان من بعضهما عند المنابع ، وتقوم
على ضفتي النهرين مدن وقرى هامة تنسب إلى إقليم الجزيرة وهي خارجة عنها
ونائية منها^(٣) .

وتنقسم الجزيرة إلى مناطق ثلاث تفصل بينها ممرات مائية ، لاعتبارات
سكانية وسياسية وهي :

أ - ديار ربیعة ، وتضم كوراً ومدناً هي : بلد ، نصيبين ، باعربايا ، رأس
عين ، دارا ، سنجار ، قردى ، بازبدى ، كفر توثا والخابور وماردین^(٤) .

وتقع ديار ربیعة شرقي ديار مضر وتتألف من الأراضي الواقعة شرقي نهر
الخابور المنحدر من رأس العين ، والأراضي المحصورة بينه وبين نهر نصيبين
المتجه إلى دجلة^(٥) .

وقرقيسياء ، مدينة هامة على الخابور في ديار ربیعة^(٦) .

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٩٥ ، معجم البلدان ٢/ ٤٩٢ .

(٢) صورة الأرض لابن حوقل ص ١٨٩ .

(٣) صورة الأرض ص ١٩٠ .

(٤) الخراج ، لقدامة بن جعفر ص ١٤٥ .

(٥) العراق في العصر البويهي ، محمد حسين الزبيدي ص ٧١ ، ومعجم ما استعجم
٥٦٨/٢ .

(٦) صورة الأرض لابن حوقل ص ٢٠٥ .

ب - ديار مضر : وتقع في وسط اقليم الجزيرة ، وتشمل السهول القريبة من شرقي الفرات وقصبتها مدينة الرقة ، وتليها حران في الكبر ، وكانت بلد الصابئة ؛ ومدينة الرها في شمال هذه البقعة ، وتشتهر بكثرة ينابيعها ، ويتبع لها مدن سميساط وجسر منبج وسروج^(١) .

ج - ديار بكر تقع أراضيها غربي نهر دجلة ، إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين ، ثم إلى حصن كيفا وآمد وميافارقين ، وقد يتجاوز دجلة إلى مدن اسعد وحيزان وحنين ، وما تخلل ذلك من البلاد ولا يجاوز السهل^(٢) .

ويتبع لديار بكر ، ميافارقين وآمد ونصيبين واسعد وحيزان وديس وجزيرة ابن عمر^(٣) .

وبعد أن قدمنا فكرة عن الجزيرة من الناحيتين الجغرافية والتاريخية ، فإنه ينبغي أن نلقي الضوء على كتابنا موضوع التحقيق لمؤلفه الواقدي . وفيه يتناول فتوحات المسلمين لبلاد الجزيرة كلها وبعض مدن ارمينية .

هذا الكتاب : « تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق » .

تبع أهمية هذا الكتاب من كونه الكتاب الوحيد المستقل في تاريخ فتوح الجزيرة ، حيث تناول أخبارها ، منذ أن تلقى عياض بن غنم الفهري أوامر الخليفة عمر سنة ١٧ هـ بفتح الجزيرة ، وحتى الانتهاء من الفتح وعودة عياض إلى حمص ووفاته .

في حين أن فتح الجزيرة ورد في المصادر التاريخية الأخرى ، مختصراً للغاية مع اختلاف في الروايات عن تاريخ فتحها فابن اسحق جعله سنة ١٩ هـ وغيره

(١) الأعلام الخطيرة لابن شداد ٥/١/٣ ، ونخبة الدهر لشيخ الربوة ص ١٩١ ، وصورة الأرض لابن حوقل ص ٢٠٣ .

(٢) معجم البلدان ، ٤٩٤/٢ .

(٣) الأعلام الخطيرة ٦/١/٣ وتاريخ ابن خلدون تاريخ ١١٥٤/٥/٥ .

جعله سنة ١٨هـ ، ولكن الواقدي ، بما عرف عنه من الدقة في ترتيب رواياته للأحداث ، وإيراده أسماء الرجال الذين قاموا بالفتوح ، وأسماء الذين استشهدوا منهم ، وذكره لرجال السند ، واهتمامه بالتفاصيل الجغرافية لأماكن البلاد المفتوحة ، قد أوصلنا بشكل منطقي إلى أن فتح الجزيرة حدث سنة ١٧هـ^(١) .

وقد أورد في هذا الكتاب أسماء أماكن ، وأديرة وبيع ، وحصون لم ترد عند غيره في كتب التواريخ والمعاجم الجغرافية ، كما أن رجاله من المقاتلين في الفتوح . ولم أجد ترجمة لكثير منهم في المصادر الأخرى ، وقد انفرد بذكر معارك خاضها المسلمون في الجزيرة وأرمينية ، لا نجدها عند غيره مثل معركة مرج رعبان الفاصلة ، التي أدت إلى انهيار مقاومة الروم بشكل نهائي ، وهزيمتهم ومقتل شهرباض ملك رأس عين ، ودخول المسلمين إليها ، وكذلك معركة مرج وسطان قرب خلاط في أرمينية ، وأورد قصصاً وحيلاً وأساليب عسكرية لجأ إليها القادة المسلمين في فتح الحصون ، وأعطى ملك حلب السابق الذي أسلم وشارك في الفتوح بالجزيرة دوراً هاماً (واسمه عبد الله يوقنا) .

ولكن نقلة الأخبار عن الواقدي ، أوردوا أخباراً خاطئة ولكنها محدودة وقليلة مثل : مشاركة يزيد بن أبي سفيان بفتح الجزيرة ، وهذا لا يستقيم أبداً مع سير الأحداث . حيث كان يزيد أميراً على دمشق ومات سنة ١٨هـ . وأشركوا خالد بن الوليد في فتوح الجزيرة مع عياض بن غنم وهذه مسألة فيها نظر ، لأن خالداً كان أميراً على قنسرين بعد فتح حلب وتولى حرب الثغور ، وأدرب سنة ١٧هـ مع عياض ابن غنم وأصابا غنائم عظيمة . وكان قائد المسلمين أبو عبيدة ابن الجراح في حمص يصدر أوامره لجميع قادته . فليس مستبعداً أن يكون خالد قد شارك في فتح الجزيرة في سنة ١٧هـ وقبل أن يعزله عمر بن الخطاب

(١) تاريخ الطبري ٥٣/٤ .

عن عمله ، ويستدعيه إلى المدينة ليحاسبه ؛ وربما عاد خالد إلى الشام من المدينة ، ليكون بإمرة عياض بن غنم خليفة أبي عبيدة بن الجراح على حمص وقنسرين والجزيرة . خاصة وأن خالد مات بحمص بعد نهاية فتح الجزيرة بقليل^(١) .

ويشتمل الكتاب على ستة فصول دون مقدمة وهي :

- ١ - فتح أرض الخابور ومدنه وقراه .
- ٢ - فتح ديار ربيعة .
- ٣ - فتح ديار مضر .
- ٤ - فتح بلاد أرمينية .
- ٥ - فتح حصون جزيرة ابن عمر وجبل مارون وشرق دجلة .
- ٦ - فتح الموصل والاسماعيليات وبنوى وأعمالها .

النسخة المعتمدة :

وهي من مصوّرات معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، رقمها ٢٨٩٦ مقاسها ١٥ × ١٢ سم وعدد صفحاتها ٢٣٥ ورقة ، وفي كل صفحة ١٣ سطراً .

وهي مصورة عن مخطوطة سراي أحمد الثالث رقم ٢٨٩٠/٢ لسنة ٨٩٩هـ وليس فيها ما يدل على تاريخ كتابتها واسم ناسخها ، وهي نسخة تامة . ذكرها الأستاذ فؤاد سنركين في كتابه تاريخ التراث العربي / المجلد الأول / الجزء

(١) ذكر البعقوبي في تاريخه أن عمر بن الخطاب ولي خالد بن الوليد على الرها وحرّان والرقّة وتل موزن وأمّد فأقام بها سنة ثم استعفى فأعفاه وقدم المدينة فأقام بها أياماً وأضاف أيضاً رواية الواقدي عن وفاة خالد بحمص وأن خالد أوصى إلى عمر بن الخطاب فلما علم عمر بوفاة بكاه ، وبكته حفصة وآل عمر . فقال عمر : حُقَّ لهنَّ أن يبكين على أبي سليمان وأظهر عليه جزءاً . / انظر تاريخ البعقوبي ١/١٥٧ .

الثاني من ص ١٠٠ - ١٠٦ عند ذكره لآثار الواقدي المخطوطة .

وكتبت المخطوطة بخط فارسي جميل . والعنوان مكتوب بخط جليل .
وصفحة العنوان مزخرفة بزخارف إسلامية ، وفي وسط الصفحة وردة مثمرة كتب
داخلها « تأليف العلامة قاضي القضاة محمد بن عمر الواقدي رحمه الله » .
وفي أعلى الصفحة شريط مستطيل كتب عليه بخط جميل « كتاب فتوح الجزيرة
والخابور وديار بكر والعراق » .

وتبدأ الصفحة الأولى من الكتاب بالبسملة ، والكتاب بدون مقدمة ، ويظهر
خاتم على صفحة العنوان ، وعلى الصفحة الأولى فوق البسملة ، وداخله كتابة لم
أستطع قراءتها . والمخطوطة كتبت بخط واضح ولم نجد في متنها أو نهايتها
ما يشير إلى اسم ناسخها . أو الأصل المنقول عنه ، وليس في خاتمة الكتاب
ما يشير إلى ذلك ، إلا ما أكده المؤلف من أن رواياته وأخباره عن فتح الجزيرة
كانت على التمام والكمال بلا زيادة ولا نقصان . ولا تخلو المخطوطة من
التصحيف والأخطاء ولكن ليس فيها سقط .

ولم أعلم بوجود نسخة أخرى من الكتاب إلا ما ورد في فهرس معهد
المخطوطات العربية رقم ٣٦١/٢ و ٣٥٨/٢ ، وما أورده الأستاذ فؤاد سنركين
في كتابه تاريخ التراث العربي .

عملي ومنهج التحقيق :

قمت بنسخ المخطوط ، وصححت وضبطت نصوصه ، وقسمته إلى ستة
فصول بحسب الموضوعات الواردة فيه ، وقسمت الحاشية في كل ورقة إلى
قسمين : للتخريج والتعريف بالأعلام وأسماء الأماكن . وترجمت لعدد كبير
من الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب ، وشرحت الكلمات التي تحتاج إلى
شرح ، ورجحت الصواب وبحثت عنه وأثبتته .

وصنعت جميع الفهارس المطلوبة في نهاية الكتاب . لتسهيل وتيسير

الاستفادة من الكتاب للقارئ وللباحث .

وعلى وجه الإجمال اعتبرت هذه المخطوطة لكتاب الواقدي أصلاً ، عملت
ما استطعت على تصويبها وتوثيقها ، وخرجت الأخبار والأحاديث والأشعار
والآيات القرآنية الكريمة ، وبذلت في ذلك جهدي . وحسبي أنني أرضيت
ضميري ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها والكمال لله تعالى .

- والحمد لله على كل حال -

عبد العزيز فياض حروفوش

دمشق في ٥ رجب ١٤١٦

٢٧ تشرين الثاني ١٩٩٥م

ترجمة المؤلف

حياة الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧) (٧٤٦ - ٨٢٣ م) :

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي السهمي الأسلمي بالولاء ، ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٠ هـ . في أواخر خلافة مروان بن محمد الأموي . وينسب الواقدي إلى جده واقد . وأكده تلميذه وكاتبه محمد بن سعد في كتابه الطبقات الكبرى^(١) وذكر ابن خلكان ، أن الواقدي كان مولى لبني هاشم^(٢) والصحيح أنه كان مولى لبني سهم إحدى بطون بني أسلم^(٣) ، وعاش في المدينة يتلقى العلم على أيدي علمائها ، في سن مبكرة واهتم بالمغازي والسيرة النبوية الشريفة . وسمع الواقدي من التابعين ، ومن جاء بعدهم بالحجاز والشام وغير ذلك .

وروى ابن عساكر عن المسيبي قال : كان الواقدي يجلس إلى اسطوانه في مسجد المدينة . وسئل : أي شيء تدرس ؟ قال : جزئي من المغازي^(٤) وكان الواقدي دائم الاتصال بالتابعين من أبناء الصحابة ، وأبناء الشهداء ، ويسألهم عن أماكن استشهاد ذويهم . وذكر الخطيب البغدادي وابن سيد الناس ، عن

(١) الطبقات ، لابن سعد ٧/٧٧ ، ومعجم الأدياء لياقوت ١٨/٢٧٧ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ١١/٩٥ ، ٩٦ ، وسير أعلام النبلاء ٩/٤٥٥ .

(٢) وفيات الأعيان ، لابن خلكان ١/٦٤٠ .

(٣) الطبقات لابن سعد ٥/٣١٤ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ١١ ورقة ٣ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٩/٤٥٥ ، وتذكرة الحفاظ ١/٣٤٨ ، والجرح والتعديل ٤/٢٠ ، وتهذيب التهذيب ٩/٣٦٣ .

(٤) تاريخ دمشق ج ١١ ورقة (٥) لابن عساكر ، وتاريخ بغداد ، للبغدادي ٣/٧ ، وسير أعلام النبلاء ٩/٤٦٠ .

الواقدي أنه قال : ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ، ولا مولى لهم إلا سألته : هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل ؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعانيه ، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها . وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعانيه^(١) .

وحدث عنه كاتبه محمد بن سعد ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو حسان الحسن بن عثمان الزياتي ، ومحمد بن شجاع الثلجي ، وسليمان بن داود^(٢) .

وقال الخطيب البغدادي عن الواقدي : هو ممن طبق ذكره شرق الأرض وغربها ، وسارت بكتبه الركب في فنون العلم ، من المغازي والسير والطبقات والفقه ، وكان جواداً كريماً مشهوراً بالسخاء^(٣) .

وقال محمد بن سلام الجمحي : الواقدي عالم دهره^(٤) . وذكر إبراهيم الحربي ، ما أنكره أحمد بن حنبل على الواقدي فقال : إنما أنكر عليه جمعه الأسانيد ومجيئه بالمتن الواحد . وقال إبراهيم : ليس هذا عيباً ، فقد فعل هذا الزهري وابن إسحق^(٥) . وقال بعض علماء الحديث ، كالبخاري والرازي والنسائي والدارقطني ، عن الواقدي في مجال الحديث بأنه متروك الحديث . أما المحدثون من علماء الحديث مثل : الحافظ الدراوردي ويزيد بن هارون وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو بكر الصنعاني ، ومصعب الزبيري ومجاهد بن موسى ، والمسيب وإبراهيم الحربي كلهم وصفوه بأنه ثقة مأمون^(٦) .

ورغم كل النقد والجرح الذي تعرض له الواقدي ، فإن له منزلة كبيرة بين

(١) تاريخ بغداد ، ٦/٣ ، وعيون الأثر لابن سيد الناس ١٨/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٥٥/٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٥٧/٩ وتاريخ بغداد ٣/٣ .

(٤) تاريخ بغداد ، ٥/٣ ، ومعجم الأدباء لياقوت ٢٧٨/١٨ .

(٥) عيون الأثر ، لابن سيد الناس ٢٠/١ .

(٦) تهذيب التهذيب ٣٦٤/٩ ، ٣٦٥ .

العلماء من أصحاب السير والمغازي ، لعنايته والتزامه بتطبيق المنهج التاريخي العلمي بشكل فني تفرد به في عصره . فهو يلجأ إلى ترتيب التفاصيل المختلفة للحوادث بطريقة منطقية ، ويذكر قائمة طويلة عن الرجال الذي نقل عنهم الأخبار ، ثم يورد الفتوح مدينة مدينة مع تاريخ محدد لفتحها بدقة ، مع ذكر تفاصيل جغرافية عن الموقع المراد فتحه مدينة كان أو حصناً ، ويتبع أسلوباً موحداً في وصف الفتح كأن يذكر شعار المسلمين في القتال ، واسم الغزوة وتاريخها وأميرها ، واسم الأمير المستخلف على المدينة المفتوحة .

وأسماء الرجال الذين شهدوا الفتح ، والذين استشهدوا فيها ، أي أنه يقدم قصة فتح كل مدينة بإسناد جامع ، حيث يجمع الرجال والأسانيد في متن واحد . مما يؤكد المنهجية الموحدة التي نهجها الواقدي كمؤرخ . وقد نهج نهجه في التأليف من جاء بعده ، كتلميذه ابن سعد والبلاذري ، حيث يظهر لديهما بشكل واضح منهج الواقدي ، وخاصة في ذكرهما للتفاصيل الجغرافية وربط الحوادث والفتوح بها . وتميز الواقدي عن غيره من المؤرخين بإيراده أخباراً كثيرة لا نجدها عند غيره ، مع اسهاب في التفاصيل والدقة في الترتيب عند سرده للحوادث والفتوح ، ولا يفوته أن يشير إلى الحياة والحالة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد المفتوحة ، نلمسها عند تحديد أمير الفتح لمقدار الجزية وما يؤخذ من أهل كل مدينة مفتوحة ، وعند كتابة عهد الصلح بينهما .

وقال إبراهيم الحربي : الواقدي آمن الناس على أهل الإسلام ، وكان أعلم الناس بأمر الإسلام^(١) .

وذكر مصعب الزبيري أن عبد الله بن المبارك كان يقول : كنت أقدم المدينة ، فما يفيدني ويدلني على الشيوخ ، إلا الواقدي^(٢) .

(١ و ٢) تاريخ بغداد ٥/٣ ، وسير أعلام النبلاء ٤٥٨/٩ .

وقال محمد بن إسحق : والله لولا أنه عندي ثقة مأمون ما حدثت عنه^(١) .

وقال ابن المديني : إلى الواقدي المنتهى في المغازي والسير والأخبار ،
وأيام الناس والوقائع والفقه^(٢) .

ويكاد يجمع المؤرخون ومن عاصره ، على أنه محدث حافظ مؤرخ ، أديب
وفقيه مفسر من أهل المدينة ، سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري ، وروى
عن ثور بن يزيد وطبقته^(٣) وذكر الذهبي : أن الواقدي ضعيف في الحديث ،
ولكن يُحتاج إليه في الغزوات والتاريخ وتورد آثاره فيها من غير احتجاج^(٤) .

وقال يعقوب بن شيبة : لما تحول الواقدي من الجانب الغربي إلى الجانب
الشرقي من بغداد يقال : أنه حمل كتبه على عشرين ومائة وقر^(٥) .

ويذكر أن هارون الرشيد الخليفة العباسي حج إلى مكة والمدينة ، وكان
بصحبه وزيره يحيى بن خالد البرمكي ، فالتقاهما بالمدينة ودلّهما على قبور
الصحابة والشهداء ، وجميع المشاهد فيها ، فأعجب به الرشيد ووزيره يحيى ،
فأجزلا عطاءه بعشرة آلاف درهم ، وكان قبلهما في ضائقة فوسع على عياله^(٦) .
وعاش الواقدي حياته في عوز وضيق يد ، بسبب كرمه وسخائه ، فاضطر إلى
ترك الحجاز وتوجه إلى العراق لكثرة ديونه^(٧) .

وذكر ابن سعد في طبقاته ، قصة حج الرشيد وزيارته إلى المدينة ولقائه
بالواقدي ، وخروجهم جميعاً بعد عشاء الآخرة على الشموع ، وزيارتهم

(١) معجم الأدباء ، ٢٧٨/١٨ .

(٢) معجم الأدباء ، ٢٧٧/٨١ .

(٣) معجم المؤلفين ٩٥/١١ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٦٩/٩ .

(٥) معجم الأدباء لياقوت ٢٨١/١٨ .

(٦) الطبقات ، لابن سعد ٣١٥/٥ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٤٦٥/٩ .

(٧) عيون الأثر لابن شيد الناس ١٧/١ .

لجميع المواضع التي سأل عنها الرشيد ، ودام مسيرهم حتى صلاة الفجر ، وأن يحيى بن خالد قال للواقدي : نحن على الرحلة ولا عليك أن تلقانا حيث كنا واستقرت بنا الدار إن شاء الله^(١) .

وشجعت زوجته على المسير إلى العراق ، والقرب من أمير المؤمنين الرشيد ، وقالت له : يا أبا عبد الله ما قعودك ؟ وهذا وزير أمير المؤمنين قد عرفك وسألك ، أن تصير إليه حيث استقرت به الدار^(٢) ؟ قال الواقدي : فرحلت من المدينة ، وأنا أظن القوم بالعراق ، فأتيت العراق فسألت عن خبر أمير المؤمنين . فقالوا لي : هو بالرقه . . فحملت نفسي على أن أصير إلى الرقة^(٣) .

فتوجه الواقدي بإحدى السفن إلى الرقة ، فلما وصلها ، طلب الإذن على يحيى بن خالد بمساعدة من بكار الزبيري فأذن له . فقربه يحيى وأدناه من مجلسه وأجزل عطاءه ، وأمره أن يأتيه كل يوم . ثم أستاذنه بالعودة إلى المدينة ليرى عياله فيها فأذن له ؛ ورحل إلى بغداد مقرباً من الرشيد ووزيره ، فأفاضاً عليه العطاء . وعين الواقدي قاضياً على الجانب الشرقي من بغداد^(٤) .

وقد حدد البغدادى تاريخ خروج الواقدي من المدينة إلى بغداد بسنة ١٨٠ هـ ، وأضاف بأن صنعة الواقدي ، كانت في المدينة بائع حنطة ، فخرت تجارته فالتمس العون من يحيى البرمكي في بغداد^(٥) وأكد ذلك الواقدي عن نفسه بقوله : كنت حناطاً بالمدينة في يدي مئة ألف درهم للناس أضراب بها ، فتلفت الدراهم فشخصت إلى العراق^(٦) .

(١) و(٢) الطبقات ، لابن سعد ٤٢٦/٥ .

(٣) الطبقات ، لابن سعد ٤٢٧/٥ .

(٤) الطبقات ، لابن سعد ٤٢٩/٥ ، ومعجم الأدباء لياقوت ٢٧٩/٨ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ٩٥/١١ ، سير أعلام النبلاء ٤٦٤/٩ .

(٥) تاريخ بغداد ٤/٣ ومعجم الأدباء ٢٧٨/١٨ .

(٦) سير أعلام النبلاء ، ٤٦٤/٩ .

وقدم ابن سعد تفسيراً قريباً مما ذكره البغدادي . وهو أن الواقدي توجه إلى بغداد بسبب دين لحقه . فلم يزل بها وخرج إلى الشام والرقّة ثم رجع^(١) . وعاش الواقدي في بغداد معزّزاً مكرماً من الخليفة والبرامكة ، وكان الرشيد قد عينه قاضياً على شرقي بغداد قبل عودة المأمون من خراسان^(٢) . ولما عاد المأمون عينه قاضياً لعسكر المهدي ، فامثل لأمره واستلم منصبه الجديد^(٣) ؛ ولما نكب الرشيد البرامكة ، لم يتغير المأمون على الواقدي ، بل زاد في تكريمه وولاه منصباً هاماً في القضاء ، إذ جعله مرجعاً في القضاء في بغداد والعراق . فزاوّل عمله مدة أربع سنين^(٤) . وأكد ذلك صاحب تاريخ جرجان ، عندما ترجم للأشعث بن هلال فقال : إن الواقدي ولاء قضاء جرجان وهو في بغداد^(٥) . ولم يزل الواقدي قاضياً بعسكر المهدي في بغداد حتى مات سنة ٢٠٧ هـ . ويعد من مؤرخي المدينة ، غير أنه قضى أعوامه الثلاثين الأخيرة في بغداد^(٦) . وفاته :

اختلفت الروايات في تحديد وفاة الواقدي ، ولكن المقبول منها ، رواية تلميذه وكتابه محمد بن سعد ، الذي حدد ليلة الوفاة ويوم الدفن من الشهر والسنة ، فقال : مات ببغداد ليلة الثلاثاء ، لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة سبع ومائتين ، ودفن يوم الثلاثاء في مقابر الخيزران وهو ابن ثمان وسبعين سنة^(٧) .

-
- (١) الطبقات ، لابن سعد ٧٧/٧ .
 - (٢) معجم الأدباء لياقوت ٢٧٩/١٨ .
 - (٣) معجم الأدباء لياقوت ٢٧٩/١٨ ، والواقعي بالوفيات ٢٣٨/٤ ، وتاريخ بغداد ٥/٣ .
 - (٤) لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني ٨٥٢/٦ .
 - (٥) تاريخ جرجان للسهمي ص ١٢٥ .
 - (٦) سير أعلام النبلاء ٤٥٧/٩ ، والفهرست لابن النديم ص ٩٩ .
 - (٧) الطبقات ، لابن سعد ٧٧/٧ ، معجم المؤلفين ٩٦/١١ ، وسير أعلام النبلاء =

وقال عباس الدوري : مات الواقدي وهو على القضاء وليس له كفن ،
فبعث المأمون بأكفانه ، وقضى دينه وصلى عليه قاضي الجانب الغربي من بغداد
محمد بن سماعة التميمي^(١) .

مصادر ترجمته :

- الفهرست لابن النديم ص ٩٨ - ١٠٠ - عيون التوايخ لابن شاکر الکتبی
٢٤١/٢ ، ٢٤٢ - تاریخ بغداد للخطیب البغدادی ١٩٦/٣ - مروج الذهب
للمسعودی ٧٣/٣ - وفيات الأعيان لابن خلكان ٦٤٠/١ - معجم الأدباء ،
لياقوت الحموي ٢٧٧/١٨ - تاريخ جرجان ، للسهمي ١٦٥ - البداية والنهاية
لابن كثير ٢٦١/١ - الوافي بالوفيات ، للصفدي ٢٣٨/٤ - شذرات الذهب
لابن العماد الحنبلي ١٨/٢ - المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ٣٠/٢
- كشف الظنون ، لحاجي خليفة ٤٦٠/ - فهرس مخطوطات الظاهرية ١٣١/٦
- المغازي الأولى ومؤلفوها ، هوروفتش (١٠١ - ١٢٥) - الأعلام ،
للزركلي ٢٠٠/٧ - هدية العارفين ، للبغدادی ١٠/٢ .

آثاره وكتبه :

اهتم الواقدي بعلم الحديث النبوي الشريف ، فجمع عشرين ألف حديث
عن الرسول ﷺ^(٢) . واجتهد في سؤال أبناء الصحابة والتابعين ومواليهم ، عن
أحوال السلف ، وما حفظوه من أخبار وروايات وأحاديث^(٣) .
ووصفه تلميذه وكتابه ابن سعد بقوله : كان عالماً بالمغازي والسيرة

= ٤٦٧/٩ ، وتاريخ بغداد ٢٠/٢ ومعجم الأدباء ، ٢٨١/٨ .
(١) الطبقات لابن سعد ٤٣٣/٥ ومعجم المؤلفين لكحالة ٩٥/١١ وتاريخ بغداد للبغدادی
٥/٣ .
(٢) تاريخ بغداد ، للبغدادی ١٣/٣ .
(٣) عيون الأثر ، لابن سيد الناس ٢٠/١ .

والفتوح ، واختلاف الناس في الحديث والأحكام واجتماعهم على ما اجتمعوا عليه ، وقد فسر ذلك في كتب استخراجها ووضعها وحديث بها^(١) .

وذكر ابن النديم في الفهرست كتب الواقدي وهي :

- ١ - كتاب أخبار مكة ٢ - كتاب أمر الحبشة والفيل ٣ - كتاب الآداب
- ٤ - كتاب التاريخ الكبير ٥ - كتاب تاريخ الفقهاء ٦ - كتاب أزواج النبي
- ٧ - كتاب التاريخ والمغازي والمبعث ٨ - كتاب الطبقات ٩ - كتاب الجمل
- ١٠ - كتاب السيرة ١١ - كتاب الردة ١٢ - كتاب حرب الأوس والخزرج
- ١٣ - كتاب صفين ١٤ - كتاب ذكر القرآن ١٥ - كتاب السقيفة وبيعة أبي بكر
- ١٦ - كتاب سيرة أبي بكر ووفاته ١٧ - كتاب الترغيب في علم القرآن وغلط
- الرجال ١٨ - كتاب ضرب الدنانير ١٩ - كتاب فتوح الشام ٢٠ - كتاب فتوح
- العراق ٢١ - كتاب الاختلاف ٢٢ - كتاب غلط الحديث ٢٣ - كتاب السنة
- والجماعة وذم الهوى ٢٤ - كتاب مولد الحسن والحسين ومقتل الحسين
- ٢٥ - كتاب مراعي قريش والأنصار في القطائع ووضع عمر الدواوين وتصنيف
- القبائل ومراتبها وأنسابها ٢٦ - كتاب المناكح ٢٧ - كتاب مقتل الحسين
- ٢٨ - كتاب وفاة النبي ﷺ .

ويكاد ياقوت الحموي في معجم الأدباء ، أن يتفق مع صاحب الفهرست ، فيما أورده من مؤلفات وتصانيف للواقدي ، مع اختلافات بسيطة ، وأضاف الصفدي كتاباً باسم (ذكر الأذان) وأورد صاحب كشف الظنون وهدية العارفين ، فقط اسم كتاب (تفسير القرآن) وهناك كتابان لا يشك الباحثون بنسبتهما للواقدي وهما : كتاب المغازي وكتاب الردة^(٢) .

(١) الطبقات لابن سعد ٣١٤/٥ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت ٢٨٢/١٨ ، الوافي بالوفيات للصفدي ٢٣٩/٤ ومعجم المؤلفين لكحالة ٩٦/١١ والفهرست لابن النديم ص ٩٨ .

ويبدو أن كتاب الواقدي (التاريخ والمغازي والمبعث) من أهم كتبه وهو كتاب ضخيم على نسق سيرة ابن اسحاق . وربما كان كتاب المغازي جزءاً منه ، كما أن ابن سعد والطبري وابن كثير نقلوا عن الواقدي ، أخباراً قبل البعثة النبوية وبعدها^(١) .

فالطبري أورد أخبار الجاهلية ، وما قبل الإسلام روايةً عن ابن سعد عن الواقدي. أما نقله للمغازي فمباشرة عن الواقدي . ويعتقد الباحثون أن كتابه التاريخ مؤلف من ثلاثة كتب هي : التاريخ الكبير ، والمغازي ، والسيرة .

أما كتاب الردة والدار ، فهو كتابان لأن الفاصل الزمني بين حروب الردة ومقتل عثمان كبير حوالي ربع قرن^(٢) ، أما كتاب الطبقات للواقدي ، فقد صنف تلميذه محمد بن سعد على غرارته ونقل عنه . لذلك اعتبر الواقدي بحق ، أبرز مؤرخ إسلامي في المغازي والأخبار وعلم تراجم الرجال^(٣) .

كتب الفتوح :

أما الكتب التي ألفها الواقدي في الفتوح كما أوردتها صاحب الفهرست فهي فتوح الشام ، وفتوح العراق . ويرى بروكلمان أنهما فقدا ، والمتداول منهما ليس للواقدي ، وإنما كتبت في فترة متأخرة على يد تلاميذ ابن سعد كاتب الواقدي^(٤) .

فالبلاذري وهو من تلاميذ ابن سعد نقل معلومات هامة عن الواقدي في كتابه فتوح البلدان ، كما نقل الطبري أحداثاً وقعت في القرن الثاني الهجري

(١) الطبقات لابن سعد ٢٢/١ ، ٤١ والبداية والنهاية ٢/ ٢٤٠ .

(٢) الروض الأنف ٢/ ١٣٢ .

(٣) مقدمة كتاب المغازي ، تحقيق مارسدن جونسون ص ١٥ .

(٤) تاريخ الأدب العربي بروكلمان ٣/ ١٧ .

لأن الواقدي كان معاصراً لتاريخ وقوعها^(١) .

في حين نقل ابن كثير عن كتب الواقدي ، حوادث سنة ٦٤هـ في العهد الأموي بكل تفاصيلها وأحداثها^(٢) .

أما بخصوص فتوح الجزيرة فقد دونها الواقدي ورويت عنه ، ويمكن ملاحظة أسلوبه ومنهجه في إيراد الأخبار وروايتها ، فهو يرتب تفاصيل الحوادث المختلفة ، ويبدأ مغازيه بذكر الرجال الذين نقل عنهم الأخبار ، ثم يذكر المغازي واحدة واحدة مع تحديد تاريخ كل غزوة بدقة . ويذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة أو المدينة أو القلعة المفتوحة . فقد أورد الطبري في تاريخه رواية الواقدي عن فتح الجزيرة ، وأكد تاريخها سنة ١٧هـ بقيادة عياض بن غنم وذكر بعض الحوادث وأسماء الرجال والقبائل^(٣) .

مصادر الواقدي :

اعتمد الواقدي في المغازي والسيرة على كتاب المغازي لمحمد بن مسلم الزهري ، وكذلك فعل ابن اسحق . ومن المعروف أن موسى بن عقبة ومالك بن أنس وابن اسحق وأبي معشر ومعمر بن راشد ومحمد بن عبد الله بن أبي سبرة جميعهم من تلامذة الزهري ، وأخذوا عنه وكان الثلاثة المتأخرون منهم (أبو معشر ومعمر بن راشد ومحمد بن عبد الله) من أبرز وأهم مصادر الواقدي في المغازي^(٤) .

كما كان أبو إسحق عمرو بن عبد الله السَّيِّعي الهمداني أحد مصادر الواقدي لمعرفة الواسعة بالمغازي والأخبار^(٥) .

(١) تاريخ الطبري ٢/٢٥٠٨ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨/٢٢٩ .

(٣) تاريخ الأمم والرسائل والملوك للطبري ٤/٥٤ ، ٥٥ .

(٤) كشف الظنون ، حاجي خليفة ٢/١٧٤٧ .

(٥) المعارف ، لابن قتيبة ص ٩١ ، ١٠٦ .

واقبس الواقدي ونقل عن علماء سبقوه ، كموسى بن عقبة ومعمر بن راشد وأبو معشر ، وكانت لهم كتب في المغازي ، ونقل روايات في الفتوح عن ابن اسحق . ولكنه لم يذكره في كتاب المغازي الذي ألفه ، وجمع فيه مادة تاريخية ضخمة . دونها تدويناً تاريخياً صحيحاً^(١) وتناولت مؤلفات الواقدي الفترة الإسلامية . فكان أفضل من كتب فيها ، ولكنه لم يكن متعمقاً بأمر الجاهلية رغم ما كتبه من كتب عنها مثل : « أمر الحبشة والفيل - وحرب الأوس والخزرج - وأخبار مكة »^(٢) .

وكانت أهم كتب موسى بن عقبة الأسدي المتوفى سنة ١٤١ هـ ، التي اعتمد عليها الواقدي في نقوله (كتاب المغازي) الذي فقد في القرن العاشر الهجري^(٣) .

وكان مالك بن أنس يقول : عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة مأمون^(٤) . أما معمر بن راشد الأزدي المتوفى سنة ١٥٤ هـ مولى بني الحداني ، فكان ممن ولد في الكوفة ، وكتب السيرة ، ويعتبر حلقة في السلسلة بين الزهري والواقدي ، وهو ثقة ثبت ومأمون لدى المؤرخين ، ونقل الواقدي وابن سعد من كتابه المغازي .

وكان نجيع بن عبد الرحمن السندي (أبو معشر) المتوفى سنة ١٧٠ هـ من مصادر الواقدي ، فقد هاجر من المدينة إلى العراق سنة ١٦٠ هـ وكان ثقة صدوقاً في المغازي والتاريخ ضعيفاً في الحديث . وقال صاحب الفهرست : له كتاب في المغازي ، ومغازيه تشبه إلى حد كبير مغازي موسى بن عقبة وأخذ عنه الواقدي^(٥) .

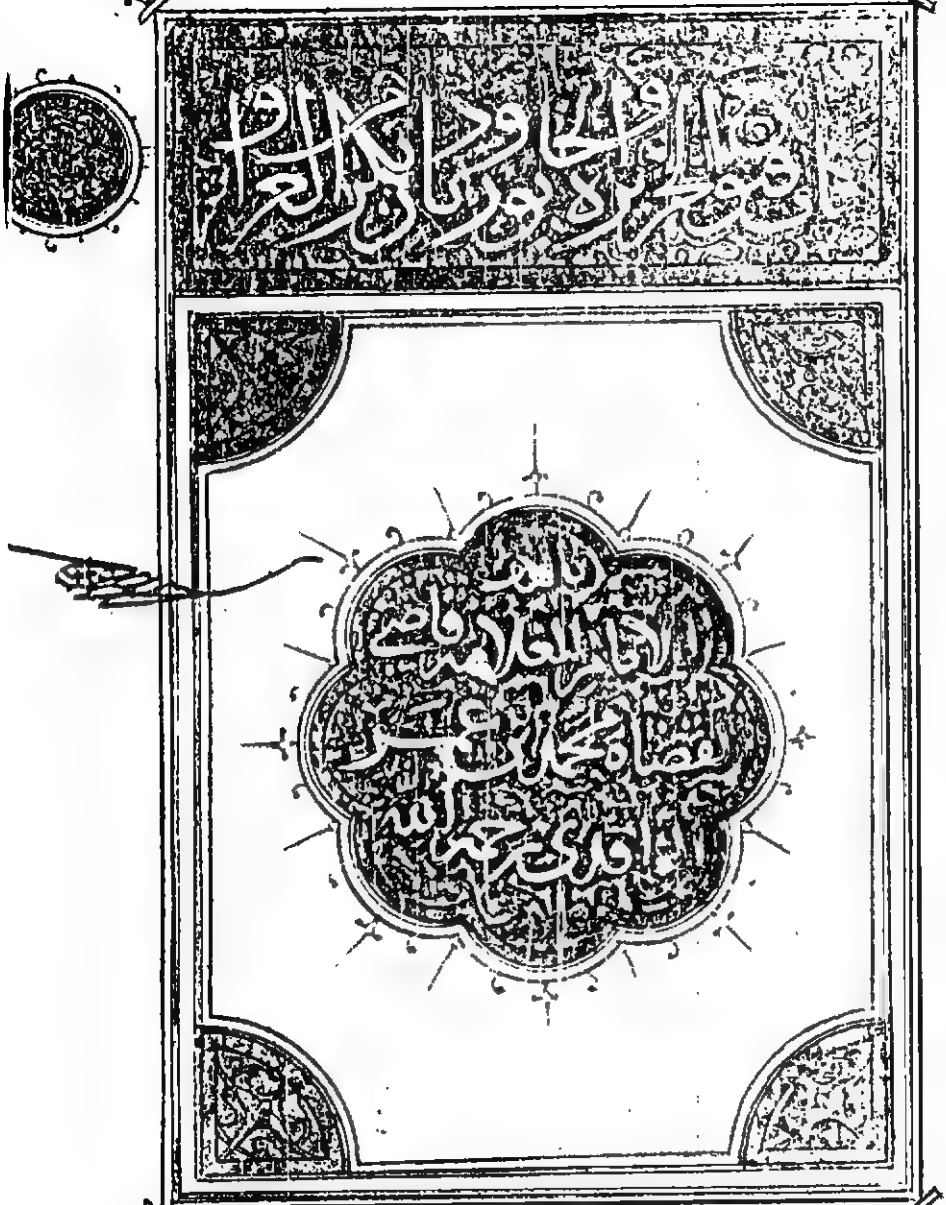
(١) دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٩٩ ، والتهذيب لابن حجر ٣٦٥/٩ .

(٣) تاريخ الخميس ، الديار البكري ٦٠/٢ .

(٤) الجرح والتعديل ١٥٤/١/٤ وكشف الظنون ١٧٤٧/٢ .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٣٦ .



غلاف المخطوطة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال قرأه عليه
في جامع الرملة سنة ثمانين من الهجرة قال
حدثني موسى بن عامر قال أخبرني رفاعه
ابن قيس قال حدثني سليمان بن عوف عن جده
عبد العزيز بن سالم قال حدثني أبو يعلى العبداء
قال حدثني وهبان بن هارون الصرفي
قال سمعت الفتوح كله على محمد بن عمر
الوافدي وهو يومئذ قاضي بغداد من الجانب
الغربي قال حدثني عدلان بن غني الحارثي
عن معمر الجوني وأيضاً من طريق سيف
ابن معمر النخعي والأسدي عن الهلب عن طلحة
ومحمد قالوا جميعاً ومن قال منعه لانه لما
الصفحة الأولى

عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى
 جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَبَعَثَ
 الْكِتَابَ وَخَمْسَ مَا تَحْصُلُ مِنْ دِيَارِ بَكْرِ مِنَ الْمَالِ
 مَعَ شَرْحِ جَيْلٍ مِنْ حُسْنِهِ كَاتِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَمَّرَ إِلَيْهِ يَا نَيْةَ فَارِسٍ وَتَسَلَّمَ
 الْمَالَ وَالْكِتَابَ وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ فَسَارَ شَرْحُ جَيْلٍ
 إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَعْدَ أَيَّامٍ وَصَلَ مِنَ الْعِرَاقِ عَامِرُ
 ابْنُ مُزَيْنَةَ رَسُولًا مِنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ
 لِيَسْتَجِدَّ بَعْضُ مَنْ كَسَرَى بَنُ هُرْمُزٍ وَهَذَا
 مَا كَانَ مِنْ فُتُوحِ دِيَارِ بَكْرِ وَدِيَارِ مِصْرَ
 وَبِلَادِ رِبْعَةٍ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ ۝
 وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ ۝ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدٍ وَلَدِ عَدْنَانَ ۝ وَسَلَّمَ

الصفحة الأخيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الأوّل

فتح أرض الخابور

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قراءةً عليه في جامع الرملة^(١) سنة^(٢) ثمانين من الهجرة قال : حدثني موسى بن عامر قال : أخبرني رفاعه ابن قيس قال : حدثني سليمان بن عوف عن جده عبد العزيز بن سالم قال : حدثني أبو يعلى العبدي قال : حدثني وهبان بن هارون الصّرفيني قال : سمعت الفتوح كُله على محمد بن عمر الواقدي وهو يومئذ قاضي بغداد^(٣) من الجانب الغربي .

قال : حدثني عدلان بن عَنِّي الحازمي ، عن مَعْمَرِ الجَوْنِي . وأيضاً من طريق سيف ابن مَعْمَرِ التيمي والأسدي ، عن المهلب عن طلحة ومحمد قالوا

(١) الرملة : مدينة تقع في فلسطين إلى الشمال الغربي من القدس تنسب عمارتها إلى سليمان بن عبد الملك في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي ثم تناولها التخريب بفعل الزلازل والحروب « القاموس الإسلامي ٥٧٤ » .

(٢) هذا التاريخ غير صحيح . فيونس بن عبد الأعلى ولد سنة ١٧٠ وتوفي سنة ٢٦٤ (تهذيب ٤٤٠ / ١١) وموسى بن عامر توفي سنة ٢٥٥ (تهذيب ٣٥٢ / ١٠) .

(٣) كان نهر دجلة يشطر بغداد إلى قسمين غربي وشرقي . فكان الواقدي مقيماً في الجانب الغربي من بغداد . وتصل بين الجانبين الجسور ، وتؤكد كثير من المصادر أن الرشيد ولاء القضاء في الجانب الشرقي وولاه المأمون القضاء في عسكر المهدي « انظر معجم الأدباء ٢٧٩ / ١٨ ، ومعجم المؤلفين لكحالة ٩٥ / ١١ » .

جميعاً : ومن قال منهم : إنه لمَّا فُتِح الشام على يد أبي عبيدة عامر بن الجراح
وخالد بن الوليد ، فتحت أرض مصر على يد عمرو بن العاص .

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إلى أبي عبيدة بن الجراح كتاباً يقول
فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر^(١) بن الخطاب أمير المؤمنين ،
إلى عامر بن الجراح ، سلام عليك فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ،
وأصلي على نبيه محمد ﷺ .

أما بعد : فقد أجهدت نفسك في قتال الكفار ، وسارعت إلى رضى
الجبَّار ، وقَدِّمْتَ لك صالحاً تجده يوم عَرْضِكَ ، ولم تُؤتَ يوماً من أداءِ
فَرْضِكَ ، وقمت بسنة نبيك ، وجاهدت في الله حق جهاده .

فَتَقَبَّلَ اللهُ مِنَّا وَمِنكَ ، وغفر لنا ولك ، فإذا قرأت كتابي هذا . فَأَعِزِّدْ عَقْداً
لِعِيَاضِ^(٢) بن غنم الأشعري ، وجهِّزْ معه جيشاً إلى أرض^(٣) ربيعة وديار بكر^(٤)
ابن وائل ؛ وإني أرجو من الله سبحانه وتعالى المعونة ، وأن يفتحها على

(١) انظر نص كتاب الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح بشأن فتح الجزيرة
في : فتوح الشام للواقدي ج ٢ ص ٥٩ - ٧٢ « والكامل في التاريخ ٥٣١/٢ - ٥٣٢ ،
وابن الأعمش الكوفي ٢٤٩/١ » وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٩٨/١ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٥٩/٢ .

(٣) أرض ربيعة : تقع في بلاد الجزيرة بين الموصل ورأس العين ثم إلى نصيبين وديسر
والخابور جميعه وقصبتها مدينة نصيبين وتشمل مدن رأس العين ودارا وقرقيسيا .
« معجم البلدان ٤٩٤/٢ ، الأعلام ١٢٤/٣ ، صورة الأرض ١٩١ وفتوح البلدان
١٨٠ » .

(٤) ديار بكر : بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل وحدها من دجلة إلى الجبل المطل على
نصيبين وتشمل كثيراً من المدن والقلاع الحصينة مثل حيزان واسعد وأمد وميافارقين
وأرزن وماردين « الأعلام ٢٤٦/٣ ومعجم البلدان ٤٩٤/٢ » وانظر الفتوح لابن
الأعمش الكوفي ٢٥٠/١ .

يديه ، وأوصه بتقوى الله والاجتهاد في طاعة الله ، ولا يلحقه من التواني في الجهاد . ويتبع سنن المؤمنين المجاهدين . وما أمر به سيّد المرسلين . مما أنزل عليه ربّ العالمين . ﴿ يا أيها النبيّ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ [التوبة ٩٣] والسلام عليك وعلى جميع المسلمين . ورحمة الله وبركاته .

وكتب كتاباً إلى عياض بن غنم يأمره بالولاية والمسير إلى أرض ربيعة الفُرس وديار بكر^(١) .

وبعث الكتابين مع ساعدة بن قيس^(٢) المرادي ، وزوده عمر من بيت مال المسلمين وأمره بالسير ، فسار يقطع الأرض في الطول والعرض ، ولم يغفل عن أداء سُنّة أو فرضٍ ، حتى ورد على أبي عبيدة فوجده نازلاً على بحيرة طبرية^(٣) ، فسلم عليه وسلّمه كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم سلّم الكتاب الآخر إلى عياض بن غنم الأشعري . فلما قرأ أبو عبيدة كتاب عمر قال :

السمع والطاعة لله وللأمير ؛ ثم جهز عياض بن غنم لمسيره إلى الجهاد وعقد له عقداً على ثمانية آلاف ، ومن جملتهم ألفان من الصحابة ، ومن جملتهم خالد بن الوليد ، والثُّعَمَان بن المُنذر ، وضرار بن الأزور ، وعَمرو بن ربيعة^(٤) . وذو الأذعار ابن قيس وحمزة بن عقيل وطلحة بن^(٥) الأشج . وعامر ابن فهر ، وكان المِقْدَاد بن الأسود ، وعَمَّار بن ياسر ، وعبد الله يُوقِنًا

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٥٩/٢ ، والكامل في التاريخ ٥٣٢/٢ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٥٩/٢ .

(٣) بحيرة طبرية : تقع في شمالي غور فلسطين ويشكلها نهر الأردن وعلى ساحلها الغربي تقع مدينة طبرية .

(٤) عمرو بن ربيعة « انظر : فتوح الشام للواقدي ٥٩/٢ » .

(٥) طلحة بن الأشج « انظر : فتوح الشام للواقدي ٥٩/٢ واسد الغابة ٥٩/٣ » .

الذي ذكرنا متقدماً عند قدومهم على أبي عبيدة بعد فتوح مصر ، وكان قدومهم في شوال سنة سبع عشر من الهجرة .

١ - فتح الرقة

وقفل عياض بن غنم من طبرية ، يريد أرض الجزيرة^(١) وعلى مقدمته وأعنة خيله سهيل^(٢) بن عدي ، فلم يزل سائراً حتى نزل على بالس^(٣) ، وكان خالد فتحها صلحاً ، فأقام عليها وسرح سهيلاً إلى الرقة^(٤) ، ونزل على حصارها ، وكان فيها بطريق اسمه يوحنا ، وكان من قبل شهر ياض صاحب رأس العين^(٥) .

وكان قد استعدَّ بألة الحصار . فلما رأى أهل الرقة صاحبهم معوّلاً على الجهاد ، اجتمع بعضهم إلى بعض وقالوا : نحن بين أهل الشام والعراق ، فما مقامكم بين حرب هؤلاء القوم .

فبعثوا إلى عياض بن غنم بالصلح فصالحهم^(٦) على ما وقع عليه الاتفاق

-
- (١) أرض الجزيرة : وهي الأرض الواقعة بين نهري دجلة والفرات . انظر صورة الأرض لابن حوقل / ١٩١ والممالك والممالك ص ٥٢ للاصطخري .
 - (٢) سهيل بن عدي : انظر : أسد الغابة ٢ / ٣٦٨ «والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ٥٣١» .
 - (٣) بالس : بلدة بأرض الشام بين حلب والرقة وهي (برباليوس) القديمة على الضفة الغربية لنهر الفرات «معجم البلدان ١ / ٣٢٨ ، اللؤلؤ المنثور ٦٢٣» .
 - (٤) الرقة : مدينة هامة في سورية بأرض الجزيرة من ديار مضروهي فوق مصب نهر البليخ وكان ربضها يسمى الرافقة وقيل لها البيضاء «صورة الأرض ٢٠٣ ، الأعلام ٣ / ٦٩ ، ومعجم البلدان ٣ / ٥٨» وانظر فتح الرقة في : كتاب الفتوح لابن الأعمش الكوفي ١ / ٢٥٠ .
 - (٥) رأس العين : مدينة سورية على الحدود مع تركيا ، تقع بين حران ودرنيسر ، فيها عيون وبساتين وبأرضها يتشكل نهر الخابور وهي عين الوردة ، فتحها المسلمون وهي ذات أسوار قوية ويتبع لها قرى عرابان وماكسين «معجم البلدان ٣ / ١٣ ، ٤ / ١٨٠ ، مراصد الاطلاع ٢ / ٥٩٣ وبلدان الخلافة الشرقية ١٢٥» .
 - (٦) انظر : خبر الصلح بين أهل الرقة وعياض في : فتوح الشام للواقدي ٢ / ٦٠ ، =

وارتحل عياض من بالس ، ونزل على الرقة البيضاء ، وفي ذلك قال سهيل بن عدي حيث ينشد ويقول^(١) [الوافر] :

وصَادَفْنَا العِرَاقَ غَدَاةَ سِرْنَا بِجُرْدِ الخَيْلِ وَالْأَسَلِ الطَّوَالِ
أَحَذْنَا الرُّقَّةَ البِيضَاءَ لَمَّا رَأَيْنَا الشُّهْبَ تَلْعَبُ بِالثَّلَالِ
فَأَزَعَجَتِ الْجَزِيرَةَ بَعْدَ خَفْضِ وَقَدْ كَانَتْ تُخَوِّفُ بِالزَّوَالِ
سَنَقِصِدُ رَأْسَ عَيْنٍ ثُمَّ^(٢) دَاراً كَذَا جَمَلَيْنِ^(٣) مَعَ جَيْشِ الضَّلَالِ
وَنَقْصِدُ شَهْرَبَاضَ بِجَيْشِ صِدْقٍ وَنَقْتُلُ فِي البَطَارِقِ لَا بُدَّالِ
فَنَحْنُ أَوْلُو النَّقِيَّةِ وَالْمَعَالِي وَنَحْنُ الصَّابِرُونَ لِكُلِّ حَالِ
صَحَابَةُ أَحْمَدٍ خَيْرُ الْبَرَايَا رَقَى الْعِلْيَاءَ وَالرُّتَبَ الْعَوَالِي

٢ - فتح القلعتين زبَاء وزلابيا

قال الواقدي رحمه الله تعالى : ولما فتحت الرقة البيضاء صلحاً ، عَوَّلَ عياضُ بن غنم بالمسير ، إلى عين وردة وهي رأس العين ، وكان على أرض الجزيرة ملك من الروم يقال له : شَهْرِيَاضُ بن فَرِيْتُونُ وكان جيشه مائة ألف ، وكان يخدمه السُّلْطَانُ بن^(٤) سارية الثَّعلبي ، وهيرةُ بن مكشوح^(٥) ، وَجَهْضَمُ بن كَلْبٍ^(٦) الإيَّادِي ، من إِيَادِ الشَّمْطَاءِ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْ قَوْمِهِمْ ، وَقَدْ اتَّصَلَتْ بِهِمْ

= والكامل في التاريخ ٥٣٢/٢ .

(١) الأبيات انظرها في : فتوح الشام للواقدي .

(٢) دارا : مدينة هامة في ديار ربيعة تابعة لنصيبين وفي أيامنا تابعة لتركيا في لحف جبليين نصيبين وماردين . « صورة الأرض ١٩٩ ، الأعلام ١٤٠/٣ ، معجم البلدان ٤١٨/٢ » .

(٣) جملين : قلعة هامة وحصينة في ديار مضر ويتبع لها أراض واسعة ، « الأعلام الخطيرة ٦٨/٣ ، ابن العبري ٣٩٣ » .

(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٠/٢ .

(٥) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٠/٢ .

(٦) جهضم ابن كلب الايادي : لم أعثر له على ترجمة .

الأخبار بفتح الرقة ، والمسلمون قاصدون إليهم في عسكر عياض بن غنم
 وخالد بن الوليد ، والمقداد بن الأسود ، فاجتمعوا إلى شهر ياض الملك برأس
 عين^(١) ، وقالوا : أيها الملك اعلم أنَّ أصحاب محمد قدموا ديارنا وقصدوا
 نحونا ، ونحن علينا الطلب أكثر منكم ولن يرضى القوم منا إلا بدخولنا في
 دينهم ، فاضرب سُرَادِقَكَ وجهز جيشك ، حتى نلقى القوم إمَّا لنا وإمَّا علينا .
 قال : فأجابهم إلى ذلك بعد أن أخذ رهائتهم ، واستوثق منهم ، ورتَّب آلة
 الحصار ، وأخرج الخزائن والأموال والحرسة^(٢) على الصُّور وفي عَرْض
 الخندق وطُوله ، واستوثق من جَمَلَيْن^(٣) ، وكفرتوثا^(٤) ودارا^(٥) وماردين^(٦)
 وحرَّان^(٧) والرَّها^(٨) . وتَلَّ مُوزَنٌ^(٩) والليثني والبارعية^(١٠) ، ثم نصب سُرَادِقَهُ

-
- (١) رأس عين : انظر ص ٣ من فتوح الجزيرة ، والكامل لابن الأثير ٥٣٤ / ٢ .
 (٢) الحرسة : وهم الحُرَّاس .
 (٣) جملين : انظر ص ٣ من فتوح الجزيرة ، وابن الأعمش الكوفي (الفتوح) ٢٥٠ / ١ .
 (٤) كفر توثا : كورة واسعة في بلاد الجزيرة وتمتد بين دارا ورأس العين « معجم البلدان
 ٤٦٨ / ٤ » .
 (٥) دارا : انظر ص ٣ من فتوح الجزيرة .
 (٦) ماردين : مدينة قديمة وحصينة في ديار بكر ، تقع في منطقة جبلية وفيها قلعة شماء
 ومشهورة في منتصف الطريق بين رأس العين ونصيبين على قمة جبل « ابن بطوطة
 ١٥٠ / ١ » ، بلدان الخلافة الشرقية ١٢٥ ، ١٢٦ » .
 (٧) حران : مدينة قديمة ، قصبة ديار مضر لها سبعة أبواب وفي شرقها قلعة حصينة
 مسورة « رحلة ابن جبير ٢٤٣ ، الأعلام ٤٠ / ٣ ، ٤١ » .
 (٨) الرها : مدينة رومية قديمة محاطة بسور عظيم ، ذات عيون وبساتين ولها ثلاثة أبواب
 فتحها المسلمون صلحاً على الجزية « فتوح البلدان للبلاذري ١٧٨ ، الأعلام ٩٠ / ٣ ،
 الطبري ٣٣٥ / ١ » ، معجم البلدان ١٠٦ / ٣ ، تاريخ المنبجي محبوب ٧٥ / ١ » .
 (٩) تل موزن : بلدة قديمة بالجزيرة تقع بين رأس العين وسروج وتبعد عن رأس العين
 عشرة أميال ، وسورها وقلعتها مبنية بالحجارة السود ، فتحها عياض بن غنم سنة
 ١٧هـ على مثل صلح الرها . « معجم البلدان ٤٥ / ٢ » .
 (١٠) البارعية : هي حصن منيع من حصون ديار بكر « زبدة الحلب من تاريخ حلب
 ٢٥٤ / ٢ ، وصبح الأعشى ٢٢٥ / ٨ » .

وخيامه ، وكذلك فعلت الملوك والحجّاب والأمارّة ، وأقام ينتظر عياض بن غنم . قال : حدثني عبد الله بن مسلم قال : أخبرني عاصم بن عبد الله ، قال : حدثني محمد بن اسحق الأموي ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولاه . قال : لما عَوَّل عياض بن غنم على المسير إلى رأس العين ، وعلى قتال الملك شهرياض بن قريّون ، بعث قبل مسيره الأشعث بن عويلم^(١) المزني وعبد الله^(٢) بن عَتَبان ، إلى القلعتين المعروفتين بزَبَاء^(٣) وزَلَايَا . فقال عبد الله يوقنا لعياض بن غنم : اعلم أيها الأمير أنّ هذين الحصنين الذين ذكرتهما حصنان مَنيعان أحدهما من الجانب الغربي ، والآخر من الجانب الشرقي ، وهما كانا تحت ولايتي ، وإنّ صاحبهما كان من قبلي وهو أحد بني عمي ، واسمه اكِشْفَاط^(٤) بن مارية ، وكنت قد زوّجت ابنتي لولده ومات وهي في حباله ، فأخذت من الحصنين ، الحصن الشرقي من الفرات بما في صداقها ، وإنّي قد رأيت رؤيا ، لو أمرتني بالتقدّم حتى أحصل في القلعة الغربية ، فإنّ حصّلت لنا كانت الأخرى في قبضتنا . فقال عياض بن غنم : الله أنت يا عبد الله ، فوالله لقد نصحت للإسلام فجزاك الله بأفضل ما جازى به أحداً من أوليائه ، سر على بركة الله وعونه .

فإذا استقر بك المقام ثلاثة أيام ، نفّذت إليك بالأشعث وعبد الله بن عتبان فيمن أنفذ معهما من المسلمين . وبعد الفتح إن شاء الله تعالى تنزلوا على قرقيسياء^(٥) . فقال يوقنا : استعنّا بالله وتوكلنا عليه : ثم أخذ معه غلماناً ولم

(١) الأشعث بن عويلم المزني : لم أعر على ترجمة له .

(٢) عبد الله بن عتبان : انظر : أسد الغابة ٢٠٢/٣ .

(٣) قلعة زباد وزلايا : حصن الزباء في قرقيسياء « انظر الأعلام الخطيرة ١٥١/٣ » وانظر : الفتوح لابن الأعمش الكوفي ٢٥١/١ .

(٤) ورد الاسم في فتوح الشام للواقدي اشفكياص بن مارية ٦٠/٢ .

(٥) قرقيسياء : هي قصبة كورة الخابور وتقع عند مصب الخابور في نهر الفرات ويتبع لها (ماكسين وعرابان والمجدل) الأعلام ٥١/٣ .

يأخذوا معهم بركاً^(١) ولا زملاً^(٢) ، وساروا من العسكر ليلاً وتركوا عياض بن غنم ، وجدّوا في السّير بقية ليلتهم فلما كان قبل الفجر بساعتين أشرفوا على الخانوقة^(٣) ، فوجدوا هنالك ألفاً من الأرمن جماعة مُكْمِنين وهم في سلاح وعدة ، وهم على حالة التجريد ، فلما أشرف عليهم يوقناً وسمعوا قعقة اللّجُم أنصتوا إليهم ، وإذا هم يتحدثون بالرومية ، فَأَنَسُوا إليهم وفرحوا لهم وسَلَّمُوا عليهم وسألوهم عن حالهم ، فقالوا : هذا البَطْرِيق المُعَظَّم يوقناً الملك صاحب حلب ، قد هرب من العرب وقد أقبل قاصداً إليكم ، لصاحب هذه القلعة يَعْتُون زَبَاء ، فلما سمعوا بذلك فرحوا واستبشروا وصَبَحُوا بين يديه وسَلَّمُوا عليه ، ونَقَدَ المقدم عليهم رجلاً من قبله إلى أكشفاط يعلمه بالأمر ، فلما سمع بذلك أطرق إلى الأرض ملياً ، وقال لوزيره : وحق المسيح والانجيل ، ما قدم يوقناً ، إلا لينصّب حيلته علينا ويملك هاتين القلعتين . كما فعل بأطرابلس^(٤) وصور^(٥) ، وليس نأمن إليه فكيف ترى أيها الوزير .

قال ابن اسحق : ولقد بلغني أن الوزير كان من أهل القراءة ، وكان نصرانياً أديباً عاقلاً لبيباً ، ممن قرأ الكتب السالفة والأخبار الماضية وملاحم دانيال عليه السلام ، وكان من المعمدان . وكان منذ بعث محمد ﷺ يسكن بدير مترهباً ، وهو ما بين بالس وحلب ، فتعبّد فيه زمناً طويلاً حتى شاع ذكره

-
- (١) بَرْكَاً : جماعة الإبل الكثيرة ومفردها بَارَكُ « المعجم الوسيط » .
(٢) زملاً : جمع ومفرده زمل ، والزاملة بعير يستظهر به الرجل يحمل متاعه وطعامه عليه « مختار الصحاح » .
(٣) الخانوقة اسم مكان : انظر فتوح الشام للواقدي ٦١/٢ .
(٤) أطرابلس : مدينة ساحلية على ساحل الشام بها قلعة حصينة فتحها المسلمون « معجم البلدان ٢٦/٤ » .
(٥) صور : مدينة ساحلية ومرفأ في جنوب لبنان وهي حصينة يحيط البحر بثلاث جهات منها فتحها المسلمون لما فتحوا الساحل السوري / انظر : معجم البلدان ٤٣٣/٣ والأعلاق الخطيرة ١٦٣/٢/٢ .

بالرهبانية ، ثم إنه بعد ذلك أخبر الروم بأنه قد وقع بحافر حمار المسيح ؛ فكانت الروم تنذر له النذور والصدقات وشاع خبره ، وسما ذكره ، وسُمِّيَ ذلك الدير بدير حافر .

وإنه في بعض أيامه خرج من ديره إلى مزرعة له هناك . وإذا برجل من العرب قد عبر عليه وهو راكب على ناقة له ، وكان الحرُّ قد أوهج والسرَّاب قد سَنَحَ ، فأوى إلى فيئ حائط الدير ، وأناخ ناقته ثم عقلها ونام . والراهب ينظر إليه ، فلما غرق في النوم ، جاءت حيَّةٌ من نحو المزرعة وفي فمها باقة ريحان ، وقيل نرجس ، فجعلت تُرَوِّحُ عليه بها حتى استفاق . فلما نظر الدُّثْراني إلى ذلك ، أقبل إليه وسلم عليه . وقال له : من أي الناس أنت ؟ فقال : من العرب . قال الراهب : قد علمت ذلك ولكن سؤالي ، على أي دين أنت ؟ قال : على دين الاسلام الذي كان عليه أنبياء الله عليهم السلام . فقال الراهب : ولعلَّك على دين هذا الرجل الذي ظهر في أرض الحجاز . فقال له البدوي : نعم أنا على ذلك^(١) .

قال ابن اسحق : وكان البدوي وَرَقَّةَ ابْنِ الصَّامِتِ الهُذَلِيِّ^(٢) ، ابن أخت ابن رَوَاحَةَ بن^(٣) مُعَقِّبِ الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ، وكان ممن قاتل بين يدي رسول الله ﷺ ، في ذات السلاسل^(٤) . وكان أديباً لبيباً شاعراً لا يتكلم إلا بسجع في كلامه .

وكان الأمين أبو عبيدة ، قد وجهه لمَّا كان يحاصر حلب إلى صاحب الرقة

(١) انظر : قصة الراهب والأعرابي في : فتوح الشام للواقدي ٦١/٢ .

(٢) ورقة بن الصامت الهذلي : لم أعثر على ترجمة له .

(٣) ابن رواحة الأنصاري : انظر أسد الغابة ١٥٦/٣ .

(٤) ذات السلاسل : إحدى حملات الرسول ﷺ إلى حدود الشام قادها عمرو بن العاص وأمدّه النبي ﷺ بجيش آخر قاده أبو عبيدة بن الجراح وكان معه أبو بكر وعمر بن الخطاب « إعلام النبلاء ١٠٢/١ » .

يدعوه إلى الاسلام . فقال الراهب وكان اسمه شرخوب^(١) بن كيوان : قد بلغني أنكم تقولون ما خلق الله خلقاً أعظم ولا أكرم من محمد ﷺ ، وتركتم آدم ونوحاً وإبراهيم واسحق ويعقوب والأسباط^(٢) وموسى وداود وسليمان وعيسى ، وأريد أن تبين لي حقيقة ذلك . فقال ورقة بن الصامت : اسمع ما أقول ، ولا ترغ عن القول إن كان لك عقل ومحصل ؛ أما علمت أن عالم الملكوت اجتمعوا بغرفة البيت المعمور ؟ ووقع بينهم الجدل في تصاريف الأمور ، وافتخروا - الكريئون - على الروحانيين والمسبحون على المقرئين ، فزاحمهم إبليس ببدء عبادته وتشديد ما أتى من أمر زهادته ، وقال : أنا المخلوق من ضرام النار ، البارز في خدمة العزيز الغفار ، أين أنتم من وقوفي على أقدام الاهتمام مائة ألف عام ، وتعبدي في السموات وأكنافها ويروجها ، وأعرافها وأوساطها وأطرافها ، وجبال الأرض وأحقافها ، فعارضه جبريل بالامتحان والابتلاء ، وصرفه عن محجته والافتخار والادعاء ، وقال له : ما أنت من الفخر إلا في الحضيض المحضوض ؛ إن نبياً لله تعالى في عالم الملكوت محجوباً قد طال اشتياقنا إليه ، ووعدنا بالخير فيما لديه وجعل نهاية عبادتنا الصلاة عليه .

قال : فأيقن في المفارقة بالنزول ، ومن إطلاع شمس ادعائه بالأفول . وقال : يا أمين الملائكة هل إلى لقائه من سبيل أو إلى الوصول إليه من دليل ؟ فقال جبريل : اقطع مسافة الإنابة وخُض بحار الاعتراف بعز الربوبية ، وارتق إلى جبال العز المكين ، تجد يتيمة قد كُوتت من نور التكوين منقوش عليها بقلم التمكين ، ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ . فخلع^(٣) عنه ملابس العمل ، واستعمل

(١) ورد اسمه في فتوح الشام للواقدي شوجوان بن كربان / ٢ / ٦١ / والفتوح لابن الأعمش ٢٥١ / ١ .

(٢) الأسباط : أبناء يعقوب عليه السلام .

(٣) انظر : نص الحوار بين ورقة ابن الصامت والراهب في : فتوح الشام للواقدي جـ ٢ ص ٦١ .

أجنحة الأمل ، وألقى تلاوة الادعاء ، ونكس تاج الكبرياء ، واستعد لقوادم الطلب ، وداخله من قول جبريل غاية العجب .

وجعل يتحبُّ عند بُدُوِّ السَّبَبِ ، ويحذر من سوء المنقلب ، وقال :
يا لله العجب ، أنا مع صدق طويتي في المعاملة والأنابة ، وخلوص سريرتي في طلب الزيادة والمثابة ، هل يكون أحدٌ في الوجود مثلي ؟ أو يبلغُ إلى درجةٍ فعلي ؟ وكيف ذلك ؟ فإذا ارتفعت رأسي بالتسبيح أعاينُ ما حول العرش ، وإذا سجدت لعظمته ، أنظرُ ما تحت العرش . فنودي : أنفتخر علينا بجواهر طاعتك ، وتوفر أسباب بضاعتك ، ونحن وفَّقناكَ لمعاملتنا ، وسهَّلنا عليك طاعتنا ، وبيَّنا لك أطراف أرضنا وسمائنا ؟ وعزَّتي وجلالي لولا أحمدُ ما خلقت مُلكاً ، ولا أجريت فُلكاً ، ولا أنرتُ قمرأً ، ولا أمضيتُ قدرأً ، ولا أنرت شمسأً ، ولا خلقت إنساً ، ولا أقررت عرشأً ، ولا بسطت فرشأً ، ولا خلقت جنة ولا نارأً ، ولا ماءً ولا بحارأً ، ولا جعلت للفلك بروجأً ولا للسماء فروجأً ، ولا أنرتُ الكواكب ، ولا جعلت النجوم طوالع ولا غوارب ، ولا للدنيا مشارق ومغارب ، ولكن طِرَ بأجنحة عُجْبِكَ في طلب الإيثار ، حتى تميز بين النار والأنوار .

قال : فسار بمعنى التجريد على قدم مطايا التفريد ، حتى اخترق ما بين العرش والكرسي ، واختبر كل جنِّي وإنسي ، فكلما مرَّ بمعنى من المعاني ، رأى معنى من المعاني ، وذلك أنه رأى أصنافاً من الملائكة^(١) على اختلاف الأحوال من الاجتهاد في الطاعة والأعمال ، وجميع عباداتهم الصادرة موقوفة على خدمة سيد الدنيا والآخرة ؛ فلما علم معنى عباداتهم ، تحقق آثار إرادتهم ، زاد به الاعجاب ، واستعظم وجود ذلك في عالم التراب . قال : يا رب أين يكون واديه ؟ أم كيف السبيل إلى التوصل إلى ناديه ؟ فقيل له : انظر

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٢/٢ .

إلى نهر السلسيل ، تجد هناك إلى نظره سبيل . فسار تحت مشيئة القهر ، إلى أن وصل إلى النهر ، فرأى قصرأ يلوح صفاؤه ، وبأسرار ما فيه يلوح وفاؤه ، دار به المقربون والصادقون والراكون والساجدون ، وقطب عبادتهم قائم على الاستغفار ، لأنه صاحب المفاخر ؛ وكلما سَبَّحُوا وأَمَّنُوا يستغفرون للذين آمنوا . قال : فانتظم في سلكهم أو سلك في سبيل مسلكهم ليفوز بالنظر ، ويُعَدَّ في جملة من حضر ، وإذا بنور أحمد قد تعلَّى ، ومن شرفات القصر قد تجلَّى ، فسجدت الملائكة له بمعنى التعظيم ، وقالوا : ﴿ إِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] . فَبَهَتْ المارد لما غشيهم النور الوارد ، فنطق لسان حسده بما في جسده . قال : من ذا الذي ملأ الأكوان بعبادته ، وافتخر على الملائكة بخالص مجاهدته ؟ وإذا بالنداء : معاشر الملائكة ، دعوا النظر إلى المعاني ؛ وتحققوا الفضائل والمعاني ، فحدقت الملائكة نحو القصر بالأعين ، وإذا في جوانبه أربعة أعين . قالوا : يا رب العزة ، قد تركنا العناء فما حقيقة المعنى . فإذا النداء . هذه العيون عيون أنهاره ، وسيوف انتصاره^(١) ، ومعالم مِثَّتْ ، وتيجان سُتَّتْ ، وأبواب علمه ، ومقرُّ حكمه ، وزينة دينه ، وأعلام يقينه ، فأول عين هي عين التصديق ؛ والثانية هي عين التحقيق ؛ والثالثة هي عين الحياء والتوفيق ؛ والرابعة هي عين العلم والشويق .

فعين التصديق لِصِدِّيقِهِ^(٢) وعين التحقيق والعدل لفاروقه^(٣) ، وعين الحياء لصهره^(٤) ورفيقه ، وعين العلم لأخيه^(٥) وشقيقه ؛ فانظروهم بعين التبجيل

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٢/٢ .

(٢) صديقه : أبو بكر الصديق .

(٣) فاروقه : عمر بن الخطاب .

(٤) صهره : عثمان بن عفان .

(٥) أخوه : علي بن أبي طالب .

والوقار ، وأكثروا لهم الدعاء والاستغفار ، فأنا الذي قلت فيهم ﴿ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴾ [آل عمران : ١٧] .

قال : فلما سمع شرخوب كلام ورقة بن الصامت ، لم يردَّ جواباً ولا أبدى خطاباً ، غير أنه علم الحق فكتمه ؛ ولم يزل شرخوب في الدَّير حتى غلب المسلمون على الشام وحلب وفتحوا حلب ، فانتقل إلى زلابيا ، فاستوزره صاحبها إكشفاط ، فلما استشاره في أمر يوقناً قال له : أيها الملك ، اعلم أن يوقناً من الملوك ، وممن قرأ الكتب وقد صحب هؤلاء العرب وأطلع على أسرارهم ، ونظر إلى دينهم وربما علم ، أن دين المسيح أفضل من دين هؤلاء القوم ، وقد هرب إليك بدينه ، فإن كان الرجل قد أتى بغير حَمَلٍ ولا بَرَكٍ ولا تجمُّلٍ ، فاعلم أنه هارب إليك من القوم ، فيجب عليك أن تخرج إلى لقائه وتعظم شأنه وترفع مكانه^(١) . قال : فلما سمع الملك اكشفاط ذلك خرج بعسكره إلى لقاء يوقناً^(٢) وبقي الوزير في القلعة .

وسمعت ابنة يوقناً أن أباه قد أتى ، فنزلت في سِرْبٍ^(٣) لها تحت الأرض مع جواربها وخدمها ، وقصدت القلعة لتأتيه فوجدت اكشفاط ، قد خرج إلى لقائه والوزير في رُبْتِه وزينته ، فزارته وسلمت عليه ، فقام شرخوب إليها وصَعَق بين يديها وخدمها وجلس بالقرب منها ، وتحدثت معه فتحدث الوزير شرخوب معها ، وقال لها : خذي على نفسك الحذر فقد جرى كذا وكذا وإنني أخاف أن يبطش هذا اللعين بأبيك ، واعلمي أنه ما اتبع هؤلاء العرب إلا وقد

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٦٢/٢ ، والفتوح لابن الأعمش ٢٥٠/١ .

(٢) يوقنا : هو بطريق حلب وملكها ولما فتح المسلمون حلب اعتصم يوقنا بقلعتها حتى انهزم ثم أسلم وسمي عبد الله يوقنا وحسن اسلامه وشارك في فتوح الجزيرة « انظر فتوح الشام للواقدي ١٥٥/١ - ١٦٠ » .

(٣) سرب : طريق أو ممر سري تحت الأرض .

تحقق عنده أن دينهم هو الحق وقولهم الصدق . فقالت له : ما تقول في دين هؤلاء العرب ؟ قال : والله هو دين الحق ، وقد كنت كاتم ذلك السر . قال : فلما سمعت ذلك تبسمت وقالت : والله لقد رضيت لنفسي ما رضي أبي لنفسه ، ولكن اكنتم ما معكم وإلا عَطِبْتُمْ^(١) .

قال الواقدي : وإن اكشفاط التقى بعبد الله يوقنا ، وسلم بعضهم على بعض . وترجل كل واحد منهما لصاحبه وتعانقا ، وشكى كل واحد منهما ما يجد من الشوق لصاحبه ثم بكيا ، والتفته ابتته وبكت . قال : واكشفاط مضمر على قبض يوقنا ، ثم التفّت إليه وقال : أيها الملك كيف رأيت زئي هؤلاء العرب في دينهم ، وعدلهم وسياستهم في ملكهم ؟ قال له يوقنا : إن القوم يزعمون أنهم لا يريدون ملك الدنيا وإنما يريدون الآخرة ، ومع ذلك فإنهم ملكوا أرض الشام وأرض مصر ، ما تغيّروا عن طباعهم ، وأنفسهم الدنيئة ؛ وأول القول وآخره : إن القوم يظهرون الناموس حتى يملكوا البلاد . وقد كشفت أسرارهم ، وبلوث أخبارهم ، ورأيت بيان ما هم عليه ، فهربت منهم وبعدت عنهم ، بعد أن ظننت أنهم على الحق ونصحتم لهم ، وملكتهم عكّة^(٢) وطرابلس وصور^(٣) وإنطاكية^(٤) ، ولقد علمت أن المسيح غضب علي إذ تركت دينه ، وما أمر من القربان ، وما رضى لِمَارَ يُحَنَّا^(٥) المعمدان ،

(١) عطبت : هلكت .

(٢) عكة : هي مدينة عكا بفلسطين على ساحل بحر الشام وهي كبيرة وحصينة فتحها المسلمون سنة ١٥ هـ بقيادة عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان . معجم البلدان ١٤٤/٤ .

(٣) انظر : فتح الشام للواقدي ج ٢ ص ٦٣ والفتح لابن الأعمش الكوفي ١/٢٥١ .

(٤) انطاكية : مدينة ساحلية هامة كانت قصبة الثغور الشامية ولها سور منيع له سبعة أبواب وبجانبها قلعة كبيرة وتبعد عن حلب مسيرة يوم وليلة « انظر : معجم البلدان ٢٦٦/١ ، ومراصد الاطلاع ١/١٢٤ » .

(٥) مَرِيحَنَّا : هو القديس يوحنا ، أو النبي يحيى عليه السلام المعمدان .

ولست أظن أن أنقَى من درن الذنوب ومساوئ العيوب ؛ ثم أظهر البكاء والتخشع والشكوى . فلما عاين اكشفاط ما فعله وكشف قوله ، انطلى عليه كلامه ثم قال : أيها الملك إن كنت قد ندمت على قبيح فعلك ، ورجعت إلى الدين الصحيح بقلبك ، فأبشر بقبول التوبة ، وزوال الحوبة ، واعلم أن باب التوبة مفتوح ، وعَلِمُ القبول لأهل الندامة يلوح ، وقد قرب عيد الصليب ، وبيننا وبينه عشرون يوماً ، وهذا قرياقس الراهب بدير^(١) السكرة بالقرب منا على فراسخ ، وهو معظم في دين النصرانية ، ومن علمه يتعلمون ، ومن فضله يستفيدون . وليس بعد أشعيا^(٢) وبحيرا^(٣) سواه . فإذا كان ليلة غدٍ سرنا إليه ، ومعنا النذور والشمع والستور ، وقناديل الذهب والفضة ، نُذِرُ المؤيرة فيغمسك في ماء المعمودية ، فتخرج منها نقياً من الذنوب كيوم ولدتك أمك . فقال يوقنا : ليس من مهلة إلى عيد الصليب ، فإني لا أدري متى الموت ، ولعله ينزل بساحتي قريباً . فقال له اكشفاط : اعلم أيها الملك أنَّ الراهب المعظم قرياقس ، ليس يحضر في ديره ، إلا في الأوقات المعظمة والأعياد المكرمة . فقال يوقنا : وأين هو الآن ؟ قال : بقرب قرقيسياء^(٤) ، في الكنيسة المعظمة وهي بيعة^(٥) مارجرجس تحت كنف الملكة المكرمة أرمانوسة وبعلمها شهريابض . فلما سمع يوقنا ذلك من كلام اكشفاط . قال : أريد المسير^(٦) إليه ، والقدوم عليه ، حتى أنسلخ من دين القوم وأعود إلى ديني ، وإلا فليست نفسي ساكنة . فقالت له ابنته : يا مولاي لست أدعك حتى أتملا بك ، وبالنظر

(١) دير السكرة : هو دير السكرة القريب من قرقيسياء . « الديارات ص ٢٤١ » .

(٢) أشعيا : أحد أنبياء بني اسرائيل .

(٣) بحيرا : هو الراهب بحيرا راهب مدينة بصرى الشام قبل الإسلام .

(٤) قرقيسياء : مدينة هامة بالجزيرة وبها قلعة حصينة وتقع عند ملتقى الخابور بالفرات « ابن الأثير الكامل ٣١١/٤ » .

(٥) بيعة مارجرجس : انظر ص ٤٥ والأعلاق الخطيرة ١٥١/٣ .

(٦) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٣/٢ .

إليك فقد رجعت لهفتي عليك . ثم وثبت وقبّلت الأرض بين يدي اكشفاط ،
وقالت : يا سيدي أريد أن تأذن لأبي يسير معي إلى حصني . فقال اكشفاط :
لست أسمح به الليلة لغيري ، وأما ليلة الغد فيكون عندك . فعلم يوقنًا أنه إن
أكل من طعامه لا بد أن يكون فيه لحم خنزير ، فقال : أيها السيد أينما كنت
كنت في نعمتك وخيرك وجودك . ثم تكلم الوزير شرخوب وقال لأكشفاط :
اعلم أيها الملك أن الملك يوقنًا كثير الشوق إلى ابنته ، وله زمن ما رآها
وما يخفى عليك ما يجد كل واحد منهما من الشوق إلى صاحبه ، والصواب أن
يكون الليلة وغداً عندها ، وترجع النوبة إليك . فقال اكشفاط : لعمري هذا
هو الرأي عندي . فعندها قام عبد الله يوقنًا وابنته ونزلا في السّرب إلى القلعة
الثانية ، وعَبَرَ أصحابهما في المعبر إليهما .

فلما جنَّ الليل ، قالت الجارية لأبيها : يا أبت كيف تركت العرب بعد
صُحبتك لهم ونصحتك إليهم . أرأيت أن القوم على الباطل أو أن دينك الأول
أفضل منه فرجعت إليه ؟ فقال يوقنًا : والله يابنية ما أتيت إليك إلا من شفقتي
عليك من وقت افترقنا في الدنيا ، وأخاف الفراق عنك في الآخرة ، وقد علمت
قطعاً و يقيناً أنَّ هذين الحصنين لا ثبات لهما بين يدي العرب ، وأنت تعلمين^(١)
أن قلعتي كانت أمنع من كل قلعة في الشام ، وقد ملكتها العرب ، وأزاحوا
ملوكنا من أرضهم وبلادهم . فاتقِ الله في نفسك واعلمي في خلاص شخصك
من يد الزبانية ، والجحيم الحامية ، والخلود في الهاوية ، وارجعي إلى الله من
قريب ؛ فوالله يابنيه ما لله من دين أفضل من دين الإسلام ، وعليه كان المسيح
والأنبياء عليهم السلام ؛ وإنما فرَّعَ للنصارى هذه الفروع وعدَّلَ بهم عن الحق
المشروع ، رجل يقال له : بولص وكان عالماً من علماء اليهود فحيدهم عن
الطريق ، وشرع لهم شرائع]^(٢) بما جاء به الخليل والكليم ؛

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٣/٢ .

(٢) بياض في الأصل .

وهؤلاء العرب قد اتبعوا ما أمر الله به نيته ﷺ ، باتباعه من القول الراجح ، والفعل الصالح ، لا جَرَمَ طَلَّقُوا الدنيا ثلاثاً وطلبوا بعد الاجتماع شتاتاً ، وعلموا أن عظامهم ترجع رفاتاً ، ثم تَلَّوْا ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتاً ﴾ [النبا : ١٧] . فارضي لنفسك ما رضي ابوك ، ولا تتبعي ما كان عليه أهلوك .

قالت : والله ما قلت شيئاً إلا وأنا عارفة به ، وقد رضيت لنفسي ما رضيت لنفسك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ففرح أبوها بإسلامها وقال : يا بنية ما الذي نصنع في أمر هذا الكافر اللعين ؟ فقالت : والله لقد قال وزيره شرخوب : إنه مضمّر على قبضك ، وقد قال : إنك ما أتيت إلا لتنصب^(١) عليه . قال لها يوقناً : فإذا كان الأمر على ما ذكرت فاصنعي غداً سماطاً^(٢) وسيري إليه واستدعيه إليه هو وخاصته^(٣) ، وأنا أمر أصحابي يقبضون عليه إذا اشتغل بالطعام ؛ فإذا فعلنا ذلك . كانت قلعتة في أيدينا وفي قبضتنا ، ونسلم ذلك لأصحاب نبينا . ولعله تحصل قرقسياء في أيدينا وفي قبضتنا ، ولعل الله يفتحها على المسلمين . فقالت له ابنته هذا هو الرأي .

قال الواقدي : فلما ولّى الليل بظلامه وأقبل النهار بضياته ، أمرت غلمانها بصنع الطعام وتجهيز السماط وتقديم الأطعمة والحلاوات وغيرها . فلما صنع ذلك ووضعت الموائد عليها من كل حارٍ وباردٍ ، ثم نزلت في السَّرب وقصدت إلى القلعة الثانية ووقفت أمام اكشفاط وصفقت له ، فقام لها إعظماً وقال لها : كيف حال الملك يوقناً ؟ من أشغل سره بدينه . فقالت : أيها الملك إنه ما نام البارحة من تفكيره في القيامة وأهوال الجحيم ومآلها ، ولقد أراد اليوم المسير

(١) تنصب عليه : تحتال عليه .

(٢) السماط : الطعام يوضع على مائدة كبيرة .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٣/٢ .

إلى مدينة قرقيسياء ، وأن يقصد الراهب المعظم قرياقس ، ولقد أخرته إلى أن يأكل السماط ويمضي إلى بيعة مارجرجس حتى يرجع إلى دينه . وقد أتيتُ إليك لتحضر بنفسك وخواص قومك لأكل طعامي ، وشرب مدامي . فأبى اكشفاط ذلك مما يجد من الألم على يوقنا إذ لم يبت عنده حتى يقبض عليه ، فقال له وزيره شرخوب : أيها الصاحب ليس هذا من الرأي ، وإن أنت امتنعت نفر قلبه منك ، وما يدريك أيها السيد أنه قد ندم على ما سلف وقد أقر بذنبه ، وإنك إذا أكلت سماطه وسماط ابنته ، ودعوتهم أنت لسماطك فانت إذا تفعل ما تشاء وتريد^(١) قال : وكان الكلام من شرخوب لاكشفاط سراً عن ابنة يوقنا .

فقام الوزير عند ذلك على قدميه وقال : قد أجابك إلى ما سألت ، فصعقت بين يديه . ثم قال للوزير : احفظ منصبي حتى أعود إليك - ولم يكن له ولد يرثه - ثم إنه أخذ معه خواص قومه وحجابه وبني عمه ، ونزل في السرب ، والجارية أمامهم وخدمها وجواربها بالشمع المكوف^(٢) والمُعبر^(٣)

ولما نزل في السرب . قال الوزير : إنه ما يعود .

قال : فلما حصل إكشفاط في قلعة زلابيا . وثب للقائه يوقنا وأصحابه وقد وصاهم بما يصنعون . فلما التقت العين بالعين أقبل يوقنا ليعانق اكشفاط ويضمه إلى صدره ، فلما ضمه إليه قبض عليه قبضة الأسد على فريسته وقبض أصحابه على من قدم معه ، وضربوا في الحال رقابهم ولم ينتطح فيها عنزان . قال : وليس عند أحد من الناس خبر ، ثم نزلوا من وقتهم في السرب وقصدوا زبَاء ، فوجدوا الراهب شرخوب ينتظرهم ؛ فلما رآهم تبسم وأعلن بكلمة

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٦٤ / ٢ الذي انفرد بهذه الرواية دون غيره من المؤرخين الذين سبقوه أو جاؤوا بعده .

(٢) الشمع المكوف : هو الشمع المنقوع بالكافور .

(٣) الشمع المعبر : هو الشمع المنقوع بالعنبر .

التوحيد ولم يتلعثم ، وقال : والله أنت هو يا عبد الله ، فلقد شرح الله صدرك للإيمان في سريرتك ، وأرضيت المطلاع على حسن سيرتك ؛ فجزاه يوقناً خيراً وقعد على سرير اكشفاط ، وجعل يدعو بالرجال ويعرض عليهم الإسلام فمن أبى قتله ، ومن أسلم تركه . وضمن بعضهم إلى بعض حتى لا ينهزم أحد منهم إلى صاحب قرقيسياء . فيحدثهم بما صنع يوقناً .

قال : ثم بعد أيام أشرف عليهم عبد الله بن عتبان وسهيل^(١) بن عدي في ألفي فارس فأراهم يوقناً^(٢) التمتع والأعراض وناصبهم القتال خمسة أيام ؛ وقد علم أن ذلك حيلة . ثم بعث إليهم في السر يعلمهم بما كان والقلعة في قبضته ، واللييلة نسلها لكم وأنوي الهرب إلى مدينة قرقيسياء ، فلعل الله تعالى يفتحها عليكم ؛ فلما كان من الليل أمر شرخوب أن يسلم زبائن إليهم ثم رجع إلى القلعة الثانية ، والمسلمون قد أعلنوا بالتكبير والتهليل ، ووقع الصياح من كل جانب ، وأشهروا القواضب^(٣) .

قال الراوي : وفي ذلك اليوم وصل رسول صاحب قرقيسياء بالهدايا والتحف إلى يوقناً ويهنييه بالسلامة وبهروبه من العرب والرجوع إلى دينه . فقبل يوقناً الهدية وأنزل الرسول في خيام أصحابه من الجانب الشرقي . فلما كان من الليل ، ثار الصحابة في قلعة زبائن وأروا يوقناً الفزع والهلع . وقال : وحق ديني ما هؤلاء العرب إلا شياطين . ثم أخذ بعض أموال ابنته وهرب مع أصحابه وابنته في الليل يطلبون إلى قرقيسياء ؛ وفي ذلك قال طريف بن سهم^(٤) أحد بني ربيعة بن مالك حيث يقول : [من البحر الطويل] .

(١) سهيل بن عدي : انظر : أسد الغابة ٢/٣٦٨ . والكامل لابن الأثير ٢/٥٣٢ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/٦٤ .

(٣) القواضب : السيوف .

(٤) طريف ابن سهم : لم أعثر على ترجمة له ، إلا ما ذكره الواقدي في فتوح الشام من أنه أحد بني ربيعة بن مالك « ٢/٦٤ » .

أَتَيْنَا إِلَى أَرْضِ الْفُرَاتِ وَتَبِيعَهُ
 وَقَدْ أَمَّنَّا لَيْثَ الْحُرُوبِ وَشَهْمَهَا
 فَذَلِكَ يُوقِنَا عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ
 وَقَاتِلَ أَبْنَاءَ الصَّلِيبِ وَحِزْبَهُمْ
 وَحَامَ عَلَى الْمَلْعُونِ صَاحِبِ قَلْعَةٍ
 وَمَلَكْنَا لِلْقَلْعَتَيْنِ^(٢) كِلَاهُمَا
 سَيُلْقَى غَدَاةَ الْخَشْرِ يَوْمَ مَعَادِهِ
 وَنَحْنُ نَرُومُ الرُّومَ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ^(١)
 هَمَامٌ شَجَاعٌ فِي الْحُرُوبِ مُبَادِرٍ
 لَقَدْ نَاصَبَ الْأَعْدَاءَ حِيلَةً غَادِرٍ
 بِحَدِّ حَسَامٍ جَيِّدِ الْحَدِّ بَاتِرٍ
 فَأَرَدَاهُ فِي الْحَالِ سَكْنَى الْمَقَابِرِ
 بِسُغْدٍ وَإِقْبَالٍ وَنُصْرَةٍ نَاصِرٍ
 بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَحُورٍ قَوَاصِرٍ^(٣)

قال سيف بن عمر التميمي : حدثنا الأسدي عن المهلب قال : أخبرنا طلحة عن محمد بن أبي الدُقَيْلي بن مَيْسُور قال : لما كان من أمر يوقنا واكتشاف ما ذكرناه ، فأرى الهزيمة من نفسه وسار مع ابنته وأصحابه يرومون قرقيسياء ومعه الرسول الذي جاء بالهدية من شهرباط صاحب قرقيسياء ، ولم يزلوا في الهزيمة إلى أن أتوها مساءً ودخلوا على شهرباط وأعلموه بأخذ القلعتين ، وكيف غدرتهم العرب .

قال الواقدي : فأيقن بهلاكه وأخذ بلده . فقال له يوقنا : أيها السيد لا تخف فتحن نقاتل بين يديك حتى نقتل دونك ، وإن نزلوا عليك يريدون حصارك أو ريتك العجب في قتالهم ، وأنصُبْ لك على أبطالهم ولن يصلوا إليك بسوء . قال : فوثق بقوله وخلع عليه وطيب قلبه وأنزله في دارٍ بإزاء دارٍ مملكته ، وبعث شهزياض من ليلته تلك رسولا إلى خاله وهو يومئذٍ ملك أرض^(٤) ربيعة إلى رأس العين يستنصره على العرب ويعلمه بأخذ العرب زبَاء

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٤/٢ .

(٢) القلعتين : هما قلعتا زبيا وزلابيا .

(٣) قواصر : أي قاصرات الطرف .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٦٥/٢ ، والخراج لأبي يوسف ص ٤٠ .

وزلايا^(١) . وأن الرجل المعظم يوقنا قد هرب منهم بعد خدمته لهم ، فسار الرسول في البرية إلى دير مَرِيع^(٢) ، وقصد المَجْدَل^(٣) ، ونجم منه إلى رأس العين فوجد الملك شهباض قد حصَّنها بأعظم تحصين ، وأعدَّ أهلها آلة الحصار ، وزاد في عرض الخندق ونصب خيامه وسراجه غرباً منها على طريق الثَّقَب^(٤) ، وهو مَعَوَّلٌ على لقاء عياض بن غنم ، وقد جمع إليه عرب الجزيرة كُلُّهُمْ من بني تغلب^(٥) وغيرهم ، وإياد^(٦) الشَّمْطَا واستدعى بساداتهم . وهم : نوفل بن مازن ، والفريد بن عاصم ، والأشجع بين وائل وميسرة بن عاصم وحزام بن عبد الله وقارب بن الأصم ، وقال : يا قبائل العرب لم نزل نرعى كبيركم وصغيركم وعبيدكم ، وقد أَبْخَنَّاكُمْ^(٧) أرضنا ترعون في حَزْنِهَا وسَهْلِهَا ، ونرضى منكم بما تُؤَدُّونَ إلينا من أتاواتكم ، وأنتم واحد مثنا ، وهؤلاء بنو عمكم قد ملكوا الشام ومعاقله ولم يَنْقُعْهُمْ ذلك حتى أتوا إلينا ، يريدون أن يزاحمونا على ملكتنا أو يخرجونا من أرضنا ، وقد علمتم أن القوم إن ظفروا بكم ما يُبْقِوكُمْ ، ولن يَرْضَوْا منكم إلا أن تدخلوا في دينهم ، فإن

-
- (١) انظر فتوح الشام للواقدي ٦٥/٢ .
(٢) دير مريع : لم أعر في كتاب الديارات على هذا الدير ، كما ورد اسمه في الأصل . ولعله دير مريباً الواقع في بركة حران » انظر اللؤلؤ المنشور ص ٥١٤ .
(٣) المجدل : قرية سورية من قرى نهر الخابور وعلى التل المجاور لها بقايا آثار لقصور وأسواق » معجم البلدان ٥٦/٥ .
(٤) الثَّقَب : موضع يقع قرب رأس العين .
(٥) تَغْلَبُ : قبيلة عربية تنسب إلى جد قديم يدعى » تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب ابن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان » وموطنها الأصلي نجد والحجاز ثم هاجروا إلى ديار ربيعة بالجزيرة / اللباب ٢١٨/١ .
(٦) إياد الشَّمْطَا : وهي قبيلة إياد بن نزار ، بطن عظيم من العدنانية منازلهم بالجزيرة . ولما فتح المسلمون الجزيرة دخلوا بلاد الروم ، فطلب الخليفة عمر من ملك الروم أن يعيدهم ففعل . معجم قبائل العرب ٥٢/١ و ٥٤ .
(٧) أَبْخَنَّاكُمْ : أي سمحنا لكم باستباحة أرضنا مرعى ومتزلاً لكم ولمواشيكم .

رأيتهم أن تقاتلوا عن دينكم وأهلكم ومالكهم ، فنحن نكون يداً واحدة ، ولا نتفضل عنكم بشيء ، كما كان جبلة^(١) بن الأيهم ، وآل غسان^(٢) مع الملك هرقل ؛ فإن نحن نُصِرْنَا على القوم ، فالأرض لنا ولكم على السواء ، وإن كانت الأخرى أبلينا بلاءً حسناً ونموت^(٣) على دين واحد ، ويبقى ذكرنا إلى الأبد ما قام قائم وقعد . قال : فأجابوه إلى ذلك وتحالفوا أن يموتوا على سيف واحد . فأعطاهم الأموال والعدد والسلاح وساروا معه .

قال الواقدي رحمه الله : وإن رسول صاحب قرقيسياء لمّا قدم عليه ووقف بين يديه ، ناوله الكتاب فلما قرأه وفهم معناه وأنه يطلب منه النجدة ، أنفذ إليه يُوريك الأرمني وهو الذي بنى تل المؤزر^(٤) والليثي^(٥) ، وتل عرب^(٦) وعابدين^(٧) ، والسن^(٨) والسويدا^(٩) ، أنفذه مع أربعة آلاف فارس فلما قدم

-
- (١) جبلة بن الأيهم : هو آخر ملوك الغساسنة بالشام عند الفتح الإسلامي لبلاد الشام وغادها مع الروم إلى القسطنطينية .
 - (٢) آل غسان : وهم الغساسنة سكان جنوب الشام وحوران ويتنسبون إلى مازن بن الأزد وسموا غسان نسبة إلى ماء غسان / معجم البلدان ٤ / ٢٠٤ .
 - (٣) انظر : خبر تحالف شهرياط مع ربيعة وإياد في : فتوح الشام للواقدي ٦٥ / ٢ وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٩٨ / ١ .
 - (٤) تل المؤزر : قلعة هامة وحصينة في كورة المؤزر قرب نصيبين وهي بين ديار مضر وديار بكر على بعد يوم واحد من مدينة حران / معجم البلدان ٥ / ٢٢١ .
 - (٥) الليثي : إحدى الحصون القريبة من نصيبين / فتوح الشام ٦٥ / ٢ .
 - (٦) تل عرب : إحدى الحصون القريبة من نصيبين / نفسه .
 - (٧) عابدين : بلدة من أعمال نصيبين في تركيا حالياً وهي قصبة كورة واسعة وسكانها آراميون أصلاً وهم بعاقبة المذهب . وتقع في سفح جبل متصل بجبل الجودي . / معجم البلدان ٤ / ٤٨ وبلدان الخلافة ١٢٤ .
 - (٨) السن : هي قلعة السن في الجزيرة قرب سميساط وتعرض وتعرف بسن ابن عطير وهو رجل من بني نمير معجم البلدان ٣ / ٢٦٩ .
 - (٩) السويدا : بلدة مشهورة بديار مصر قرب حران / معجم البلدان ٣ / ٢٨٦ . ووردت السويدا وهو خطأ .

يوريك الأرمني بمن معه إلى قرقيسا ، فقطعوا جسرهم الذي على الخابور^(١) وكان للجسر أعمدة من الحديد وعليها السلاسل ، وعلى السلاسل رماح وذلك أيضاً من ناحية الفرات ، وحفروا حول مدينتهم خندقاً عميقاً عريضاً وحصّنوا على أنفسهم غاية التحصين ، وأقاموا ينتظرون عسكر أصحاب رسول الله ﷺ^(٢) .

٣ - فتح قرقيساء في سنة ١٧ هـ

قال الواقدي : ولما ملك عبد الله بن عتبان القلعة الغربية حين سلمها إليهم الوزير شرخوب عن أمر يوقنا ، وأن الراهب شرخوب دلّهم على السرب إلى القلعة الثانية ، فملكوها واحتوا على ما كان في قلعة زباء من مال اكشفاط وخزائنه وعدده وسلاحه ، وكتب الكلّ إلى عياض بن غنم ، وكتبوا له في السر بما صنع عبد الله يوقنا ؛ فشكره ودعا له ، وأنفذ إلى عبد الله بن عتبان ، وإلى سهل : « أن احتفظوا بما في القلعة الثانية ولا يؤخذ منها^(٣) درهم واحد حتى يتسلمه يوقنا وابنته ، واتركا على القلعتين من تثقان به من خيار المسلمين واطلبا قرقيسا ، وانزلا عليها والسلام » . فلما وصل الكتاب من عند عياض بن غنم إلى عبد الله بن عتبان وسهل بن عدي ، فعلا ما أمر به عياض بن غنم^(٤) ، ووليّا على القلعة الغربية الأخوص بن عامر المزني^(٥) في مائة فارس ، وعلى

(١) نهر الخابور أحد روافد الفرات وينبع من كورة رأس العين ويصب في نهر الفرات بأرض الجزيرة قرب الميادين / مرصد الاطلاع ١ / ٤٤٤ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٥ / ٢ ، والفتوح لابن الأعمش الكوفي ٢٥٢ / ١ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٥ / ٢ ، والفتوح لابن الأعمش الكوفي ٢٥٢ / ١ .

وانظر فتح قرقيساء في الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ٥٣٢ .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٦٥ / ٢ ، وانظر قرقيساء في كتاب معجم ما استعجم ٥٦٨ / ٢ .

(٥) الأخوص بن عامر المزني : نفسه .

القلعة الثانية الشرقية زياد^(١) بن الأسود البربوعي في مائة فارس ، ثم مضى عبد الله وسهل إلى قرقيساء ، فحال بينهم وبينها الفرات ودلّهم بعض سكان تلك الأرض على مخاص يعرفونه ، فعبروا منه بالليل وصاروا إلى أرض واحدة مع عبد الله ، وبعثوا إلى : ماجن^(٢) والمَحُولَة^(٣) والبديل^(٤) والصَّور^(٥) ، وضمُّوا أهلها وبعثوا لهم الأمان في منازلهم ، وقالوا : إن كانت لنا فقد أحسنَّا معكم الصُّنع ، وإن كانت علينا وانصرفنا عنكم ، شكرتمونا على عدلنا فيكم . فأجاب القوم إلى ذلك .

قال : حدثني هلال بن عاصم عن يحيى بن جبير عن سوار بن زيد الأسلمي . قال : لما بعث عبد الله بن عتبان وطيّب قلوب من ذكرنا من أهل القرى ، ووطنهم في مواطنهم بعث بعد أيام برجل من أهل الدين والصلاح والعفة واليقين ، اسمه : سهل^(٦) بن أساف اليمني ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ، من أهل الحرب وأنفذ معه مائة فارس من المسلمين ليأتوا بالعلوفة من نحو ، [مَا سَكَنَ^(٧) وَعَرَابَانَ^(٨)] . وسار سهلٌ رحمه الله ، فلما

-
- (١) زياد بن الأسود البربوعي : نفسه .
(٢) ماجن : إحدى القرى القريبة من قرقيساء على الجانب الشرقي من الفرات ، الفتوح لابن الأعمش ٢٥٨/١ .
(٣) المحولة : إحدى القرى القريبة من قرقيساء على الجانب الشرقي ، الفتوح لابن الأعمش ٢٥٨/١ .
(٤) البديل : إحدى القرى القريبة من قرقيساء على الجانب الشرقي ، الفتوح لابن الأعمش ٢٥٨/١ .
(٥) الصَّور : بلدة وقلعة شمالي شرقي ماردين على بعد يوم منها / اللؤلؤ المنشور ٥١٧/ وبعانها مرج واسع وكورة هامة / الأعلام الخطيرة ٥١٧/ .
(٦) سهل بن أساف اليمني : لم أعثر له على ترجمة .
(٧) ماسكن : وهي بلدة ماكسين وتقع إلى الجنوب من عرابان في منتصف الطريق بينها وبين قرقيساء وهي من قرى الخابور من ديار ربيعة انظر : / معجم البلدان ٤٣/٥ .
(٨) عرابان : بلدة بالخابور من أرض الجزيرة في ديار ربيعة وتقع على تل مرتفع وبها قلعة =

كان بالقرب من (السَّمانية)^(١) شَرَّ الغارة عليها واستاق أموالها ونَعَمَها^(٢) .

فخرج عليه نُوْفُلُ بن مازن الإيادي ، وهو أحد إيادي الشمطا^(٣) في خمس مائة فارس من إياد ، فاستخلصوا الغنيمة وحملوا عليهم ، فقال سهل بن اساف لأصحابه : اعلّموا أن العدو كثير وجَمٌّ غفير ، وليس يُنْجِيكُمْ إلا صدق العزيمة ، فاحملوا ولا تُمهّلوا ، ورماحكم في صدورهم فاطعنوا ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وعجّلوا . قال : فحمل القوم يَقْدُمُهُمُ التوفيق وقد اتَّضح لهم الطريق ، ونشروا رايات التحقيق ، وتزاحموا في كل فج عميق ، قد طَلَّقُوا الدنيا وفيها زهدوا ، ومن الميل إلى زَخرِها أبعَدوا ، كأنهم لإِهلال القيامة قد شهدوا ، قد استبشرت نفوسهم ، وهداهم قُدُّوسُهُم ، وأشرقت من أبراج الصدور شمسُهم ، وأقبلوا يطلبون التوصل إلى أبواب الشهادة ، حتى يحصل لهم مقام السعادة . وإذا قد نُودوا من نور الصُّدور : ابشروا برضى الملك الغفور ، لأنَّا قد انتقدنا سرائركم على محكِّ الانتقاد . فوجدناها سالمة من بهرج فساد الاعتقاد ، وسمعنا منادياً لطيفاً يقول : ﴿ إن الله بصير بالعباد ﴾ [غافر : ٤٤] فسيروا للقوم في بيداء الطلب ، فلعلكم تحصلون على المقصود والأرب ، وأكثرُوا من الزاد لتصلوا إلى المراد . فقالوا : وما الزاد الذي نكثر منه ولا نحيد عنه ، فجاءهم الجواب ﴿ ممن على العرش استوى ﴾ [طه : ٥] ﴿ تزوّدوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [البقرة ١٩٧] فعندها حملوا بأسرارٍ صافية ، ونيات وافيه ، وهمم سامية ، وأفعال نامية ، وقلوب تزهر بالإيمان ، وألسنتهم تنطق بذكر الرحمن^(٤) ، ولم يزالوا في قتال ، وحرب ونزال ، إلى أن

= لها سور منبع / بلدان الخلافة ١٢٧ ومعجم البلدان ٩٦ / ٤ .

(١) السَّمانية : وهي بلدة الشَّمانية على نهر الخابور . / مرصّد الاطلاع ٨١٠ / ٢ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٦٦ / ٢ ، والفتوح لابن الأَعمش ٢٥٨ / ١ .

وانظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤ / ٢ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٦ / ٢ ، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٩٨ / ١ .

(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٦ / ٢ .

فُقِدَ من المسلمين ثلاثون رجلاً ، وأُسر ثلاثة وعشرون رجلاً من جملتهم أميرهم سهل بن اساف ، وانهزم الباقيون إلى عسكر عبد الله بن عتبان وسهل بن عدي ، وحَدَّثُوا أصحابهم بما كان من المتنصرة ومنهم ، فعظم عليهم وكبر لديهم وقالوا : اكتموا الأمر حتى لا يشمت بنا أعداء الله .

قال : حدثني نوفل بن عامر عن سالف بن عاصف قال : حدثني جدي سالم بن عبد الله الدوسي قال : كنت مع سهل بن اساف حين أغار على السَّمانية ، وخرج علينا الإيادي نوفل بن مازن . قال : والله لقد قاتلنا قتالاً ، ما شوهه مثله ، حتى إذا كان من أمر الهزيمة ما كان قال سالم بن عبد الله : وكان من جملة من قُتل تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ^(١) ، مِمَّنْ شهد معه المواطن المشهورة ، وهم : زاهر^(٢) بن قادح ، وماجد^(٣) بن بشر ، وجابر^(٤) بن ياسر ، وحبيب^(٥) بن قارب . وسعد^(٦) بن جامع ، وأوس^(٧) بن عباد ، والشريد بن ساعد^(٨) ، ومَعْمَر بن^(٩) السَّلِيط وأُمِيَّة بن^(١٠) بشر ، والباقيون من قبائل مختلفة . وأما الذين أُسِرُوا فهم : عَطَّاف بن^(١١) نعيم ، والمسيب^(١٢) بن

-
- (١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٦/٢ .
 - (٢) زاهر بن قادح : لم أعثر له على ترجمة .
 - (٣) ماجد بن بشير : لم أعثر له على ترجمة .
 - (٤) جابر بن ياسر / الاصابة ١/٢١٦ .
 - (٥) حبيب بن قارب الثقفي / الاصابة ٣/٢٧٦ .
 - (٦) سعد بن جامع : لم أعثر له على ترجمة .
 - (٧) أوس بن عباد : لم أعثر له على ترجمة .
 - (٨) الشريد بن ساعد : لم أعثر له على ترجمة .
 - (٩) معمر بن السليط / لم أعثر له على ترجمة .
 - (١٠) أمية بن بشر : لم أعثر له على ترجمة .
 - (١١) عطاف بن نعيم : انظر : الاصابة ٢/٤٨٣ .
 - (١٢) المسيب بن خالد : لم أعثر له على ترجمة .

خالد ، والحُصَيْن^(١) بن وائل ، وبَكَار بن عويمر^(٢) ، وفُريَح بن مُقْبَلَه^(٣) ،
وصاعد^(٤) بن عِيَّاش ، ونوفل بن^(٥) خزعل ، وضرار^(٦) بن راشد ، وميَّاس بن
عامر^(٧) ، وتَلَب بن قيس^(٨) ، والأزور بن^(٩) رِيَّاش ، وقاطر^(١٠) بن خويلد ،
وجِرَّاح بن^(١١) وائله ، وحمَّاد بن^(١٢) عاصم ، وطَّاعنُ بن عمرو^(١٣) ، وسنانُ
بن غَاصِب^(١٤) ، وجَلْدَحَة بن عَوْف^(١٥) الدَّارمي ، وأَسَدُ بن^(١٦) حَامِد ،
ومَخَكَم بن قَادِح^(١٧) ، وصَارَم بن أُوَيْس^(١٨) ، وقُدَّامَة بن حَنْظَلَة^(١٩) ، وفُدَيْعُ
بن ماجد^(٢٠) .

-
- (١) الحُصَيْن بن وائل : انظر أسد الغابة ٢/٢٨ .
(٢) بكار بن عويمر : لم أعثر له على ترجمة .
(٣) فريح بن مقبله / انظر الاكمال ٥٥/٧ .
(٤) صاعد بن عيَّاش : لم أعثر له على ترجمة .
(٥) نوفل بن خزعل : لم أعثر له على ترجمة .
(٦) ضرار ابن راشد : لعله أبا الأزور الذي كان في جيش أبي عبيدة بالشام / الاصابة
٢/٤ .
(٧) ميَّاس ابن عامر / الاكمال ٢٧/٧ .
(٨) تلب بن قيس / انظر أسد الغابة ٤/٢١٨ .
(٩) الأزور بن رِيَّاش : لم أعثر له على ترجمة .
(١٠) قاطر بن خويلد : لم أعثر له على ترجمة .
(١١) جراح بن وائله : لم أعثر له على ترجمة .
(١٢) حماد بن عاصم : لم أعثر له على ترجمة .
(١٣) طاعن بن عمرو : لم أعثر له على ترجمة .
(١٤) سنان بن غاصب : انظر أسد الغابة ٢/٣٦٥ .
(١٥) جلدحة بن عوف الدارمي : لم أعثر له على ترجمة .
(١٦) أسد بن حامد : لم أعثر له على ترجمة .
(١٧) محكم بن قادح : لم أعثر له على ترجمة .
(١٨) صارم بن أويس : لم أعثر له على ترجمة .
(١٩) قدامة بن حنظلة : هو قسامة بن حنظلة الطائي وجاء اسمه مصحفاً / الاصابة
٢٣٥/٣ .
(٢٠) فديع بن ماجد : لم أعثر له على ترجمة .

وهؤلاء الذين ذكرنا من أصحاب رسول الله ﷺ ممن قاتل معه في الحديبية^(١) والعقبة^(٢) وبني النضير^(٣) ، وممن حجَّ معه حَجَّةُ الوداع .

قال الراوي رحمه الله : فلما أسرهم نوفل شدَّهم في الجبال وأقرنَ بعضهم إلى بعضٍ ورَجَّلَهُم عن خيولهم وسار بهم يطلب رأس عين ، فأخبر أن الملك شهرياض على مَرَجِ الطَّيْرِ^(٤) من جانب الثَّقَبِ ، فقصده إليه ومعه أربعون من بني عمه ، وقد تكفلوا بسوق أصحاب رسول الله ﷺ إلى أن أوقفوهم بين يدي الملك ، فسألهم فحدَّثُوهُ بأمرهم وأنهم أغاروا على السَّمانية^(٥) ، فنصرنا المسيح عليهم ، فقتلنا ثلاثين رجلاً وأسروا هؤلاء الثلاثة وعشرين رجلاً ، فلما سمع ذلك نوفل بن مازن أمر بضرب رقابهم فكان آخرُ من قدم منهم أميرهم سهل بن اساف رحمه الله . وكان من أحسن الناس وجهاً ، فلما قدم لضرب العُنُقِ سأل فيه بعض البطارقة^(٦) . قال الواقدى رحمه الله : أخبرني من أثق به أن البطريق كان توتا بنَ لُورِك^(٧) ، فلما سأل فيه وهبه له ودخل إلى قصره ، فلما نظرتُ إليه ابنته سألت عنه ، فقال : يا بنية إنَّ المسيح طرق محبة هذا الفتى بقلبي ، فسألْتُ الملك فيه فوهبني إياه . ثم قال : خذيه إليك ؟ قال :

(١) الحديبية : قرية تبعد عن مكة مرحلة وفيها مسجد الشجرة التي اعتمر عندها النبي ﷺ عمرة الحديبية ووادع أهل مكة لمضي خمس سنين وعشرة أشهر للهجرة / معجم البلدان ٢/ ٢٣٠ .

(٢) العقبة : هي عقبة بين منى ومكة وتبعد عن مكة مقدار ميلين . وفيها بويع النبي ﷺ من أهل المدينة بيعة العقبة الأولى والثانية . وفيها يرمي الحجيج حمرة العقبة / معجم البلدان ٤/ ١٣٤ .

(٣) بنو النضير : جماعة من اليهود سكنوا حصناً قرب المدينة فتحه النبي ﷺ / اللباب في تهذيب الأنساب / ٣/ ٣١٤ .

(٤) مرج الطير : سهل واسع بجانب عين وردة .

(٥) السمانية : نص تعريفها .

(٦) انظر فتوح الشام للواقدى ٢/ ٦٦ .

(٧) هو صاحب حصن كفر توتا / نفسه / .

فأخذته الجارية وألقته في بستان لها . فلما كان في بعض الأيام دخلت إليه وإذا سهل بن إساف يقول : محمد رسول الله ﷺ^(١) . ثم قرأ : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشدأء على الكفار رُحماء بينهم تراهم ركعاً سُجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سَيَمَاهُمْ في وجوههم من أثر السجود ﴾^(٢) قال : فلما سمعت الجارية قراءته حَتَّتْ إليه . وقالت له : ما أفصح هذا الكلام وأبينه للأفهام . فقال لها : هذا كلام الملك العلّام ، الذي أنزله على سيد الأنام . فقالت له الجارية : أمّا محمد فهو نبيكم لا محالة فيه ، فمن هؤلاء الذين قال فيهم ﴿ والذين معه ﴾ . قال : صاحبه ووزيره أبو بكر الصديق ، ﴿ أشدأء على الكفار ﴾ ، هو صاحب الفتوح ومجهز هذه الجيوش عمر بن الخطاب ﴿ رحماء بينهم ﴾ هو كاتبه وصهره عثمان بن عفان . ﴿ تراهم ركعاً سُجّداً ﴾ هو أخوه وابن عمه وصاحب سيفه عليُّ بن أبي طالب .

قالت الجارية : وكان اسمها (ابريني) وكانت تكتب بقلم التوراة والانجيل ، وتتكلم بكلام العرب ، وكثيراً ما كانت تسأل الرهبان عن رسول الله ﷺ ، فلا يعطونها جواباً ، حتى وقع بيدها سهل بن اساف رضي الله عنه ، فقالت : من هؤلاء الذين ذكرت ؟ قال : هم الذين قالوا فصدقوا ، وعاملوا فحققوا ، وركبوا نُجِبَ سوابق الليل فَوَقَّقُوا ، وساروا في بادية الطَّلَب ولم يرفُقُوا ، وكلّما لاح لهم علم الأفاضل تشوّقُوا ، ونُودُوا في سرائرهم^(٣) ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، هم أسد ابراهيم أيضاً حيث يقول فيهم رضي الله عنهم : [البحر الطويل] .

رجالاً من الأحباب تاهت نفوسهم ينادونه خوفاً ويدعونهم قصداً^(٤)

(١) فتوح الشام للواقدي ٦٦/٢ .

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩ .

(٣) انظر الخبر في : فتوح الشام للواقدي ٦٦/٢ .

(٤) انظر الأبيات : فتوح الشام للواقدي ٦٦/٢ .

وقاموا بليل والظلام مُعَلَّسٌ إلى منزِلِ الأحباب فاستعملوا الكدَّ
يَخْتُونُ حَتَّى الشَّوْقَ نحوَ مليكهم وَقَصْدَهُمُ الْفِرْدَوْسَ كَي يُرْزَقُوا الْخُلْدَا
أولئك قومٌ في العبادة أخلصوا فهاموا له شوقاً وتاهوا به وجداً
فقالَت الجارية : لقد سمعت مِيشا صاحب دِير^(١) ممَّا يقول : إن الله ينشر
دعوة نبيكم في المشرق والمغرب ، وتملك أمته المشرق والمغرب ، وإنهم
يفضلونه على الآباء والأمهات والإخوة والأخوات ، وأنهم بعد موته يُشيرون
إليه ويكثرُونَ من الصلاة عليه . فقال لها سهل بن اساف : أما علمت أنه كان
في حياته يدعو لهم ويستغفر لهم ، ولمن دخل في دينه وآمن به ، ولقد قالت
زوجته عائشة رضي الله عنها : كانت ليلتي من رسول الله ﷺ ، فلما مضى ثلث
الليل الأول والفلك يدور ، وبالنجوم قد تكلل ، والسماء تزهو بالكواكب ،
والمردة تحترق بالشهب الثواقب ، وسرادق الليل قد مدَّ جناحه ، وأحال
الظلام باد لها مه وأقداحه ، والاعتكارُ ينظر صاحبه ؛ فبينما أنا في وادي السَّكن
ساكنة ، والنوم قد استوطن مساكنه ، وإلى جانبي أفضلُ مرسل ، وأكرم من
ابتهل وتوسَّل ، وأنا إلى جانبه وجنبي غيرُ مُجَانِبِهِ له ، وإذا هو يوقظني وبكلامه
الشرِيف يعظني ، ويقول^(٢) « يا ايُّها المكتحلة بكُحلِّ الوَسَنَات ، الغافلة عن
موارد الهَبَات ؛ هُبِّي من منامك ، واعلمي ليوم حِمَامِكَ ، قد قام أولوا
الألباب ، ومرَّعوا خدودهم تضرعاً على الأعتاب في التراب » قالت : فامتطيت
مطيَّة الخدمة وقمت أنا وإياهم نشفعُ في الأمة ، إلى أن برق بارقُ الصُّباح .
فقال : « هَلُمَّي^(٣) للصلاة والاستغفار وطلب رضى العزيز الغفَّار » . قالت :
فوافقتَه فيما أراد وتهيأ القصد والمراد فلما سكَّت عن تسبيحه وفاح أريجُ ريحه ،
رأيتَه يتنفس بحرقَة ويقرع بسبابته جوهرة سنه . فقلت له : يا سيد الوجود ،

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٧/٢ .

(٢) انظر الحديث في فتوح الشام للواقدي ٦٧/٢ .

(٣) انظر : الحديث في فتوح الشام للواقدي ٦٧/٢ .

وأطيب الآباء والجدود ، إن العرب لا تفرح سَنَها إلا لأمر مهم ، أو شأن مُلَم .
فقال « يا حميراء^(١) تذكّرت حال العصاة من أمتي والمخلصين في محبتي ،
وذكرت قول الله تعالى » : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾^(٢) ثم
بكى ﷺ . فقلت : يا رسول أما أنزل عليك قوله ﴿ ليغفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر ﴾^(٣) يعني ما تقدم من ذنب أبيك ، وما تأخر من ذنوب أمتك ؛ والله
ليقرّن عينيك ربك فترضى ؛ أنت الذي طابت مواطن هممك وأسراك ،
وربطت بُراق القرب على عتبة دارك ، وكنت أرفق من الوالدة على ولدها
بجارك ، أنت الذي اخترقت معالم معاني الملكوت ، وحملت محفوفاً إلى
بساط القرب والجبروت ، وحملت لك غاشية القدر ، وكانت في العالم كَلِيلَةً
القَدْر ، أنت صاحب الغيرة على الحَرَم وسيّد البطحاء والحَرَم ، أنت الذي
لانت لك الأحجار ، وسلّمت عليك الأشجار ، وانشق لك القمر قبل ليلة
الابدار ، وأنزل عليك : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار ﴾^(٤) وأنت صاحب
عرفات^(٥) ومِنَى^(٦) ، والمخصوص بالشكر والثناء ، والواقف في ساحة
﴿ قاب قوسين أو أدنى ﴾ [النجم : ٩] وسوف يُبلغك في أمتك المُنَى ، أما
وعدك رب العزة المقام المحمود ، واللواء المعقود والحوض المورود ؟
وسوف ترى رواق السَّعْدِ على أمتك ممدود ، وسحاب التوفيق عليهم

(١) انظر : الحديث في فتوح الشام للواقدي ٦٧/٢ .

(٢) سورة السجدة الآية ١٣ .

(٣) سورة الفتح الآية ٢ .

(٤) سورة التوبة الآية ٧٣ .

(٥) عرفات : أو عرفة قرب مكة وحدها من الجبل المشرف على بطن عرفة وحتى جبال
عرفات إلى قصر آل مالك . وقرية عرفة عند موصل النخل بعد ذلك بميلين وبها دور
لأهل مكة / معجم البلدان ١٠٤/٤ .

(٦) منى : بلدة تبعد عن مكة فرسخاً ، وتعمر بموسم الحج ويقع بها النحر من الحجاج
معجم البلدان ١٩٨/٥ .

محدود ، ولواء شفاعتك بجواهر قبولك منضود ، وعليه مرقوم : ﴿ عسى أن
يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ [الإسراء : ٧٩] فكيف تخاف على أمتك بنزول
البأس ، وقد فُضِّلُوا على سائر الأجناس بقوله : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت
للناس ﴾^(١) يا سيدي أنت تعلم أن الله تعالى قَبِلَ توبة آدم حين استشفع بك
إليه ، وكان سفظ جوهرتك ، وصدفة دُرَّتِكَ ، ونوحٌ مع علو رتبته وعظيم
متزلته بك أنجاه من الغرق ، وأَمَّنَهُ من الوجل والغرق ، وإبراهيم مع علو قدره
واستنارة بدره بك أنجاه من النار ، وجعله إمام الأبرار ، وموسى مع تقريبه
ومكالمته بك سأل حتى شرح صدره ويسر أمره ، ولقد صان ماء وجهك عن
الابتذال ، وبذلك لك جميع ما أردت من غير سؤال ، فموسى قال : ﴿ رب
اشرح لي صدري ويسر^(٢) لي أمري ﴾ وقال لك : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾^(٣)
وقال لموسى : ﴿ لن تراني ﴾^(٤) وقال لك : ﴿ ألم تر إلى ربك ﴾^(٥) قال :
وإنما ذكر سهل بن ساف للجارية ، هذه المناقب لعلها ترجع إلى دين
الإسلام^(٦) .

قال : فلما سَمِعَتْ قوله قالت : ما جزاء من يرجع إلى دينه ويقول بقوله ؟
قال : يخرج من ذنوبه ويمحى عنه سائر عيوبه ، ويكون جزاؤه الرضوان
والخلود في الجنان . ثم قرأ ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفوراً رحيماً ﴾^(٧) قال : فلما سمعت الجارية ما تكلم به سهل بن
اساف وقع الكلام بقلبها ، وأصغت إليه بجامع لُبِّها وقالت : أنا أشهد أن لا إله

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

(٢) سورة طه الآية ٢٥ .

(٣) سورة الشرح الآية ١ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٥) سورة الفرقان الآية ٤٥ .

(٦) انظر أقوال عائشة في فتوح الشام للواقدي ٦٧/٢ .

(٧) سورة النساء ، الآية ١١٠ .

إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : ففرح بإسلامها . فقالت له : اكنم أمرك إلى الليل وأسيرُ معك إلى عسكر الإسلام^(١) .

قال : حدثني صاعدُ بن عوف قال : هكذا سمعت أبي يحدثُ بالمدينة ، وقد أتى عمر بن الخطاب بخزائن رأس عين وأموال الملك شهرباض .

قال : وإن الجارية مضت واستدعت بجوادين من خيول أبيها ولأمتين^(٢) وزاداً ، وأخذت من مال أبيها ألف دينار . فلما جنَّ عليها الليل أتت إلى باب السرِّ وفتحته وتجنَّست ، وإذا كلُّ من في قصر أبيها نيام . فأتت إلى سهل وحلَّته من قيوده ، وقالت : قُم على اسم الله وبركة نبيِّه محمد ﷺ ، فقام سهل بن اساف رحمه الله إلى باب السرِّ ، فأعطته لأمةً حربه ولبست هي أيضاً لأمةً حربها ، وركبا كلاهما وسارا عن كفرنوتا^(٣) مقدار نصف الليل ، وإذا قد سمعا وراءهما قعقة اللُجم وصرير الحُزْم^(٤) فقالت الجارية : يا عبد الله قف حتى أعود إليك . فانظُر من القادمون ، فإن كانوا من الروم خاطبتهم بلغتهم وصرفتهم عنا ، وإن كانوا من متنصرة العرب فأنت أولى بهم . ثم أسرع على جوادها وعادت عن قريب ، وقالت : يا عبد الله إني أشرفت على القوم فرأيتهم على خيول شهب عليهم ثياب خضر . فلما سمع سهل بن اساف كلامها أسرع نحو القوم إلى أن أشرف عليهم ، فإذا هم اثنان وعشرون فارساً فحقَّقَهُم سهل ، فإذا هم أصحابه الذين قتلوا بين يدي ملك الروم^(٥) .

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٧/٢ .

(٢) لأمتين : لباس المحارب وعتاده .

(٣) كفرنوتا : قرية من أعمال الجزيرة تحيط بها كورة واسعة بينها وبين دارا خمسة فراسخ وهي في وسط المسافة بين دارا ورأس العين / معجم البلدان ٦٤٨/٤ .

(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٧/٢ .

(٥) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٨/٢ .

قال : فدنا منهم وسلم عليهم وقال : سبحان الله ألم أشهد قتلکم بین یدی
شهریاض صاحب رأس عین ؟ فقالوا : نعم ، أو ما علمت أننا أحياء لا نموت ؟
وإنما هي نُفْلَةٌ من دارٍ إلى دار ، وإن أرواح الشهداء يجعلها الله في حواصل
طيور من طيور الجنة ورياضها يأكلون من ثمرها ؛ يا سهلُ اقرأ :
﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾^(١)
وإن الله تعالى برّ قلوب الشهداء وأرواحهم هذه الليلة ليزوروا قبر المصطفى .
وكانت ليلة النصف من شعبان سنة سبع عشرة من الهجرة .

فقال لهم سهلُ بن اساف : إني أريد المسير معكم وفي صحبتكم . قالوا :
إنك لا تقدر على ذلك وقد بقي من عمرك أحدٌ وأربعون يوماً ، وتلحق بنا إن
شاء الله تعالى ؛ وأما هذه الجارية ، فإن الله تعالى قد أعدَّ لها في الجنة ما أعدَّ
لأوليائه ، وقد بنى لها قصرًا من الجواهر على أعمدة من الياقوت الأحمر ، على
شاطئ نهر الكوثر^(٢) . مستور بستوره المعلقة ، وكلُّه بالأنوار المؤنَّقة وقبابه
المزوقة ، وأرائكه مؤلَّفة ، وتيجانه مرصعة ، وأسرته مرتفعة ، وفرشه
موضوعه ، وأباريقه مصفوفة ، وأكلته بالزبرجد مُجَرَّعة ، وحُلُّه بالحمد
منسوجه ، وخيوله بحسن الوفاء مسروجة ، على أبوابه مكتوب بقلم السِّر
المكنون . ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون جزاء بما كنتم
تعملون ﴾^(٣) . قال : فلما سمعت الجارية ذلك من قولهم قالت : بَمَ
استوجبْتُ ذلك النعيم ؟ قالوا : بتوحيديك الربَّ العظيم وتصديقك النبي
الكریم . قال : فصاحت صبيحة ، فإذا هي ميتة رحمة الله عليها .

قال : فدفنها سهل بن اساف وغاب الشهداء عنه ، وأنه سار إلى عسكر

(١) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٦٨/٢ . والكوثر : من أنهار الجنة .

(٣) سورة الأعراف الآية ٤٩ .

عبد الله بن عتبان وسهل بن عدي وحَدَّثهم بأمره ، فازادوا ايماناً وعاش سهل تمام الأربعين يوماً ومات رضي الله عنه .

قال : حدثنا صفوان بن عامر عن خويلد عن عبد الرحمن بن النعمان بن ياسر عن من حَدَّثه عن فتوح أرض ربيعة الفَرَس قال : فلما نزل جيش المسلمين على قرقيسياء^(١) مع عبد الله بن عتبان وسهيل بن عدي ، خَنَدَقَ المسلمون عليهم خندقاً واسعاً ، وتركوا لهم موضعاً واحداً يعبرون منه . قال : واتصلت الأخبار بعياض بن غنم رضي الله عنه ، وقد عبر إلى جانب الرقة ، وهو لا يدري بِحَرْبٍ من يبدأ ، بحرب شهرباض وجنوده ، أم (بحران والرُّها) فقال له خالد بن الوليد^(٢) :

« أيها الأمير أترك جيشاً قد احتفل على لقاءك وصمَّ على حربك وتفقد المدائن ؟ عليك بقاء هذا العدو ، فإذا هزمته ووقعت لك الهيبة اقصد ما شئت من البلاد تفتح لك إن شاء الله تعالى »^(٣) . فعوَّل عياض بن غنم على ذلك . وإذا قد ورد عليه عيونه وهم أهل الذمة ، يخبرونه أن الملك شهرباض قد تكفَّل بقاءك وهو صاحب رأس عين ، وتوتنا صاحب كفره^(٤) ، وطرياطس صاحب نصيبين^(٥) ، ولاوذ بن صليبا صاحب دارا والموزر^(٦) ، وأوزون الأرمني

(١) انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٢/٢ .

(٢) انظر : خبر نزول المسلمين على قرقيسياء في : فتوح الشام للواقدي ٦٨/٢ وانظر ابن الأَعمش (الفتوح) ٢٥٨/١ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٦٨/٢ وانظر فتوح لابن عثم الكوفي ٢٥٦/١ .

(٤) كفره : وهي بلدة كفرتوتا . انظر بشأنها ص ٤ من الكتاب .

(٥) نصيبين : مدينة قديمة ويتبع لها كورة واسعة وبقرها جبل ماردين وهي كثيرة المياه والبساتين وهي من ديار ربيعة وحالياً تقع في تركيا . فتحها عياض بن غنم بعد قتال وصالح أهلها على مثل صلح أهل الرها . انظر : بلدان الخلافة ١٢٤ ، صورة الأرض ١٤١ ، ومعجم البلدان ٢٨٨/٥ ، الأعلام الخطيرة ١٢٤/٣ .

(٦) الموزر : عمل متسع بين بلاد ديار مضر ، وديار بكر ، على بعد يوم من حران . معجم البلدان ٢٢١/٥ والأعلام الخطيرة ١٥١/٣ - ٢٤٥ .

صاحب التل^(١) ، وشامس بن ميخائيل صاحب جَمَلين ، وأرمانوس صاحب تل بَسْمى^(٢) وتل القرع^(٣) ، وأرجوك صاحب البارعية ، وأرسْيوس بن حَارِش صاحب ماردين ، ودُورُوس بن نقولا صاحب حران والرُّها ؛ وقد صارت جريدتهم مائتي ألف من الروم والأرمن والعرب ، وقد انفردت العرب منهم في اثني عشر ألفاً مع أهاليهم وأولادهم وضمُّنوا للملك لقاءكم ، وقالوا : لا نلقى العدو إلا بأهلنا وأولادنا حتى إذا رأى العدو وأراد أحدنا الهزيمة ، ذكر أهله وولده فيثبت دون الفرار ، وقد رحلوا عن الروم والأرمن مرحلة إليكم . فلما سمع عياض بن غنم ذلك بعث إليهم الوليد^(٤) بن عُقْبٍ ووصَّاه بما أراد ، فقدم على بني تغلب وجمع أمراءهم ، وهم نوفل بن مازن والشَّريد بن عاصم والأشجع بن وائل ، وميسرة بن عامر وحزام بن عبد الله وقارب بن الأصم ، وقال : يا فتيان العرب ، اعلموا أن النظر^(٥) في العواقب آمَنُ من المعاطب ، وليس أنتم أحدٌ سناناً ، ولا أقوى في الحرب جناناً ولا أوسع ميداناً ، من بني غسان وليس فيكم من يشبه جبلة بن الأيهم ، وكان في ستين ألفاً هزمتنا جيوشهم وقتلنا ساداتهم ، والصوابُ أن ترجعوا إلينا وتكونوا حزبنا . فنهض كافرُهُم ومُسْلِمُهُم كُلُّهُم ، إلا إيادُ بن نزار فإنهم ارتحلوا بقبيلتهم إلى بلد الروم . فلما توجهتْ إياد الشمطاء إلى بلد الروم ، ووصلت ثعلبة^(٦) وبنو ربيعة

-
- (١) التل : ويقصد به قلعة تل أرجوك في ديار مضر / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٤٨ .
(٢) تل بسمي : بلدة هامة في ديار ربيعة من ناحية شبختان وفيها قلعة حصينة / معجم البلدان ٢ / ٤٠ ، مراصد الاطلاع ١ / ٢٦٩ .
(٣) تل القرع : إحدى حصون ديار ربيعة / مراصد الاطلاع ١ / ٢٨٠ .
(٤) الوليد بن عقب : هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط / ابن سعد الطبقات ٤ / ١٦١ ، ٥ / ٣٢ ، ٨ / ٢٣٠ / ١ / ٢٧ .
(٥) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢ / ٦٨ .
(٦) ثعلبة : لعلها ثعلبة بن سلامان من قبيلة طيء وهم بالشام / معجم قبائل العرب ١ / ١٤٥ .

إلى جيش عياض بن غنم مسلمهم وكافرهم . رَحَّبَ بهم وطيب قلوبهم ، وقال : يا معاشر العرب^(١) ، إن الله سبحانه وتعالى قد أراد بكم خيراً بوصولكم إلينا وإنزاحكم عن عِبْدَةِ []^(٢) . وقد أراد الله إعزاز ديننا وشرف نبينا ، وكان ﷺ قد وعدنا ووعدَهُ حَقٌّ ، بملك كسرى وقيصر وكنوزهما نأخذها ، وكان قوله من قول الله تعالى في حقه : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾^(٣) وقال الله تعالى : ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿ إن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾^(٥) قال : قال : فلما سمعوا كلام عياض بن غنم أسلمَ كافرهم .

قال : أخبرنا سيف عن الجالد بن سعيد قال : لما علم عياض بهرب إباد الشمطا إلى بلد الروم ، كتب إلى عمر رضي الله عنه بذلك فكتب عمر إلى هرقل أو قسطنطين يقول : « والله لئن^(٦) لم تصرفهم عن أرضك إلى أرضنا لأنفقنَّ كُلَّ نَصْرَانِي عندنا » .

قال الواقدي : فلما وصلت رسالة أمير المؤمنين إلى ملك الروم أنفذ بهم إليه^(٧) . قال : وعزم عياض بن غنم على لقاء الملك شهرياض . وأما ما كان من صاحب قرقيسا فإنه جمع بطارفته إليه وقال لهم : اعلّموا أنه بلغني أنه من تقدم من الملوك ، كانوا يُجَيِّشُونَ الجيوش بأنفسهم ، وإنني أريد أن أخرج غداً بالجيوش إلى لقاء هؤلاء العرب . فأنظرَ كيف حميتهم لدينهم ، وإن كان رعبُ

(١) انظر : خطبة عياض بن غنم بزعماء ربيعة في : فتوح الشام للواقدي ٦٨/٢ .

(٢) ما بين حاصرتين ساقطة .

(٣) سورة النجم الآية ٣ .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٢٨ .

(٥) سورة الأنبياء الآية ١٠٥ .

(٦) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٨/٢ ، والكامل لابن الأثير ٥٣٣/٢ .

(٧) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٩/٢ .

القوم دخل في قلوبكم أم لا ، وبعد هذا إذا سمعتم كلامي فارجعوا إلى
إعظامي ، ثم تناوشوهم ونحمل عليهم ، فأقفز أنا إليهم وأقف أمام أمرائهم ،
وأقول لهم : إني أردت أن أَسَلِّمَ إليكم فَإِنْ هَاشُوا عَلَيَّ وأرادوا قتلي أتيت
إليكم ، فإذا غفل القوم عني قفزت على أميريهما فأقتلهما في الليل ، وأنا أعلم
أن القوم لا يتأهبون لي ثم أنهزم إليكم .

فقال له ورنيك الأرمني : كيف تسمح بنفسك وتوجهها في أضيق
المسالك ؟ وإن فعلت ذلك لا نأمن عليك من العرب ، ونخاف من الملك
يعتب علينا بسببك ، ويقول : كيف سمحت له وتركتموه يمضي بنفسه إلى
العرب ؟ ولسنا نمكنك من ذلك . فقال عبد الله يوقنا : لقد صدق هذا السيد
في قوله وكيف نتركك تسير إليهم ؟ ولكن أنا أدبُرُ على القوم تدبيراً أهون من
مسيرك إليهم . فقال شهرياط وورنيك الأرمني : وما الذي تدبر أيها السيد ؟
فإنك نعم المشير . فقال يوقنا : إن التدبير أن نخرج إليهم بجمعنا^(١) ، ونلقى
القوم ونُرهِم الجِدَّ من أنفسنا ، ونقاتل حسب الطاقة ، ثم نهزم ونستوثق من
أبواب المدينة ونصعد على السور ، ونقاتل فإذا فعلنا ذلك طمعت العرب فينا
ودنوا منا ؛ وأعلمكم أن جماعة من الروم ممن صبا إلى دينهم في عسكرهم ،
فإذا تقربوا منا ونصبوا علينا ، فإذا رأينا ذلك بعثنا لهم رسولاً في طلب
الصلح ، ونقول : أُنْفِدُوا لنا عشرة من عماليقكم^(٢) حتى نرى حقيقة ما تريدون
منا ، ولعلنا نتعقب لنا منكم صلحاً ؛ فإذا حصلوا عندنا قبضنا عليهم ، ونشهر
أسيافنا على القوم بمشهد منهم ونقول : إما أن ترحلوا عنا وإلا ضربنا رقابهم ،
فإن القوم إذا رأوا الجِدَّ منا طلبوا أصحابهم ورحلوا ، والعرب إذا قالوا قولاً
وقَوْلاً به . فإن هزموا الملك شهرياض ، واحتلوا على بلاده دخلنا تحت طاعتهم
وارتحلنا عنهم إلى بلاد الروم . قال : وإنما أراد يوقنا بهذا الكلام حالين

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٦٩/٢ .

(٢) عماليق : يقصد السادة والزعماء . مفردها عمليق .

أحدهما ، أنه يُريهم محض النصيحة ليطمثنوا إليه ، والثاني ان يحصل عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ في المدينة . قال له يورنيك : فإن كان القوم ينفذون إلينا صعاليك العرب من لا يُؤايبه به ، أو من الموالي فنقبض عليهم كما ذكرت ، ونهددهم بالقتل لا يرحلون عثا ، ولا يلتفتون إلى كلامنا ويقع الجُدُّ منهم في قتالنا ، ولا يرحلون فكيف نصنع ؟ قال : فأراهم يوقنّا الغضب والحرّد وقال : وحقّ المسيح لقد دخلت هيبة القوم في قلوبكم ولن تفلحوا أبداً . وحقّ^(١) ديني ، لقد قاتلت في قلعتي بحلب قتالاً عظيماً ، سارت به الركبان في سائر الأرض والبلدان ؛ ولولا عبد من عبيدهم اسمه أبو الهول دامس^(٢) ، نصب عليّ حيلته وعشرة معه ملكوا قلعتي لما كانوا قد روا عليّ أبداً ، وكانوا نزلوا عليّ بجميع عسكرهم وأبطالهم . فكيف وما نزل عليكم إلا شرذمة وبلدكم حصين ؟ وليس عليه قتال إلا من موضعين من صوب الجبل والغرب والخابور من جانب الفرات ومن جانب آخر ؛ ومن أراد الله والمسيح قاتل عن دينه وصان أهله وحريمه من هؤلاء العرب ، وإن خفتم أن يُنفذَ القوم إلينا مواليتهم ، فأنا أعرف الناس بفرسانهم وأبطالهم . وأمرائهم وخواص أصحاب نبيهم ، فأنفذوا مع رسولكم كتاباً بأسماء القوم الذين أذكركم لكم ، وهم : المقداد بن عمرو^(٣) ، والنعمان بن المنذر^(٤) ، وشرحبيل بن كعب^(٥) ، ونوفل ابن

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٦٩/٢ ، والفتوح لابن الأعمش الكوفي ٢٥٨/١ وانظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٢/٢ .

(٢) أبو الهول دامس : مولى بني طريف ملوك كندة ، فتوح الشام للواقدي ١٦٥/١ .

(٣) المقداد بن عمرو : هو المقداد بن عمرو البهراني وهو نفسه المقداد بن الأسود بالتبني . صحابي شهد كل مشاهد النبي والفتوح / ابن سعد الطبقات ٧/٢ و ٤٣/٣ ، ١٦٣ ومات سنة ٣٣هـ في خلافة عثمان .

(٤) النعمان بن المنذر : انظر : الطبقات لابن سعد ٤٦٢/٧ .

(٥) شرحبيل بن كعب : انظر : الاصابة في تمييز الصحابة ١٤٥/٢ .

كثير^(١) ، وعبد الرحمن بن مالك الأشتر^(٢) ، والأسود بن قيس الهلالي^(٣) ،
والهيثم^(٤) وهو ممن شهد القادسية بعد فتحها ، وخالد بن جعفر ابن قرط^(٥) ،
ورواحة بن قيس^(٦) ، وهمام^(٧) بن الحرث ومالك بن ثوبة^(٨) رحمه الله
وسلامة بن عامر^(٩) . قال : فضحك ورنيك . وقال : وحق ديني إن العرب
لا يسمحون بهؤلاء قط إلا أن يطلبوا رهائنكم . قال يوقنا : ما أفشل رأيكم
وأضعف قلوبكم وأقل حميتكم في دينكم . وإذا طالبونا القوم بالرهائن ،
أخذنا ضعفاء هذه المدينة وأولاد القوم وجعلنا عليهم أفخر الثياب^(١٠) .
وزيئناهم بزي أولاد ملوكنا ونفدناهم إليهم . فقال شهرباض : وحق القربان إنك
هناك جيل^(١١) وشيخ فلک^(١٢) . ولسنا نقول ونعمل إلا ما أمرتنا به . ثم إنه
أمر بطارقتة وحجابه أن يأمرُوا أصحابه بالحرب . ففعلوا ذلك فلبسوا السلاح
واستعدوا لقتال أصحاب رسول الله ﷺ .

قال : فلما كان من الغد ، خرجوا في عُددهم وحديدهم . فلما رآهم

-
- (١) نوفل بن كثير : لم أعثر له على ترجمة .
 - (٢) عبد الرحمن الأشتر بن مالك : أسد الغابة ٣/ ٣٢١ .
 - (٣) الأسود بن قيس الهلالي : ابن سعد ، الطبقات ٦/ ١٢١ .
 - (٤) الهيثم : هو أبو قيس السلمي الصحابي . أسد الغابة ٥/ ٧٥ .
 - (٥) خالد بن جعفر بن قرط : انظر الإكمال ٢/ ٩٠ .
 - (٦) رواحة بن قيس : لم أعثر له على ترجمة .
 - (٧) همام بن الحرث : هو همام ابن الحارث الصحابي . انظر أسد الغابة ٥/ ٧٠ .
 - (٨) مالك بن ثوبة : لم أعثر على اسمه في تراجم الصحابة .
 - (٩) سلامة بن عامر : هو سلمان بن عامر ، وسلامة تصحيف . انظر ابن سعد الطبقات ٤٨٤/ ٨ .
 - (١٠) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٦٩ .
 - (١١) هناك جيل : كلمة فارسية تعني : الوقت والزمن ، والشجاعة والقوة / انظر المعجم الذهبي د. محمد التونجي ص ٦١٢ .
 - (١٢) شيخ فلک : أي عالم بالفلک والنجوم .

عبد الله بن عتبان متأهبين للقتال ، أمر أصحابه بالركوب فركبوا وخرجوا على باب الخندق الذي حفروه ، واستقبلوا عدوهم بهمهم وقالوا : اللهم انصرنا عليهم كنصر نبيك يوم الأحزاب . ثم إن عبد الله بن عتبان عباً صفوفهم ورتب كتابهم ثم وعظهم وقال : أيها الناس رحمكم الله ، إن الله فرض عليكم الجهاد ووعدكم النصر والغلبة والقهر فتقدموا لأداء الفرض ، لتصلوا إلى جنة عرضها السموات والأرض ، واعلموا أن الله جعل الصبر في الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وإنما ينتظر المؤمن إحدى الفرصتين ، وإحدى الحسينين ، غنى أم فرجاً عاجلاً أو راحة من عاجل زایل إلى أجل دائم ونعيم مقيم ، والصبر يدعوكم إلى الطاعة والجماعة ، والخوف إلى المعصية والفرقة ، ولا تتبعوا الهوى فيهوى بكم ، ألا وإني حامل نحو طاغية القوم وصليبه فأتبعوني ، فإن فتح الله بقتله أو هوى صليب القوم فلا ثبات لهم . فقالوا : أيها الأمير والله^(١) ما دعوتنا إلا لأحِبِّ الأشياء إلينا مما ذكرت ، فاحمل حتى نحمل . قال : فحمل عبد الله بن عتبان على عسكر قرقسياء ، وكان صاحب لواء المسلمين يومئذ سهيل بن عدي ، فلقد أبلوا بلاء حسناً ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وبذلوا رماحهم وأسيافهم في أعداء الله^(٢) . والتقى عبد الرحمن بن مالك الأشتر وورنيك الأرمني فلمَّا عاين زيه علم أنه من ملوكهم وطعنه طعنة في صدره فأطلع السن^(٣) من ظهره . والتقى النعمان بن المنذر وشهرياض وهو قد طحطح^(٤) العساكر وهزم الدساكر^(٥) ، فحمل عليه النعمان ولم يعلم أنه

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٠/٢ وانظر فتح قرقسياء في : الفتوح لابن الأعمش الكوفي ٢٥٨/١ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤/٢ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٠/٢ ، والفتوح لابن الأعمش الكوفي ٢٥٨/١ .

(٣) السن : يعني سنان الرمح .

(٤) طحطح : كسر وبدد وهزم .

(٥) الدساكر : كلمة فارسية وتعني الجهة أو الجانب .

صاحب البلدة، بل زعم أنه مُقَدَّم بزيه فحمل عليه وأنشد يقول^(١) : [البحر الطويل]

وإِنَّا لَقَوْمٌ فِي الْحُرُوبِ لِيُوثِهَا وَيَفْزَعُ مِنَّا فِي الْوَعَاةِ أُسُودُهَا
نُحَامِي عَنِ الشَّرْعِ الْقَوِيمِ نَصُونَهُ وَثُرَغِمُ أَنَاثَ الْعَدَا وَنَذُودُهَا
لَنَا الْفَخْرُ فِي كُلِّ الْأَمَاكِنِ كُلُّهَا إِلَى أَنْ تَنَاهَى بِاللَّقَاءِ عَدِيدُهَا
وَسَوْفَ نَقُودُ الْخَيْلَ جُرْدًا سَوَابِقًا إِلَى شَهْرِيَاضِ الْكَلْبِ ذَاكَ شَدِيدُهَا
وَنَمْلُكَ دَارًا ثُمَّ جَمَلَيْنَ بَعْدَهَا كَذَا رَأْسَ عَيْنٍ وَالْجِيوشَ نَقُودُهَا
وَنَمْضِي إِلَى حِرَّانَ ثُمَّ سَرُوجُهُمْ^(٢) كَذَاكَ الرُّثَا لِلْمُسْلِمِينَ نُعِيدُهَا
وَإِنِّي أَنَا النِّعْمَانُ ذَاكَ بَنَ مُنْذِرٍ أَيْدُ لُيُوثِ الْحَرْبِ ثُمَّ أُسُودُهَا

قال : ثم أطبق عليه بجملته وفاجأه بطعته . وألقاه صريعاً ، يمجج نجيماً^(٣) ، فلما نظر جيش قرقيساء إلى ملكهم مجندلاً ، ولؤوا إلى مدينتهم وتحصنوا في بلدتهم ، وخافت الملكة أرمانوسة ، ودخل الرعب في قلبها من أصحاب رسول الله ﷺ ، فالتفتت إلى العبد الصالح يوقنا وقالت : يا عبد المسيح مالنا أحد سواك يسوس أمرنا ويدبر حالنا . فقال لها : أيتها الملكة أنا لك وبين يديك . فخلعت عليه وعلى أصحابه وقلدته أمر بلدها . فأقبل يوقنا على أصحابه وقال : اعلموا أن هذه المدينة قد صار حكمها إليكم ، وقد اتَّكَلْتُ هذه الملكة عليكم ، فيجب علينا أن نقوم بحقها ونقاتل من دونها . ثم رتبهم على الأسوار ، ونصب المنجنيق على برجها الأعظم مما يلي الخابور . وقد حصن فيه أهل المدينة رجالهم وأموالهم وذخائرهم ، ودنا أصحاب رسول الله ﷺ ، ودنت الموالي بالمقاليع ، وأقبلوا يرمون فكانت حجارتهُم

(١) انظر الأبيات في : فتوح الشام ٧٠ / ٢ .

(٢) سروج : مدينة تقع إلى الغرب من حران من مدن الجزيرة ، من ديار مضر وهي حالياً في تركيا / الأعلام الخطيرة ٣ / ١٨١ .

(٣) يمجج نجيماً : يلفظ ويصق دماً من فمه .

لا تخطفى ، وكان مُقَدَّمُ الرِّجَالِ والموالي المنذر بن^(١) عاصم ، ولم يكن بالحجاز ولا باليمن أرمى منه بالمقلع ، وكان من قوة ساعده ، إذا رمى كأنَّ حجره يجاوز البرج الأعظم ، فلم يزل يرميه فيه كل يوم فيصيبُ الرَّجُلَ والإثنين ، فسَمَّته العرب ، برج المنذر^(٢) ، إذ ناصبه الرمي يرميك بمقلعه ، وكان منجنيق البرج يرمي بعيداً ولا ينفع شيئاً ، وضايق المسلمون على قرقيسياء ضيقاً شديداً . فقالت أرمأنوسة : أين ما وعدت به الملك شهرياض في تدبيرك على هؤلاء العرب ؟ فقال : أيها الملكة سوف أعمل في ذلك . قال : وإنه ركب السور مما يلي عسكر المسلمين ، وقال : يا معشر العرب قد طال المدى بيننا وبينكم ، وإننا نريد عشرة منكم من خياركم يدخلون إلينا ونرى ما يقع الاتفاق عليه فيه بيننا وبينكم ، إلى أن تنهزموا أو تملكوا رأس العين ، ونحن بعد ذلك لكم واطلبوا منا من المال ما شئتم ، فقد علمنا أنكم إذا قلتُم قولاً وفِيتُم به . قال : فلما رآه عبد الله بن عتبان وسهيل بن عدي علموا أنه يريد أن يُنْصَبَ على أهل المدينة . فقال له سهيل بن عدي : يا عدو نفسه لقد انقلبت من ايدينا وتمت حيلتك علينا بدخول ديننا ، ورجعت إلى دينك الأوَّل فأين تهرب منّا وتولي عَنّا ، ونحن لك في الطلب ؟ وسوف نملك هذه المدينة بالسيف ونضرب عنقك . فقال : يا معشر العرب لقد نصحتكم وخدمتكم وأنا بين أيديكم ، ما رأيت منكم إلا الخير ولكن طالبتني نفسي فرجعتُ إليها ، والآن مضى السَّهم بما فيه ، وهذه المدينة لن تقدرُوا عليها لأنها حصينة ، وفيها رجال الحرب ، والقوة عندنا كثير ، ولكن أنفذوا لنا عشرة من أصحابكم ممن أثق أنا بقولهم وأسميهم فيحلفون لنا ، ونحلف لهم أنكم إذا فتحتُم رأس

(١) المنذر بن عاصم : لم أعر على ترجمة له .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٠/٢ ، انظر فتح رأس العين في / الفتوح ، لابن الأعمش . / ٢٥٧/١ .

عين سلمنا إليكم ونعقد^(١) . الصلح بقية هذه السنة ، وقد بقي منها اربعة شهور ، أولها رمضان سنة سبع عشرة من الهجرة . فقال عبد الله بن عتبان : قد أجبناكم إلى ذلك ، فَمَنْ العشرة الذين تريدون أن تُوجَّههم إليكم ؟ قال : أريد المِقْدَادُ والنعمان ، وشرحيل ونوفل وعبد الرحمن ، والأسود بن جعفر ورواحه ابن قيس ، وهمام بن الحارث ، وسلامة بن عامر ، وإن بعثتم غير هؤلاء فلا صلح بيننا وبينكم . قال : فوجه عبد الله بن عتبان من ذكرنا . ففتح لهم يوقنا الباب . فقال عبد الله بن عتبان : إنا لا نسمح بأصحابنا إلا أن تعطونا رهائن ، فمضى يوقنا إلى الملكة أرمانوسة . وأخبرها بأن القوم يريدون رهائن . قالت : نَقِّذْ لهم من ذكرت من أولاد العوام والسُّوقَة . قال يوقنا : أيتها الملكة إنَّ الحيلَ في الحرب من العرب خرجت ، والملوك من شأنها إذا قالت قولاً وفَتَّ به ، واعلمي أن حكيم الفرس قد قال : إذا كان الغدر في الناس طباعاً ، فالثقة بكل الناس عجز ، واعلمي أن أهل بلدك فيهم رؤساء وملوك ، وهم يستضعفون شأنك بعد بعلك ، وأيضاً ينظرون إليك بعين التأنيت ، وينظرون إلي أيضاً بعين الغربة ، ولا هيبة لي عندهم ، وربما سمعوا بصلحنا مع العرب فلا يمكنونا من ذلك ويُسْتَنَعون علينا ، ولا يتم لنا ما نريده ، وربما بعثوا يستنصرون علينا بالانطِاقِ ملك نَيْنَوِ^(٢) والموصل^(٣) ، أو بالحِرِّ

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٠ / ٢ .

وانظر : فتح قرقيسياء في (الفتوح لابن الأعمش الكوفي ٢٥٨ / ١) .

(٢) نينوى : من مدن العراق الدائرة وأطلالها بإزاء الموصل من الجانب الشرقي من دجلة . كانت عاصمة الآشوريين وسميت بهذا الاسم بسبب عبادة الآلهة نينا فيها / بلدان الخلافة الشرقية ١١٦ / .

(٣) الموصل : مدينة قديمة وهامة في شمال العراق وهي باب العراق ومفتاح خراسان وأذربيجان وتقع على ضفة دجلة الشرقية ، كثيرة المياه والبساتين والخيرات / معجم البلدان ٥ / ٢٢٣ ، بلدان الخلافة الشرقية ١١٥ / .

بن صالح صاحب الكهّارية^(١) ويتفاهم الأمر . قالت : فما الذي ترى من الرأي^(٢) ؟ قال : أرى رأياً أن نبعث إلى العرب رهائن . وإنما فعل يوقناً ذلك حتى لا يعترض عليه معترض في المدينة ، وإذا سَلِمَ المدينة لا يكون من رؤساء بلدتها لها سند . فأجابت إلى ذلك ونقّدت من الرؤساء رهائن إلى عبدالله بن عتبّان . قال : فلما خرجوا إليهم . دخلوا العشرة أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما حصلوا في المدينة أمر بهم إلى البرج الكبير ، وهو المعروف ببرج المنذر^(٣) . وإنما فعل ذلك حتى لا يعصي من في البرج وفيه أموال المدينة قال : فلما حَصَلَهُمْ هناك رجع إلى الملكة أرمأنوسة وقال لها : قد حَصَلْتُهُمْ في البرج . وغداً أوقفهم بأعلاه وأقول : إما أن ترحلوا أو نقتلهم .

قالت : فكيف نصنع برهائننا إن فعلنا بأصحابهم ما ذكرت ؟ يفعلون بأصحابنا كذلك . قال لها يوقناً : السَّمْع والطاعة ، فإذا كنت تفزعين على أهل بلدك ، فصالحى القوم . قالت : قد قنعنا برأيك وحسن تدبيرك . فقال يوقناً : السمع والطاعة وها أنا أمضي إلى هؤلاء العشرة ، وأرى ما وصّاهم به صاحبهم وكم يطلبون منا في الصلح ؟ ثم مضى إلى البرج ، واجتمع مع أصحاب رسول الله ﷺ ، وحذّثهم بما عزم عليه من التسليم وقال : إذا سمعتم الصيحة فدونكم ومن في هذا البرج ، ثم رجع إلى أصحابه المائتين وأعلنوا بالتهليل والتكبير ، وبادروا إلى الباب فكسروا أقفاله وقطّعوا سلاسله .

(١) الكهّارية : وتسمى قلاع الهكارية القريبة من الموصل / الأعلام الخطيرة ٣ / ١٩٦ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧١ / ٢ .

والفتوح لابن الأعمى الكوفي ٢٥٨ / ١ .

(٣) برج المنذر : هو البرج الكبير في سور مدينة قرقيسيا / فتوح الشام للواقدي ٧١ / ٢ .

وخرج^(١) بعض أصحاب يوقنا مسرعين فأعلموا المسلمين ، فبادروا من كل جانب ومكان فأشهروا القواضب وفاجأوا القوم بالنواب ، وحصلوا معهم في المدينة فسقط ما بأيديهم ، وأرادوا الهزيمة إلى البرج الأعظم فأروا فيه العشرة من أصحاب رسول الله ﷺ ، فرجعوا .

وأما الملكة أرمانوسة ابنة قرقيسيون الملك علمت أن الحيلة قد تمت عليها من قبل يوقنا فلم تقاتل ونادت جندها والعوام (لاغون لاغون) بمعنى الأمان الأمان فأمّنهم عبد الله بن عتبان وسهيل بن عديّ واحتوا على المدينة وأخذوا ما كان فيها من الأموال والرجال وما تضمن البرج الأعظم من الذخائر والأموال ؛ فأخرج منه الخمس لبيت المال . وعرض على أهل قرقيسياء الإسلام ؛ فمن أسلم وهب له أشياء من ماله ، ومن أبى ضرب عليه الجزية من عامه المستقبل ، وهي سنة ثمانى عشرة من الهجرة .

قال : وتجمّع من أسلم من أهل قرقيسياء ، وأتوا إلى الأمير عبد الله بن عتبان وسهيل بن عدي ، وقالوا : إنا رجعنا إلى دينكم فسجّلوا لنا على أراضينا وكرومنا وبساتيننا . فقال عبد الله بن عتبان : هي بحكم الأمير عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وليست الآن لكم لأننا ملكناها غنوة ولا ترجع إليكم بإسلامكم ، يُسكّن فيها الإمام من يراه ، ويأخذ خراجها ممّن هي في يده ، وحكم الفئء والخراج والقسمة والخمس والجزية واحد بحكم الإمام ، يأخذ حاجته منه بغير تقدير ويصرف^(٢) الباقي في مصالح المسلمين ، ويعطى القرابة منه بالاجتهاد . قال : ثم إن أرمانوسة أسلمت ومن كان معها فأقرهم عبد الله في مواضعهم وأحسن إليهم كلّ الإحسان وحبّب إليهم الإيمان ، كلّ ذلك

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٧١/٢ .

انظر فتح قرقيسياء في / الفتوح لابن الأعمش ٢٥٨/١ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٧١/٢ وانظر ابن الأعمش (الفتوح) ٢٥٨/١ .

ليسمعوا أهل البلاد فيدخلون في الإسلام .

قال عطية عن مَنْ أدرك ذلك . كان فتوح قرقيسياء أول ليلة من شهر رمضان سنة سبعة عشر من الهجرة ، وأخذ كنيستهم المعظمة وهي بيعة مارجرجس^(١) ، فاتخذها جامعاً ، ولم يبرح حتى صلى فيه وأطلق الرهائن ، وترك عليها والياً شُرْحِيل بن كعب في خمسين رجلاً وعَوَّل بالمسير إلى « مَأكِسِينَ^(٢) » وعَرَابَانَ^(٣) » والتفت إلى عبد الله يوقناً ، وقال له : مُرْ ابنتك أن ترجع إلى قلععتها . فقد جاءت الوصية لنا في حقها من قبل الأمير عياض بن غنم . قال : فعادت إلى قلععتها .

٤ - « فتح ماكسين والسَّمانية »

قال : حدثنا زهمَانُ بن رُقَيْم عن الصَّلْت بن مجالد قال : لما ارتحل عبد الله عن قرقيسياء بعد الفتح نزل على ماكسين ففتحها صلحاً على أربعة آلاف دينار حُمِرْ هرقلية ، وعشرة آلاف درهم من نقد بلدكم ، وكانت دراهمهم بالهرقلي وألف حمل من الحنطة والشعير وما قدروا عليه فصالحهم على ذلك ، وارتحل إلى (السكير^(٤)) فصالحهم على النصف من ذلك وكذلك أهل السَّمانية^(٥) ثم نزل على (عَرَبَانَ) فكان صلحهم مثل صلح أهل ماكسين ، ثم ارتحل إلى المجدل^(٦) وملكها صلحاً وأقام هناك ينتظر ما يرد

(١) بيعة مارجرجس : وهي البيعة الكبرى في قرقيسياء / الأعلام الخطيرة ٣ / ١٥١ .

(٢) ماكسين : من مدن الجزيرة تقع إلى الجنوب من عرابان وهي من كورة الخابور في ديار ربيعة / معجم البلدان ٥ / ٤٣ .

(٣) عرابان : انظرها في ص ٣٣ .

(٤) السكير : انظر : دير السكورة ص ٤٣ .

(٥) السَّمانية : إحدى المدن الواقعة على نهر الخابور بالجزيرة في ديار ربيعة / مرصد الاطلاع ٢ / ١١٠ .

(٦) المجدل : انظر ص ٣٠ .

عليه من أخبار^(١) أميره عياض بن غنم ، فأُعلم أنه على نهرِ البليخ^(٢) ، فكتب إليه يعلمه أن الله قد فتح على يديه البلاد التي تقدم ذكرها . قال : فلما وصل إليه الكتاب أنقذ إليه عياض أن قد وصلني كتابك فحمدت الله تعالى على ما منح المسلمين من نعمة فالزم مكانك حتى يأتيك أمري والسلام .

روى سهيل بن المُجاهد بن سعيد : قال : لمّا فتح عبد الله بن عتبّان أرض الخابور صلحاً وأقام بالمجدل . أنشد قيسُ بن أبي حازم^(٣) البجليّ ، وجعل يقول شعراً : [البحر الطويل] .

| | |
|--|---|
| وَصُلْنَا عَلَى أَعْدَائِنَا بِالْقَوَاضِبِ | أَقَمْنَا مَنَارَ الدِّينِ فِي كُلِّ جَانِبِ |
| بِفَتْيَانِ صَدِيقٍ مِنْ كِرَامِ الْأَعَارِبِ | وَدَانْ لَنَا الْخَابُورَ مَعَ كُلِّ أَهْلِهِ |
| وَنَارَ عِجَاجِ الثَّقَعِ مِثْلُ السَّحَابِ | هَزَمْنَاهُمْ لَمَّا التَّقَيْنَا بِمَا شِجْ ^(٤) |
| يَكْرُ وَيَحْمَى فِي صُدُورِ الْكَتَابِ | وَكُلُّ هِمَامٍ فِي الْخُرُوبِ تَخَالُهُ |
| تَرْكَنَاهُمْ فِي الْقَاعِ نَهْيَا لِنَاهِبِ | وَجُنْدِلَ وَرَنْيَكُ وَشِهْرَاضَ بَعْدَهُ |
| وَيَحْفَظُنَا مِنْ طَارِقَاتِ الثَّوَابِ | وَمَا زَالَ نَصْرُ اللَّهِ يَكْنِفُ جَمْعَنَا |
| وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي سُدُولِ الْغِيَاهِبِ ^(٥) | فَلَلَّهُ حَمْدٌ فِي الْمَسَاءِ وَبُكْرَةِ |

-
- (١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٢/٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٢/٢ .
(٢) نهر البليخ : أحد أنهار الجزيرة وتجتمع فيه عيون المياه وأعظمها عين الذهبانية وتأتي من أرض حران ويسمى بنهر البليخ بعد خروجه من تحت حصن مسلمة بن عبد الملك ويصب تحت الرقة بميل واحد في الفرات / انظر : معجم البلدان ١/٤٩٣ / وانظر الفتوح لابن الأعمش ٢٥٧/١ .
(٣) انظر الأبيات في فتوح الشام للواقدي ٧٢/٢ .
(٤) ماشح : هو قرية تل ماسح بنواحي حلب فتحها المسلمون عند فتحهم للجزيرة / معجم البلدان ٢/٤٣ .
(٥) الغياهب : الظلام .

الفصل الثاني

فتح ديار ربيعة

١ - (فتح قلعة ماردين)

حدثنا سَوَّار بن كثير قال : أخبرنا يوسف بن عبد الرازق عن الكامل بن بُجير عن المثنى بن عامر عن جَدِّه قال : لما فُتحت مدائن الخابور صلحاً ، بلغَ الملك شَهْرِيَّاض صاحبِ أرضِ رَبِيعَةَ وَعَيْنِ وَرَدَّةَ ، فَعَظُمَ ذلك عليه وكبر لديه وَجَمَعَ أربابَ دَوْلته ، وهو يومئذٍ بعسكرِهِ في مَرْجٍ^(١) الطَّيْرِ ناحية أرض النَّقَب . قال لأصحابه وخاصته : ما الَّذي تشيرون عليَّ ؟ فهذه ثلاثة مدائن من بلادنا قد مَلِكْتُ ، وقلعتين والعرب المنتصرة مضت عنَّا ؟ فقال البطريق توتا صاحب (كُفْرِ) : أيها الملك اعلم أنَّهم لا بد لهم ممَّا ولا بد لنا منهم ، ويعطي المسيح النصر لمن يشاء ، غير أنه كان من الرأي أنك لو زوّجت ابنتك عَمُودا من الملكة مارية ابنة الملك أريسوس بن جارش ، صاحب ماردين^(٢) ، فإنك إن تصاهرت إليه صرتما يداً واحدة ، ونقذت أموالك وخزائنك وعددك إلى القلعتين (ومُبرين)^(٣) يعني (قلعة المرأة)^(٣) .

(١) مرج الطير : سهل فسيح على بعد أميال من مدينة رأس العين / فتوح الشام للواقدي ٧٢/٢ .

(٢) ماردين : مدينة في تركيا تقع فوق منطقة جبلية بها قلعة شماء مشهورة وتقع بين رأس العين ونصيبين وتشتهر بصناعة الثياب الصوفية والسجاد فتحها المسلمون / بلدان الخلافة الشرقية ١٢٥ / .

(٣) قلعة المرأة : إحدى القلاع الحصينة في ماردين وتقوم على قمة جبل عالٍ على الطريق بين رأس العين ونصيبين / بلدان الخلافة الشرقية ١٢٥ ، ١٢٦ / .

قال الراوي : والسبب في بناء القلعتين الذي ذكرناهما أنّ هذا أريسوس بن جارش ، وكان من أهل (طَبْرِنْدَة)^(١) وكان شجاعاً بطلاً ، وكان من بيت المملكة ، ويَمَسُّهُ رَحْمٌ من الملك هرقل ، وكان منفرداً بطبرندة ، ويغيرُ في بلد الروم حيث يشاء حتى كتبت البطارقة وأهل تلك الأرض إلى الملك بقصّته ، ويستغيثون به من يده ، فَتَقَدَّ إليه هرقل من أنطاكية ونقله إلى ديار ربيعة فلم يرَ جبلاً أحسن من جبل ماروت^(٢) فنزل تحته ، وإذا على الجبل بيت نار^(٣) للفرس وكان فيه ناجك^(٤) أبو الفرس ، وكان مشهوراً معروفاً بعبادته وما هو فيه وكانت الهدايا تقدم إليه من أقصى بلاد خراسان والعراق ، وكان اسمه (دِئْن) فما زال يمر به أريسوس إلى أن صادقه ، وكان يحمل إليه الهدايا والتحف التي تجلب معه من بلد الروم فكان إذا أتى لا يحتجبُ عنه إلى أن وقع منه بِخُلْسَةٍ فقتله وغيّبه ، فلما فقد قالوا : أبرّ تلك الأرض ماردین ثم إن أريسوس بنى بيت النار واتخذَه حصناً .

قال : وكان له ابنة يقال لها : مارية ، فلما رأت أباهما قد بنى له موضعاً وتحصّن فيه ، بنت هي أيضاً قلعة حذاءها وحصّنتها ، وخزنت أموالها وأحوالها فيها ؛ وكانت كلما خطبها أحد تراه دونها ، لأنها من بيت المملكة ، وكان بالقرب من قلعتها دير في سفح الجبل ، وفي الدّير راهب قد ترهّب فيه ، وكان من أمكن الرهبان حالاً ، وكان اسمه (قُوما) وإنها مضت إليه زائرة ، فلما نظرتَه وقعت محبته في قلبها ، فلم تزل تختلف إليه حتى ترسّخت منوال الصُّحبة ، فسَلِمَتْ نفسها إليه فَحَبِلَتْ منه . فلما انتهى الحمل ولدت غلاماً في

(١) طبرندة : بلدة كبيرة من أعمال أنطاكية .

(٢) جبل ماروت : هكذا ورد بالأصل ، وهو تصحيف لجبل ماردین الذي تقوم عليه قلعة ومدينة ماردین الشهيرة / انظر الأعلام الخطيرة ٣ / ١٢٤ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٢ / ٢ . وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤ / ٢ .

(٤) ناجك : كبير كهنة بيوت النار أيام وثنية الفرس .

حال الخفاء فسَلَّمته إلى دايتهَا ، وقالت : انظري كيف تُدبِّرِي أمر هذا الغلام دون أن تقتليه ، فإنِّي لا أحبُّ قتله ، وإن علم أبي بقصتي قتلني ، ثم استخرجت من ذخائرها جواهر لها قيمة ، ووضعت بها عصابةً وشدَّتْها على قماطه^(١) ، وقالت للداية : ارميه فمن وقع به يُتفق عليه من ثمن هذه الجواهر ، ثم إنها افتقدته وإذا على خدّه شامة^(٢) سوداء ، ونظرت إلى أذنه اليمنى ، وإذا فيها زيادة . قال : فأخذته الداية ونزلت به ليلاً ، وخادمتُ معها كان يطلع على أسرار الملكة ، وكان هناك عمود من الرخام بأسفل القلعة فألقنه عليه مخافة من وحش يأكله ، وكان العمود أكثره مُغَيَّب في الأرض وعلى رأسه قاعدة من الرُّخام ، ثم رجعت إلى القلعة .

قال الواقدي رحمه الله . وكان من قضاء الله تعالى وقدره أن صاحب الموصل الملك الأنطاق^(٣) ، قد نَفَذَ رسولاً برسالة إلى شهرباض ، ثم إن الرسول جاز على صاحب ماردين سحرًا^(٤) ، على الطريق الذي عليه العمود . فسمع بكاء الطفل فقرب منه على جواده وإذا بجواهر العصابة تلمع فأخذه وسلَّمه لجارية كانت معه سَفَرِيَّةً . وقال : احتفظي به ولا شك أن الغلام له شأن ، ثم إنه وَصَلَ رسالة صاحبه لصاحب ماردين ، ثم ارتحل إلى رأس عين ، ووصَلَ أيضاً رسالة شهرباض من صاحبه ، وأنطق الله على لسانه ، فحدث الملك بقضية الغلام الذي وجده على العمود ، فقال الملك : أريد أن تسلمه إليّ فإنِّي ليس لي ولد يخلُفُنِي في ملكي هذا . فسَلَّمه إليه فأخذه الملك

(١) قماط : حزام من قماش يستخدم في لفّ الطفل الرضيع .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٢/٢ .

(٣) الملك الأنطاق : هو قائد جيش الروم في الجزيرة والموصل وكان قد جمع قبائل العرب المنتصرة في تكريت لقتال المسلمين الفاتحين سنة ١٦ هـ بقيادة عبد الله بن المعتم وانتصر المسلمون على الروم وحلفائهم . / تاريخ الموصل سعيد دوجي ٢٨/١ ، ٢٩/ .

(٤) سحرًا : أي قبل طلوع الفجر .

فأعطاه للحواضن والدايات . فرجوه^(١) بأحسن تربية إلى أن كبر ونشأ وترعرع ومشى . وسماه الملك عمودا ، وسماه الناس ابن الملك . ولم يزل يترقى في النعمة ويتعلم أدوات الملوك من ركوب الخيل والرماية والثقافة^(٢) . والمعالجة والمصارعة وما شاء ، كل ذلك إلى أن سما ذكره ، وانتشر في العالمين فخره . وكان لا يأوي إلى عين وردة بل كان أكثر زمانه في الصيد والقنص ، وإنه بنى له قصراً على رأس المغارة يأوي إليه إذا أراد الصيد وسمى القصر باسمه عمودا .

قال : وليس عند أمه مارية خير . وانقرضت الأيام واندرجت الأعوام ، حتى قدم عياض بن غنم يريد فتح الجزيرة هذه . ولما شاور الملك شهرياض أرباب دولته في أمر أصحاب رسول الله ﷺ ، أشار عليه البطريق توتا أن يزوج ولده عموداً من الملكة مارية ، فإنها لا تصلح إلا له وهي بكرٌ ولكن لها من العمر ثلاثون سنة ، وخطبها الملوك وأبناؤهم فلم ترض بهم ، لأنها تراهم دونها . وإن طلبتها لولدك لم يمتنع من ذلك أبوها ، وكان أبوها يفرح لك ولمصاهرتك . قال : فبعث لارسئوس ابن جارش هدية مع البطريق توتا وقال : كن أنت الواسطة في ذلك . فتسلم توتا الهدية ، وسار مع غلمانه إلى أرسئوس ، فسلم له هدية شهرياض فقبلها ، وتحدث معه فيما ذكرناه ، من الذي يجب من الرأي أن تجيب الملك إلى ما طلب وتكونوا يداً واحدة ، ولا سيما قد جاء من يطلب أرضكم وانتزاع ملككم وهم العرب الذين زحزحوا الملوك عن أسرتهم ، وأبادوا مواكب بطارقتها . قال : فأجابه إلى ذلك وطلب^(٣) منه في الصداق مائة ألف دينار ، والبارعية وجملين ، وعشرين رجلاً أميراً من أمراء العرب ، يقربهم قرباناً ليلة زفافها . فأجابه توتا إلى جميع^(٤) ذلك ، وأجابه إلى ما طلب . فعندها ركب أرسئوس إلى القلعة الثانية ، ودخل

(١) فرجوه : فرجئته .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٣/٢ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٣/٢ .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٣/٢ .

على ابنته مارية وأعلمها بالحديث فرضيت بذلك ، فخرج من عندها فجمع القُسوس^(١) والشَّامِسة^(٢) ، وزوَّجوا مارية بعمودا ، وليس عندهم خبر من أحكام القضاء والقدر .

قال الواقدي رحمه الله : ورجع توتا إلى شهرباط وحدثه بالأمر الذي أنبرم ، وحدثه بما شرط عليه أرسبوس من المال ، والقلعتين البارعية وجَمَلين ، ومائة ألف دينار وعشرين أميراً من العرب . ليقربهم قرباناً ليلة زفافها ، ففرح بذلك الملك ونقذ الأموال ، وقال : إذا زُفَّت عليه سلَّمت القلعتين . ثم إن الملك دعا بولده عمودا ، وحدثه بما جرى وأنه قد زوَّجه بمارية ابنة أرسبوس بن جارش . وقال له : اعلم يا بني أن عليّ باقي الصَّدَاق فعليك بتجهيز العساكر إلى لقاء هؤلاء العرب .

قال الواقدي رحمه الله : ثم إن الملك اقتطع من جيشه عشرين ألفاً وبعث معه توتا البطريق صاحب كُفرتوتا ورؤدِس بن كَيْلُوك صاحب حرَّان ، وقال لهما : إن قدرتما أن تكبَّسا العرب فافعلوا . قال : فانفصلا من الجيش على عشرين ألفاً فارس .

قال الواقدي رحمه الله : واتصلت الأخبار بعياض بن غنم الأشعري من عيونهم بأنه قد أقبل إليك روْدِس بن كَيْلُوك^(٣) صاحب حرَّان وتوتا صاحب (كُفرتوتا) ، وعمودا ابن الملك في عشرين ألفاً وهم يريدون الكبسة عليكم بالليل فاستيقظوا لأنفسكم . قال : فجمع عياض أصحاب الرسول ﷺ واستشارهم في أمره . فقال خالد بن الوليد : نقذ من وقتك هذا إلى عبد الله ابن عتبان وسهيل بن عدي ومن معهم من المسلمين . أن يسيروا بعسكرهم ، ويُنقذوا إلى عسكر العدو عيونهم ، فإذا قرب العدو منهما يُكمنان له حتى

(١) القسوس : جمع ومفرده قس : إحدى المراتب الدينية لدى الكنيسة النصرانية .

(٢) الشَّامِسة : جمع ومفرده شماس : إحدى المراتب الدينية لدى الكنيسة النصرانية .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٣/٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤/٢ والفتوح لابن الأعمش ٢٥٧/١ .

يفوتهم ، ويصير أصحابنا من وراء ظهورهم ونكمن نحن لهم من أيماهم وعن شمائلهم ثم نطبق عليهم . قال : فاستحسن رأيه وجرد معه ألفي فارس من بجيلة^(١) والسكاسك^(٢) وحمير^(٣) . وكتب كتاباً إلى عبد الله وسهيل وأمرهم باللحوق بعسكر خالد يفعلان بما وصّاهما ، وبعث الكتاب إليهما مع سُرّاقة^(٤) بن دارم العذري . فوصل إليهما من يومه على ناقة له . فلما قرأ عبد الله الكتاب ارتحل من ساعته ، وأطلع أصحاب رسول الله ﷺ على الخبر ، فلبسوا وتأهبوا وركبوا ، وأنفذ عبد الله بن عتبّان عيونه يتجسسونه له خبر العدو .

قال الواقدي رحمه الله : وأما خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فإنه انفصل عن عياض بن غنم الأشعري في ألفي فارس ، ولم يأخذ بهم على الجادة بل بعث ألفاً عن يمين الطريق وأمر عليهم سعيد بن عبيد القاري^(٥) ، وكان ممن حضر فتوح الجزيرة ثم انتقل إلى فتوح العراق . قال الواقدي رحمه الله : ويقال : إنه حضر القادسية^(٦) وقتل هنالك فيمن قتل . هذا في رواية سيف ، وأنه لم يحضر الجزيرة . وإن خالداً منه على الجانب الأيمن ، ونَجِيَّه ابن سعيد بن عبيد القاري وأخذ خالد عن يسار الطريق ، وأمر نجبية^(٧) بن سعيد بن

(١) بجيلة : قبيلة عربية كبيرة تنسب إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث أخي الأزد بن الغوث ، نزلت هذه القبيلة الكوفة وشاركت في الفتوح ومنها جرير بن عبد الله البجلي صاحب النبي ﷺ / انظر : اللباب لابن الأثير ١/ ١٢١ .

(٢) السكاسك : قبيلة يمانية وهي بطن من كندة شاركت في فتح الشام / اللباب لابن الأثير ١/ ١٢٣ .

(٣) حمير : قبيلة عربية يمانية كبيرة جداً شاركت في فتوح الشام ومنها كعب الأحبار / اللباب ١/ ٣٩٣ .

(٤) سُرّاقة بن دارم العذري : لم أقف على ترجمته .

(٥) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٧٤ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٤٥٨ / والكمال في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

(٦) القادسية : بلدة كبيرة وهامة في العراق ، قرب الكوفة ، اشتهر أمرها في الفتح العربي للعراق وكانت بها معركة فاصلة بين العرب والفرس / الديارات ٢٣٣ / .

(٧) نجبية بن سعيد بن عبيد القاري : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٤٥٨ .

عبيد القاري ، أن لا يتعدوا ويثَّ عيونهم أيضاً .

قال : حدثنا الدَّقِيلُ بن ميسور عن من حدَّثه قال : إنه لما سار عمودا وتوتا ورودوس في العشرين ألفاً إلى لقاء أصحاب رسول الله ﷺ لم يزلوا سائرين إلى أن بقي بينهم وبين عسكر عياض بن غنم عشرة فراسخ ، فنزلوا في موضع من التعب . ليعلقوا خيولهم ويلبسوا سلاحهم ، وقد صار جيش عبد الله بن عتبان من ورائهم فيمن تبعه وصار خالد عن أيماهم ونجيبه بن سعد عن شمالهم ، وليس عند الروم من ذلك خبر فلما علم خالد بن الوليد أن أصحابه قد أحدقوا بالقوم . بعث إليهم أن تأهبوا لوقوع الصوت . قال : فتأهبوا ثم إن خالداً أخذ خمسمائة من أصحابه وأصحاب رسول الله ﷺ وهم أرباب الحرب وليوث الطعن والضرب وترك الخمسمائة الأخرى مع عدي بن سالم الهلالي (هلال النخع)^(١) . وقال : إذا رايت الحرب قد اشتعل نارها وتطاير شرارها فأخرج من مكنك . ثم إن خالداً قصد جيش العدو بمن معه^(٢) وتظاهر لهم بمن معه ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير . قال : وسمعت الروم أصواتهم فركبوا ولسلاحهم تنكَّبُوا وابتدر منهم رودوس بن كيلوك في أصحابه وهم خمسة آلاف مزاحِجِينَ العِلَّة . ولم يكن فيهم متيقظ سواه ، وتوتا مشغول مع عمودا ابن الملك .

قال : وإن صاحب حرَّان رودوس استقبل خالد بن الوليد ، وقد استصغر شأنه لما رآه في شرذمة قليلة من الخيل ، فطمع فيه واستغلت الروم بنظرها إليهم ، وقالوا : رودوس يكفيننا أمرهم . قال : فبينما هم فيما هم فيه إذ صاح خالد بن الوليد بعدو الله رودس وأنحط عليه كأنحطاط العقاب على صيده . وأنشد وجعل يقول^(٣) : [من البحر الطويل]

(١) هلال النخع : قبيلة النخع من القبائل اليمنية وهي من مذحج ونزل أكثرها بعد فتح العراق في الكوفة وهلال أحد بطون النخع . / الباب ٣ / ٣٠٤ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٤ / ٢ .

(٣) انظر الأبيات في : فتوح الشام للواقدي ٧٤ ، ٢ .

وَأَنَا لَقَوْمٌ لَا تَكِلُ شُيُوفُنَا من الضَّرْبِ فِي أَعْنَاقِ سُودِ الْكِتَابِ
سُيُوفٌ دَخَرْنَاهَا لِقَتْلِ عَدُونَا وإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ فِي كُلِّ جَانِبِ
قَتَلْنَا بِهَا كُلَّ الْبَطَارِقِ عُنُودَ وَأَخْلَى دُسُوتَ الْمُلْكِ مِنْ كُلِّ غَالِبِ
إِلَى أَنْ مَلَكْنَا الشَّامَ قَهْرًا وَغِلْظَةً وَصَلْنَا عَلَى أَعْدَائِنَا بِالْقَوَاضِبِ
أَنَا خَالِدُ الْمِقْدَادُ لَيْثُ عَشِيرَتِي إِذَا مَا هَمَّتْ أَسْدُ الْوَعَى فِي الْمَغَالِبِ

قال : ثم قصد رودوس بحملته وفاجأه بطعنته بألقاه صريعاً ، ثم نزل واستوثق من كتافه وسلّمه إلى عبده هَمَام ، ثم حمل^(١) في أصحاب رُودوس وساعده أصحاب رسول الله ﷺ . قال : فبينما هم في الحرب إذ خرج نجيباً من مكمنه ، وعدِيّ بن سالم ، ومن ورائهم عبد الله بن عتبان وسهيل بن عدي وأمتلأت الأرض بالزَّعَقَاتِ وارتجّت سائر تلك الجهات ، وصدموهم بالخيول الصَّافِنَاتِ وضجُّوا باسم خير الأرض والسَّمَوَاتِ ، وأطبَقوا عليهم من كل مكان وجانب ، وكان التوفيق للصحابة خير مجانب ، فما قدرت الروم أن تركب على خيولها ، وتتقدم إلى الحرب وسجالها ، إلا والسيف يعمل فيهم ؛ وأي عمل ومواليهم يستوثقون من الروم بالشَّدِ ، وأسر توتا والملك عمودا ، وأسر معهم أربعة آلاف أسير ، وأحصي من قتل وإذا هم ألفان وسبعمائة وستة وستون رجلاً ، وولّى الباقيون الأدبار ، ووصلوا إلى الملك شهرباى ، وحدثوه بقصّتهم فضاحت عليه الأرض بما رحبت ، وعلم أن دولتهم قد انقرضت ، وأيامهم قد انصرفت . فاستشار أرباب دولته ، فقالوا : أيها الملك مُقَامِنَا عَلَى مَغَارَةِ النَّقْبِ أَعْظَمُ الْخَطَرِ^(٢) . وبيننا وبين حرّان والرُّهَا وسروج بعيد ، وتطمع فينا العرب والرأي أن نكون في أوسط بلادنا وتبقى القلاع عن أيّماننا وشمالنا والميرة^(٣) تقصدنا من كل مكان . والرأي أن نرحل إلى مرج رعبان^(٤) . فإن

(١) انظر خبر الواقعة : فتوح الشام للواقدي ٧٤ / ٢ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٤ / ٢ .

(٣) الميرة : تأمين أرزاق الجيش وعلوفات خيولهم .

(٤) مرج رعبان : سهل فسيح يتبع لمدينة رأس العين ، وجرت فيه المعركة الكبرى بين =

كانت لنا وانهزمت العرب ، أخذنا عليهم سائر الطرقات ، وقتلناهم حيث وجدناهم . وإن كانت علينا انهزمنا إلى ماردين ، وكفرتوثا وقصدنا جملين وتل توتا^(١) والبارعية وتل القرع والصُور ، ودجلة الجبل ونأمن على أنفسنا .

قال : فأجابهم إلى ذلك وارتحل من مرج الطير وقصد إلى رأس عين . ورتب آلات الحصار وترك في المدينة عشرة آلاف فارس مع مَرِيْمُثُوسُ بن أخبريُوش ، وكان فارساً مذكوراً وبطلاً مشهوراً ، وهو زوج ابنة الملك شهرياض . فلما وفق أموره ، رحل حتى نزل مرج رعبان .

قال : حدثنا أبو يعلى وهو أبو زُغْبَةُ العَبْدِي قال : حدثني طاهر بن سيد المسوعي قال : أخبرني أبو طلحة بن مُليحة العُشَارِي قال : أخبرني وهبان بن بشر بن هزاد الصَّرِيفِينِي قال : قرأت الفتوح كُلَّهُ على أحمدَ بنِ عامرِ الحوفي بجامع البصرة . وأحمد قرأه على سعدان بن صاحب ، وصاحب قرأه على يحيى بن سعيد المروزي ، ويحيى قرأه على محمد بن عمر الواقدي . وهو يومئذ قاضي الجانب الغربي . قال : لما نزل الملك شهرياض بجيوشه على مرج رعبان ارتحل في إثره عياض بن غنم الأشعري ، بعد أن كتب بخبر الواقعة وكونها وفتح زبَاء وزلايا وجميع الخابور إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسأله الدعاء وبعث الكتاب^(٢) والخمس^(٣) مما ملكه من قلعة زبَاء وزلايا وقرقيسياء مع حبيب بن صُهَبَان ، وضمَّ إليه مائة فارس من اليمن .

= المسلمين والروم بقيادة شهرياض صاحب رأس العين ، وعياض بن غنم أمير جيش المسلمين . / انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٤ / ٢ .

(١) تل توتا : يقع في كورة كفرتوثا . من أعمال الجزيرة الواقعة بين دارا ورأس العين / معجم البلدان ٤ / ٤٦٨ والأعلاق الخطيرة ٧ / ٣ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٤ / ٢ والفتوح لابن الأعمش ٢٥٧ / ١ والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤ / ٢ .

(٣) الخمس : يقصد خمس الغنائم التي كان يغنمها المسلمون وهو نصيب بيت المال بالمدينة ويرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب .

ولما قرب عِيَاضُ بن غَنَمٍ من عَيْنِ وُرْدَةٍ وأراد النزول عليها قال له خالد
والنعمان وعبد الرحمن بن مالك الأشر : أيها الأمير ليس هذا صواباً ، وإن
أنت نزلت على المدينة أَخْرَقْتَ بِحَشْمَتِهَا ، لأن البلد حصين بالرجال مانع من
جميع الأحوال وهي فُرْضَةُ أَهْلِ رِبِيعَةٍ ودار الملك بها ، وليس يُسَلِّمُوهَا أَبَداً
ما دام عسكرهم وصاحبهم على حاله . ومن طريق الرأي أَنَّا نسير إلى عسكر
القوم ، ولنلقاهم بعزم وافر وحزم حاضر ، فإذا هزمهم الله تعالى وفضَّ
جيوشهم ، واستمكنَّا شأفتهم وملكهم كانت البلاد بأيدينا وفي حكمنا . قال :
فاستصوب رأيهم وارتحل إلى أن نزل مع العدو بمرج رعبان . قال : فنزلوا
بالقرب منهم قال : واتصلت الأخبار بأرسيوس بن جارش صاحب ماردين ،
فأحضر ابنته إليه وقال لها : يا بنية اعلمي أن بعلك قد أُسِرَ وهو ابن الملك على
كل حال ، ونحن نخاف العار على أنفسنا أن يقال : إن مارية ابنة أرسيس
ما كانت مُوفِّقَةً على ابن الملك ، وإنه لما تزوج بها أُسِرَ وقد حُرْتُ في أمري .
ف قالت له ابنته : وحق المسيح لقد قلت الحق وتكلّمت بالصدق وأنا أيضاً قلت
مثل ذلك . ولقد رأيت رأياً يكون فيه الصلاح^(١) . فقال : يا بنية وما هذا
الرأي ؟ اعرضيه عليّ فإن كان موافقاً أَعْتَنُكَ عليه . قالت : أريد أن أتَنَكَّرَ
وأطلبَ عسكر العرب ، وأقف بين يدي أميرهم وأعلمه أنني ابنتك ، وقد جئت
أُسَلِّمُ على أيديكم ، لرؤيا رأيته وهي أن المسيح رأيته الليلة في النوم ومعه
الحواريون ، وكأنني أشكو إليه ما نزل بنا ، وكأنه يقول : أسلمي فإن القوم
على الحق ، وقد جئتمكم مسلمةً على أَنِّي أملككم قلعة أبي وتتركوني أنا في
قلعتي . فإذا قالوا : كيف تُملكين قلعة أبيك ؟ وهي أمتع الحصون وأحصن
القلاع . أقول لهم : تبعثوا معي أفرسَ من في عسكركم من الرجال المذكورة
أَحْصَلَهُمْ في قلعتي ، ثم أجعلهم في صناديق وأنقذُ بهم إلى قلعة أبي ، فإذا
حصل القوم فيها ، ألقيتهم في الحبس . وأقول : لَسْتُ أدعكم إلا أن تنقذوا

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٥/٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤/٢ .

لي بعلي . قال لها أبوها : تريدان أن تلقي نفسك للهلاك والعرب ما تتم عليهم الحيلة لأنهم أربابها . قالت : وإن طلبوا مني رهائن نفّدت إليهم بها . فأنا أعلم أنني إذا قبضت على أصحابه ، وبعثت إلى أميرهم في طلب بعلي ، وطلّبت رهينة بعث بها ، ثم يبعثوا به إلي . قال أبوها : فدبّري ما فيه الصلاح قال : فنزلت في الليل وقصدت مرج رعبان ، ومعها خادم لها وأربع ممالك يسوقون بغلين عليهما هدايا وتحف ، وأموال وطُرف أخذتُهم معها هدية لعياض بن غنم^(١) .

فلما وصلت إلى قرب العسكر ، التقت بغلمان أبيها وحاجبه معهم أربعون أسيراً من العرب ، منهم عبد الله بن ورقة وعبادة بن الصامت ، وحرثة بن مرة ، وعمر بن قادم ، وزهرة بن مالك وعدي بن قاسط ، وهلال بن مجيد ، وعلقمة بن زياد ، وطلحة بن مُقبل ، ومالك بن سعيد ، وأنس بن جُلهم ، وبشر بن مروان ، ومسمار بن سَلَمَة ، وطالب بن زياد ، وسَمْرَة بن مُحَلِّل ، وقيس بن عجلان ، والمرقال ابن هاشم ، وعبد الله بن عتبّان ومن تبعهم تمام الأربعين سيّداً . وكان السبب في أسرهم ، أن عياض بن غنم لما رحل يطلب رأس العين ، بعث هؤلاء السادة مع عبد الله بن عتبّان ، ليشتوا الغارة على حرّان وسروج والزّها ليأتوا بالطعام للعسكر ، فساروا فلما توسّطوا في البلد التقى بهم أكناسُ بن نقولا وجرجيسُ بن شمعون صاحبُ حصن^(٢) أرجاس . ولما تملك المسلمون هذه البلاد ، ولى عليها عياض ابن غنم العَطِير بن قاسم^(٣) الهمداني ، فسمي الحصن باسمه وكان هذان الرجلان ، يعني أكناس ابن نقولا وجرجس قد أقبلا بميرة عظيمة لعسكر شهرِياض الملك ، ومعهما

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٥/٢ .

(٢) حصن أرجاس : انظر : ومراصد الاطلاع ٦٠/١ .

(٣) العطير بن قاسم الهمداني : لم أعثر على ترجمة له .

ثلاثة آلاف فارس مقتنعين^(١) بالحديد ، فلما وقعت العين على العين ، ونظروا قلة المسلمين لحقهم الطمع فيهم فأطبقوا عليهم من كل مكان فأخذوهم وأتوا بهم إلى الملك شهرباى ، فهم أن يقتلهم^(٢) ، فقال له الوزير : أيها الملك ليس هذا برأي لأن ولدك عمودا بين العرب ، ورودوس صاحب حرّان ، وتوتا صاحب (كفرتوتا) والحجاب ، وإن أنت قتلتهم قُتلوا ، والصواب أن تُنفذهم إلى قلعة ماردين - يعني قلعة^(٣) المرأة - وتسلمهم للملكة مارية فيكونوا تحت يدها ، وإذا نُفّدت إليك العرب في طلبهم ، تقول لهم : إنهم في الموضع الفلاني ، فليس هم في أسرنا ولا نبالي بمن عندكم من أصحابنا ، فيكون أعظم للحشمة وأثبت للهيبة ، وأيضاً إنا لا نبالي بكم . قال : فاستصوب رأيه ونفّذهم إلى مارية مع حاجب أبيها ، فالتقت بهم في دنيسر كما ذكرناه فأمرت الحاجب أن يوصلهم إلى القلعة ففعل ذلك ، وسارت هي إلى أن وصلت إلى عسكر المسلمين ، فوصلت إليه ليلاً وسراً على حالها ، وكان يطوف بعسكر المسلمين سهيل بن عدي ونجيبة بن سعيد في ألفي فارس ؛ فلما رأوها قصدوا إليها وسألوها فقالت : أريد أميركم . فاتوا بها إلى عياض بن غنم ، فلما وقفت بين يديه قدمت الهدية إليه ، وهمت أن تسجد كما يفعل الروم فنهاها عن ذلك . وقال : إنا قوم قد أعزّنا الله تعالى بالإسلام ، وأنقذنا من الضلال بمحمد عليه السلام ، فأزال عن قلوبنا الغلّ والحسد ، واتباع الهوى وشرّفنا بالتحية ، ونهاننا أن يسجد بعضنا لبعض ، وإنما استنّ هذا جبابرة الملوك وإن الله تعالى^(٤) يقول : « الْعَظَمَةُ رِذَائِي وَالْكِبْرِيَاءُ إِزَارِي ، فَمَنْ شَارَكَنِي فِيهَا

(١) مقنعين : أي يلبسون الدروع وأقنعة الحديد .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٥/٢ وقد انفرد الواقدي بهذه الرواية .

(٣) قلعة المرأة : هي قلعة حصينة في ماردين تقع بين رأس العين ونصيبين وتقوم على قمة جبل عالي وتتبع حالياً لتركيا . انظر : بلدان الخلافة الشرقية ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٥/٢ .

قصمته . قال : ومارية تسمع كلامه وتفهم ما يقول ، لأنها كانت فصيحة بكلام العرب . قال : فلما فرغ من كلامه قالت : أيها الأمير إن الله بهذا نصركم علينا . فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا مارية ابنة أرسىوس بن جارش صاحب مارددين ، وإن الذي بأيديكم أسيرٌ عمودا بعلي ولا صبر لي عنه . وقد رأيت المسيح في نومي والحواريين^(١) ، وأمروني باتباعكم . وقد أتيت إليكم في هذه الليلة ، أن أتبع دينكم وأسلم إليكم القلعتين كلاهما ، على شريطة أن القلعة التي بيدي أكون فيها مع بعلي ، لا ترحزننا عنها ، وأكون الحاكمة على أهل بلدي . فتبسّم الأمير عياض من قولها . وقال : يا مارية أما إنك ما أتيتني إلا لتنصبي علينا الحِجْلَ بسبب بعلك ، وكيف يكون زوجك ؟ وهو ولدك ، وحديثه كذا ؟ فلما سمعت الحديث منه انخطف لونها وتزعزع لونها . وقال : يا سيدة قومها من أين لك عمودا أن يكون ولدك ؟ وهو ولد الملك شهربااض . فقال لها عياض رضي الله عنه : إني رأيت نبيي البارحة وحدثني بذلك كله . وقالت : يا مولاي إني أريد أن أراه فلي فيه علائم . فأمر عياض بإحضار عمودا فجيء به . فلما نظرت إليه ، ووقع نظرها على الشامة التي على خده^(٢) وزيادة أذنه ، ونظرت عصابته التي عصبت بها ليلة بعثته مع الداية لترميه على الطريق ، صاحت صيحة عظيمة ، أذهلت من حضر بصرختها ، وترامت عليه ولزمته وقالت : والله ولدي لا شك فيه ، وقد صدق محمد في قوله وكذبتُ أنا في قولِي الذي جئت به . قال : وإن الغلام نظر إلى أمه فتحرك الدم بينهما فوقع أيضا مغشياً عليه . فلما أفاق ، بكيا جميعاً بكاءً شديداً .

قال عياض رضي الله عنه : عليكما أن تُوحِدا ريكما وتشكراه على ما أنعم عليكما به ، فإنه يزيد الشاكرين ، ورحمته قريبة من المحسنين ، ﴿ ولا يُرَدُّ

(١) الحواريون : هم تلاميذ السيد المسيح عليه السلام .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٥ / ٢ ، ٧٦ .

ولم أجد هذه الرواية في مصادر أخرى .

بأسه عن القوم المجرمين ﴿ [الأنعام : ١٤٧] . ليس له نِدٌّ ولا قَدٌّ ولا قَبْلُ ولا بَعْدُ ، هو الأوَّلُ وعليه المَعْوَلُ ، وهو الآخر وله المفاخر . قال : فلما سمع عمودا قوله . قال : والله ما قولكم زورٌ ولا محالٌ ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال : فلما رأت أمُّه مارية إسلامه ، وافقته في الحال ، وعزَّجت عن طريق المُحَال ، وشهدت لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة . فقال عياض ومن حوله : تقبَّلَ الله منكما اسلامكما ووفقنا وإياكما ، واعلما أن الله تعالى قد طهَّرَ قلوبكما ، وغفر ذنوبكما . فاستأنفَّا العملَ فقد هداكما الله عز وجل ، لكن كيف السبيل إلى هذه القلعة المانعة ؟ فقالت : أبشر فإن أصحابكم عندنا وقد التقيتُ بهم قبل وصولي إليكم^(١) . وهم أربعون رجلاً وقد أُسِرُوا عند حِرَّان ، وقد وَجَّهَ بهم إليَّ الملك شهرياض لأفدي بهم منكم هذا الغلام عمودا ، وقد وجهت بهم إلى قلعتي ، وها أنا أسير إليهم وأخلصهم وأحصلهم في قلعة أبي ، وأفلك أسرهم وأملك بهم القلعة إن شاء الله تعالى . فقال لها عياض : ولقد صُعِبَ علينا أسر أصحابنا ، ولكن قد طاب قلبي بما حدثتني به لكون أُنَّهم عندك ، ومن الصواب أن تدعي ولدك عندنا وترجعين إلى أبيك وتقولين له : قد أسلمتُ على يد أمير القوم ، وقلت له : أريد أن أسلِّمَ إليك قلعتي وتمنِّيَ عليَّ بيعلي ، وقد طلب مني الرهائن ، وإذا حَصَلَتِ عند أصحابنا فافعلي ما فيه الصَّلاح . فقالت : السَّمْع والطَّاعة . ثم إنها ودَّعت ولدها والمسلمين ورجعت من ليلتها إلى تاردين ، فوجدت أباهما قد نزل على مرج رعبان ، لخدمة الحاجب والملك الذي لقيته ومعه الأربعون أصحاب رسول الله ﷺ ، قد حَصَلَهُم في قلعة أبيها ، وحَصَلُوا في قبضته ، وكان الحاجب من العقلاء الألباء ، ممن قرأوا التوراة والانجيل ، وكان راهباً في مبدأ أمره وكان له صومعه بداره ، مما

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٦/٢ .

يلي شرقي المدينة بالقرب من المنشار^(١) ؛ وكانت الصومعة عموداً من الرخام قائماً أطول ما يكون من العُمْد ، وقد صَنَعَ على رأس العمود قاعدةً عظيمة ، وعقد بأعلاها قبة وكان يصعد إليها بِسُلَّمٍ من الأَبْرِيَسَمِ^(٢) منصوباً بأعلى القبة وله سِكَّتَانِ^(٣) في الأرض . وكان إذا حصل في القبة انتزع السكَّتان وأخذ السُلَّمُ إليه . فإذا أتوه بقربان وضعوه في زنبيل^(٤) رفعه إليه . وشاع ذكره بالرهبانية والعبادة . فلما توجه المسلمون إلى بلادهم وفتحوا الخابور صلحاً ، التأمّت حول ديرهِ العوام والبطارقة ، وقالوا : يا أبانا ما الذي تشير به علينا ؟ فإن العرب قد توجهت إلينا وقد فتحوا الشام وأكثر العراق ، وحصلوا في أرضنا فما الذي نصنع ؟ قال : فأطلع عليهم من قَبْتِهِ وقال : يا معاشِر الرُّوم ما زالت أُنْعِمُ الله عليكم ظاهرة وباطنة ، مَكِّنْكُمْ في البلاد ، ودلّل لكم رقاب العباد ، ونصركم على سائر الأمم . وردّ عنكم سَوْرَةُ^(٥) الْعَجَم ، ومهّد لكم الأرض في الطول والعرض . إذ كنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتردّدون المظالم وتحكمون بالحق ، وتتبّعون شريعتكم وترجّون أنفسكم عن أكل الحرام ، واتباع الزنا وأكل الربا ، فلما غيّرتم غيّرَ بكم ؟ وفي انجيل يوحنا وانجيل مرقس مكتوبُ : من اتبع سبل الحق ، وعودّ لسانه الصّدق وفعل بأوامر ربه ولزم نفسه ما يعنيه ، ولم يبخس الناس أشياءهم وداوم على صلاته ، ودوام على أوامر شريعته ، ولم يتبع هواه بلغ من عمره ما يتمنى ، ومن جار وظلم

-
- (١) المنشار : اسم موضع بجانب مدينة ماردين .
وانظر فتح ماردين في : كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٣٩ ، ٤٢ .
والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤ / ٢ .
- (٢) الأبريسم : نوع من الخشب والكلمة فارسية الأصل .
- (٣) سِكَّتَانِ : مجريان لتثبيت السلم في الأرض .
- (٤) زنبيل : وعاء يصنع من القش يستخدم في حفظ الأغراض وحملها ويشبه (القفة) في أيامنا . والكلمة معربة .
- (٥) سَوْرَةُ الْعَجَم : هي غَضَب العجم وسطوتهم .

وَبِغَاً وَتَفْشَرَمَ^(١) وتحايد عن الحق وَتَغْلَثَمَ^(٢) كان فناؤه عاجلاً^(٣) ولنفسه بيده قاتلاً ، وخربت داره ، وَعَجَّلَ دماره ، وكان الخوف شعاره ونار الجحيم دناره ، وفي التوراة مكتوب : ولا تظلموا إن الله لا يحب الظالمين ، وقد بلغني في كتاب المسلمين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس : ٨١] . فأصلحوا ذات بينكم ، واجعلوا تقوى الله نصب أعينكم ، وقاتلوا عن أهلكم وحريمكم ، واتبعوا شريعة نبيكم ، واخرجوا إلى جهاد عدوكم ، فإن الجهاد اليوم أفضل العبادات المأمور بها ، فإن من جاهد أعداءه كانت الجنة مأواه ، وإني نازل من صومعتي فلا يتخلفن أحد منكم . ثم إنه أرسل سُلَمَهُ وَتَسَبَّبَ^(٤) معه ، فلما نظروا إليه قد نزل ، أقبلوا يسلمون عليه ، ويقبلون يديه ورجليه . فأقبل بهم إلى كنيسة (دَمَائِر)^(٥) ، وكنيسة (بَاذَا)^(٦) فصلى بهم ودعا لهم ، وقصد بهم إلى بيعة كونا^(٧) ، وبيعة السيدة^(٨) ، وبيعة بَرَسُوما^(٩) ، وبيعة سَرَجَى^(١٠) ، وبيعة الأنوار^(١١) وبيعة يوحنا^(١٢) وبيعة

-
- (١) تغشرم : غشرم ، وتغشرم البيد ، ركبها ورجل غشارم : جرى ، انظر لسان العرب (مادة غشرم) ٤٣٨/١٢ .
- (٢) تغلثم : وهي تغلصم ، مفردا غلصم والجمع الغلاصم وبه الموهج الناتئ في الحلق أو رأس الحلقوم انظر : لسان العرب مادة غلصم ٤٤١/١٢ .
- (٣) فتوح الشام للواقدي ٧٦/٢ .
- (٤) تسبب : هبط ونزل . والسبب : هو الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره .
- (٥) كنيسة دوائر : إحدى كنائس ماردين ، انظر الواقدي فتوح الشام ٧٧/٢ .
- (٦) كنيسة باذا : إحدى كنائس ماردين . انظر الواقدي فتوح الشام ٧٧/٢ .
- (٧) بيعة كونا : من الأديرة الواسعة في كورة ماردين انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٧/٢ .
- (٨) بيعة السيدة : من الأديرة الواسعة في كورة ماردين انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٧/٢ .
- (٩) بيعة برسوما : هو أحد ديورة ديار بكر وقرب ملطية قام على قمة جبل وعنده منتزه وفيه رهبان كثيرون / معجم البلدان ٥٠١/٢ .
- (١٠) بيعة سرجي : أحد أديرة ديار بكر . انظر فتوح الشام ٧٧/٢ .
- (١١) بيعة الأنوار : أحد أديرة ديار بكر انظر فتوح الشام ٧٧/٢ .
- (١٢) بيعة يوحنا : أحد أديرة ديار بكر ، انظر فتوح الشام ٧٧/٢ .

كريان^(١) ، وبيعة الذهب^(٢) ، وبيعة ماريثوش^(٣) ، وبيعة انطسيس^(٤) ، فصلى بهم ووعظهم وأمرهم بالجهاد ، ثم قصد بهم إلى دير مر^(٥) ملوخ وهو قبلة من دارا عند ميدان الروم ، مما يلي باب عمودا ، وقال : ليس هذا وقت العبادة ، وما زال مُذْ نزل عن صومعته يسير حتى وصل إلى نصيبين ، وخرج إلى لقائه الملك قرياقس ، فترجل له وصافحه ، وسار بين يديه إلى البيعة المعظمة عندهم ، وهي بيعة مريم^(٦) ، ثم زار دير يعقوب وهرع إليه أهل^(٧) نصيبين فوعظهم وأمرهم بالجهاد ، ثم خرج منها إلى بيعة صنها^(٨) وبيعة نسطور^(٩) وبيعة قليان^(١٠) اليوناني وكانت تعرف ببيعة المعمدان وهي الجامع اليوم ، فصلى بها ولم يترك بنصيبين بيعة إلا صلى فيها ولا ديراً إلا صلى فيه ، ثم قصد الدير الكبير على الجبل وصلى فيه ، ونقّد أهله للجهاد وكذلك بمعرين^(١١) وما يليها ثم عاد إلى نصيبين ، ونزل فيها بدير باب الروم وهو اليوم مسجد^(١٢)

-
- (١) بيعة كريان : أحد أديرة ديار بكر . انظر فتوح الشام ٧٧/٢ .
 - (٢) بيعة الذهب : أحد أديرة ديار بكر . انظر فتوح الشام ٧٧/٢ .
 - (٣) بيعة مريوش : أحد أديرة ديار بكر . انظر فتوح الشام ٧٧/٢ .
 - (٤) بيعة انطسيس : أحد أديرة ديار بكر . انظر فتوح الشام ٧٧/٢ .
 - (٥) دير مرمولوخ : دير كبير يقع إلى الجنوب من دارا / فتوح الشام للواقدي ٧٧/٢ .
 - (٦) بيعة مريم : في مدينة نصيبين بناء قديم محكم تقع في الجهة الغربية من المدينة / الأعلام الخطيرة ٢٥٨/٣ وهناك بيعة مريم في مدينة آمد .
 - (٧) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٧/٢ .
 - والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤/٢ .
 - (٨) بيعة صنها : أحد البيع الهامة في نصيبين . انظر : الأعلام الخطيرة ٢٥٨/٣ .
 - (٩) بيعة نسطور : أحد البيع الهامة في نصيبين . انظر : الأعلام الخطيرة ٢٥٨/٣ .
 - (١٠) بيعة قليان اليوناني : أحد البيع الهامة في نصيبين . انظر : الأعلام الخطيرة ٢٥٨/٣ .
 - (١١) معرين : انظر ص ١٤٦ وفتوح الشام للواقدي ٩٥/٢ .
 - (١٢) مسجد كندة : من أكبر مساجد نصيبين وهو المسجد الجامع فيها . وينسب إلى قبيلة كندة المشهورة .

كندة . وكان يقال له : دير القربان ، ثم اشترى له لأمة حرب وجواداً وقصد رأس العين . وبلغ خبره أرسىوس بن جارش فطلبه من الملك شهرياض أن يكون من أصحابه ، ويتبرك بكونه عنده ، ويستعمل رأيه ومشورته .

فلما أسر عبد الله بن عتبان ، ومن معه بعثه الملك ، مع الراهب ميسا بن عبد المسيح . والتفته مارية في الطريق على ما ذكرنا ، وأمرته أن يمضي بهم إلى قلعتها . فلما انحرف عنها لقيه أبوها في عسكره ، وهو يطلب عسكر المسلمين ، والراهب معول على قلعة مارية ابنة الملك ، فسلم عليه وأخبره بقصته ، وأن الملك قد نَقَدني إليك لأكون عندك ، وأنا ميسا بن عبد المسيح ، فلما سمع أرسىوس قوله فرح به وقال : أنا لك وبين يديك ولست أستغني عن مثلك . ولكن انطلق بهؤلاء المحمديين^(١) إلى أعلى قلعتي وكن أنت على حفظهم حتى يأتبك أمري ، وهذا خاتمي معك إلى والي القلعة .

قال : فانطلق ميسا إلى أن صعد بهم إلى باب القلعة^(٢) وسلم خاتم أرسىوس إلى والي . قال : فَبَاسَهُ وجَعَلَهُ على رأسه ، وأمر ميسا أن يصعد بهم القلعة ففعل ذلك ، وأقام ميسا على حفظهم ، وجعل ينظر إلى حسن عبادتهم وصلاتهم وجودة تلاوتهم فاقبل عليهم ميسا ، وقال : أخبروني كم افترض الله عليكم من الصلوات ؟ فقال عبد الله بن عتبان : خمس صلوات في اليوم والليلة فمن أتى بهنَّ بإتمام ركوعهنَّ وسجودهنَّ على الكمال لم يرد النار . قال الله تعالى في كتابه : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ﴾^(٣) وقال نبينا ﷺ : « الصلاة صلة بين العبد وربّه فيها إجابة الدُّعاء

(١) المحمديون : المسلمون أتباع النبي محمد بن عبد الله ﷺ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٧/٢ .

وانظر ابن الفقيه الهمداني مختصر كتاب البلدان ص ١٣٢ .

وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥/ ٥٣٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٣٨ .

وقبول الأعمال وبركة في الرزق وراحة في الأبدان ومهاد في القبور وجواب مع منكر ونكير وسرّ بينه وبين النار وتثقل في الميزان وجواز على الصراط ومفتاح إلى الجنة .

وهذه الصلوات فرضت على جميع الأمم ، فردّوها وقصّروا فيها حتى فرضها الله تعالى علينا فأديناها ، والصلاة الجامعة للطاعات فمن جملتها الجهاد ، فإن المصلي يجاهد عدوين الشيطان ونفسه وفي الصلاة والصوم فإن المصلي لا يأكل ولا يشرب ، وزاد عن الصيام بمناجاته لرّبه وفي الصلاة والحج ، فإن الحج هو القصد إلى بيت الله ، والمصلي قصد ربّ البيت وزاد على الحاج بالقرب من ملكوت ربه ، قال الله تعالى : ﴿ واسجد واقترب ﴾ ^(١) وقال نبينا ﷺ : « جميع المُفترضات افترضها الله تعالى في الأرض إلا الصلاة ، فإنه افترضها الله تعالى عليّ وأنا واقفٌ بين يديه وقال لي : يا محمد هذه الصلاة افترضتها على جميع الأنبياء ، وأمروا الأمم أن يمتثلوها ، فلم يأتوا بها فأما قوم موسى فعملوا منها قيراطاً ، وأما قوم عيسى تركوها وأما أُمَّتُكَ فقد سلّمتها إليهم وجعلت جميع الطاعات كلّها في الصلاة » ^(٢) .

وقال ﷺ : ^(٣) « أتاني جبريل عليه السلام فقال لي : يا محمد قم فاصنع مثل ما أصنع فتقدّمني وصلي في ركعتين ، وقال لي يا محمد هذه صلاة الصبح وهي أول صلاة صلاها ولذلك سمّاها الأولى . ثم صلي بعدها صلاة أخرى ، إذا صار ظلُّ كلِّ شيء مثله . ثم قال : يا محمد ما بين هذين وقتٌ ثم صلي في المغرب والشمس قد غربت وقال هذه المغرب ثم صلي بي عند مغيب الشفق وقال هذه العشاء الآخرة . ثم صلي بي الفجر وقال هذه الصبح » وقال

(١) سورة العلق الآية ١٩ .

(٢) انظر الحديث في : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / ٧ / ١٩٦٨٥ و٢٦١٠٦ / ٩ .

(٣) انظر الحديث في : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / ٧ / ٢٠٠٩١ ، ٢٠٠٩٢ .

نبينا ﷺ^(١) : « فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَاةُ مَثْنَى مَثْنَى فَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى حَالِهَا » فقال ميشا لعبد الله بن عتبان : يا أخا العرب ما معنى رفع أيديكم في الصلاة والتكبير ؟ قال : أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْغَرِيقَ إِذَا غَرِقَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ لَعْلَهُ يَجِدُ شَيْئاً يَتَعَلَّقُ بِهِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا دَخَلَ الْعَبْدُ فِي الصَّلَاةِ فَهُوَ غَرِيقٌ فِي بَحَارِ الْخَطَايَا وَالْمَعْصِيَةِ هَارِبٌ مِنْكَ إِلَيْكَ^(٢) . أما معنى القراءة في الصلاة فهو عتاب بين العبد وربّه ، وأما الركوع فهو أَنَّ الْعَبْدَ يَقُولُ : أَنَا عَبْدُكَ أَنَا عَبْدُكَ ، وَقَدْ مَدَدْتَ عَنَقِي ، وَالرَّفْعُ مِنَ الرُّكُوعِ وَقَوْلُ الْعَبْدِ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى عَنَقِ رَقَبَتِي مِنَ الذُّنُوبِ ، يَقُولُ اللَّهُ حِينَ يَقُولُ الْعَبْدُ : أَنَا عَبْدُكَ : قَدْ أَعْتَقْتِكَ مِنَ رِبْقَةِ الذُّنُوبِ . عِنْدَهَا يَقُولُ الْعَبْدُ : رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ، وَأَمَّا مَعْنَى السُّجُودِ فَالسُّجُودُ الْأَوَّلَى : اللَّهُمَّ مِنْهَا خَلَقْتَنِي ، وَالرَّفْعُ مِنْهَا أَخْرَجْتَنِي . وَالسُّجُودُ الثَّانِيَةِ فِيهَا تَعِيدُنِي ، وَالرَّفْعُ الثَّانِيَةِ مِنْهَا تَخْرِجُنِي تَارَةً أُخْرَى ، وَمَعْنَى السَّلَامِ عَلَى الْيَمِينِ اللَّهُمَّ أَعْطِنِي كِتَابِي بِيَمِينِي وَالسَّلَامَ عَلَى الشَّمَالِ وَلَا تُعْطِهِ بِشِمَالِي^(٣) .

ولما حضرت وفاة رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الله والصلاة وما ملكت أيمانكم » وقال ﷺ : « مِنْ^(٤) حَافِظٍ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِفَرَائِضِهَا وَرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا حَرَّمَ اللَّهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ » وقال ﷺ^(٥) : « مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ مِثْلُ نَهْرٍ عَذِبٍ عَلَى بَابٍ أَحَدَكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَلَا يَبْقَى مِنْ دَرَكِهِ شَيْئاً فَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ لَا تَبْقَى عَلَى الْعَبْدِ خَطِيئَةٌ » قال : فلما سمع الراهب ميشا قول عبد الله بن عتبان . قال : أشهد أن دينكم

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٧/٢ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٨/٢ .

(٣) انظر الحديث في : كنز العمال ٢٥٠٠٣/٩ .

(٤) انظر الحديث في : كنز العمال ١٩٠٥١/٧ .

(٥) انظر الحديث في : كنز العمال ١٨٩٣١/٧ .

هو الحق وقولكم هو الصدق ، ثم أسلم وحسن إسلامه^(١) .

وبعد أيام وصلت مارية من عسكر أصحاب رسول الله ﷺ ، وعرجت عن قلعتها إلى قلعة أبيها ، لما علمت أن الصحابة هنالك ، فلما صارت بأعلى القلعة ونزلت في دار أبيها ، جعلت تفكر في خلاصهم ، وكيف تملكهم قلعة أبيها ، وباتت على قلق من ذلك . فلما كان من الغد ، دخل عليها ميثا بن عبد المسيح ، فسلم عليها وباسَ يديها ، فقالت : يا ميثا ما الذي صنعت بالعرب ؟ قال : قد استوثقت منهم ، ووكلت بحفظهم حتى يرى الملك رأيه فيهم . قالت : ما قصرت ولكن أجعلهم في البيعة التي معنا في القلعة حتى يروا حسن عبادتنا ، وقراءتنا الانجيل فلعلهم يرجعون إلى ديننا . فقال : السمع والطاعة . ثم خرج من عندها وخلصهم ، وجعلهم في البيعة كما رسمت ، فلما كان من الليل خرجت من دار أبيها ، ودخلت البيعة ، ونظرت إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم في القيود ، ولم يكن هناك سوى ميثا ، قالت : يا أبانا أنت الآن من علماء ديننا ، ولا يخفى عليك الحق مع من هو ، معنا أو معهم ؟ فقال : أيتها الملكة ليس على الحق من خفاء ، والحق مع هؤلاء العرب ، والذي جئت فيه فأنجزه من قبل أن تطلبني الأمر فلا تقدرني عليه ، وقد رأيت بيان صدق القوم حين جمع الله بينك وبين ولدك عمودا . فلما سمعت ذلك من ميثا بن عبد المسيح بقيت باهتة ، ثم قالت : من أين لك بيان ما ذكرت ؟ قال : رأيت^(٢) ذلك مناماً ، وحدثها كأنه حاضر مع القوم . قال : فسجدت شكراً لله تعالى ، فلما رفعت راسها وثبتت قائمة ، وأمرت ميثا ففتح قيود أصحاب رسول الله ﷺ ، ثم سلّم إليهم لأمة حربهم فلبسوها ،

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٨/٢ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٨/٢ .

انظر فتح ماردن في : ابن شداد الأعلام الخطيرة ٥٤٥/٢/٣ وابن العبري تاريخ مختصر الدول ص ١٠١ وابن خلدون تاريخه ٩٥٥/٤/٢ .

وقالت : اجعلهم في موضع خفيّ إلى الليلة الثانية ، ودبر كيف تقبض على الوالي ؟ . واملِك القلعة بهم وها أنا سائرة إلى قلعتي . ثم خرجت من عنده من البيعة ، وأمر ميشا بعبد الله وأصحابه إلى مكان لا ينظر إليه أحد . ولما كان من الغد نزلت مارية وقصدت قلعتها واستوثقت منها ، وأبعدت من تخاف منه ، فلما جنّ الليل وكانت ليلة الأحد ، صلى الوالي وأصحابه معه في بيعة القلعة ، ثم خرجوا منها ينظرون الصباح . وكان ميشا قد حصّل أصحاب رسول الله ﷺ في بيت المذبح^(١) . وقال : إذا كانت الغداة وأقبل الوالي وأصحابه ، فاخرجوا عليهم إن شاء الله تعالى ، والله يوفقكم وينصركم .

قال الواقدي رحمه الله : فلما كان من الغد استوثق الوالي من أبواب القلعة ، وصعد هو وأصحابه وخواص قومه إلى البيعة للصلاة ، وضربت الأجراس والنواقيس ، وجاء القس لفتح باب المذبح ليقرب القربان^(٢) ، فلما عوّل على فتح الباب خرج عبد الله بن عتبان رضي الله عنه هو وأصحابه وكبروا تكبيرة واحدة دَوّت لها القلعة وما فيها ، وبذلوا فيهم السيف فقتلوهم^(٣) عن آخرهم واحتوا على القلعة وما فيها ، وسمع أهل الرض التكبير من الصحابة فعلموا أنهم قد ملكوا القلعة ، فولوا على وجوههم هاربين . قال : ولما سمعت مارية الصّياح علمت أن قلعة أبيها ملكت ، فأمرت بأبواب قلعتها فغلقت ، بعد أن بعثت من تثق به إلى الأمير عياض بن غنم يخبره بالأمر . فلما بلغه ذلك ، سجد شكر الله تعالى . ووصل أكثر المنهزمين إلى الملك شهربااض ، وأعلموه أن ماردين قد مُلكت ، فصعب عليه وكبر لديه وأيقن بتلف

(١) بيت المذبح : هو المكان الذي تقدم فيه القربان في الكنائس والمعابد .

(٢) القربان : هو ما يتقرب به الإنسان من الخالق ، إذ يقدم شيئاً أو ذبيحة يتقرب بها إلى الله تعالى فتسمى قرباناً .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٨/٢ .

وانظر معجم البلدان ، ياقوت ٣٩/٥ .

والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤/٢ .

ملكه ، ووقع الرعب في قلبه وقلوب البطارقة ، وسمع أرسبوس أن قلعة قد
 ملكت وخزائنه قد أخذت ، فكتب أمره إلى الليل ، ثم أخذ أصحابه ومن هو في
 خدمته ، وركب وتسلل من العسكر وسار يطلب حران ، فوصل إليها من الليلة
 الأخرى . فلما قدم على الأبواب صاح أصحابه بالحراس وقالوا : افتحوا قد
 جاء البطريق رودوس ، يعنون بطريقهم الأول وقد تخلص من قبضة العرب ،
 فبادروا وفتحوا ، فدخل أرسبوس وملك المدينة . وبلغ الخبر صاحب الرها
 فاحتفظ على مدينته وشاع الخبر في تلك الأرض أن أرسبوس صاحب ماردين
 قد ملك حران بجملته فقصده إليه جميع أصحابه ، ومن يريد الديوان ، فصار
 في جيش عرمرم^(١) .

قال : وكان لرودوس صاحب حران المقبوض عليه عند عياض بن غنم
 ولد شجاع ، وكان اسمه (ارجوك) وكان أبوه قد قبض عليه من قبل ، لأنه
 كان قد خاف منه فقبض عليه وحبسه في موضع يسمى العمق^(٢) ، وكان له أم
 اسمها هريل مكين ، (معناه ست العسكر) ، وهي ابنة صاحب سُميساط^(٣) ،
 وكانت قد مضت لزيارة أهلها ، وغضبت لكون أن ولدها مقبوض عليه ، فلما
 بلغها الخبر أن أرسبوس ملك حران صعب عليها ، فركبت وجاءت إلى
 العمق ، وحلّت ولدها . وقالت له : إن حرّان ملكها أرسبوس وتسلم خزائنها
 وأموالها . وقال لأمه : ابذلي لي خزائنك حتى تنالي مقصودك ، فسلمت

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٨/٢ .

والجيش العرمرم : الكثير العدد .

وانظر فتح قلعة ماردين في : تاريخ الدولة العربية ، عبد العزيز سالم ص ٥١٤ ،
 ٥١٥ / وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٢/٢ .

(٢) العمق : حصن يقع قرب البيرة على الفرات وحالياً في تركيا / الأعلام الخطيرة
 ١٢٢/٣ .

(٣) سُميساط : مدينة هامة تقع شرقي جبل اللكام وبها قلعة حصينة كانت تعرف بقلعة
 الطين / انظر مروج الذهب ١١٨/١ ، وبلدان الخلافة الشرقية ١٤٠ / .

خزائنها إليه وأموالها وجميع حالها . وقالت : أنفق واستخدم الرجال واجمع لك جيشاً ، وامض إلى لقاء هذا الرجل ففعل وبذل المال ، وأتت إليه الرجال ، إلى أن صار من الأرض في ثلاثة آلاف فارس ، وعبر الفرات يريد حرّان . وبلغ الخبر إلى أرسبوس فخرج إلى لقائه ، والتقوا فوقعت الواقعة على صاحب أرجوك ، وبارز (أرجوك) أرسبوس وجرى بينهما حرب عظيم وأسر أرسبوس^(١) أرجوك الأرمني .

٢ - فتح حرّان والرّها

قال عبد الله بن أسيد الخولاني : حدثني سالم ابن ربيعة الدوسي قال : لما انتهت الأخبار إلى عياض بن غنم رضي الله عنه ، أن أرجوك الأرمني سار إلى لقاء أرسبوس الرومي . قال : فأحضر عياض بن غنم رودوس المأسور عنده وحدثه بما سمع من خبر ولده ، وأنه يريد أن يلتقي بأرسبوس ، وأني قد عوّلت على أني أقتلك ، إلا أن ترجع إلى ديننا قال : أيها الأمير إنني لا أريد الرجوع أبداً ، ولكن إن أنت اصطنعتني ، سلّمت إليك ما تحت يدي من القلاع ، ولعلي أملك حران ، فإن أهلها يرون دولتي ، لأنني كنت شقيقاً عليهم محسناً إلى صغيّريهم وكبيرهم ، وإن هم رأوني سلموا إليّ ، وأنا أسلم إليك على أن تعطيني السويداء^(٢) ونصيبين^(٣) الصغرى ، وأؤدي الجزية في كل عام . قال : فأجابه عياض إلى ذلك وأمر عبد الله يوقنا أن يحلفه بأيمان الروم . فأجابه إلى

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٩/٢ .

وانظر فتوح البلدان للبلاذري ص ١٨٠ .

(٢) السويداء : مدينة هامة في الجزيرة وتتبع لديار مضر وهي بين آمد وحران وأهلها أرمن ونصارى فتحها المسلمون بقيادة عياض بن غنم / معجم البلدان ٣/٢٨٦ .

(٣) نصيبين الصغرى : هي نصيبين الروم مدينة على شاطئ الفرات فيها وبين آمد أربعة أيام ومن قصد بلاد الروم من حران مر بها لأن بينهما ثلاث مراحل / مراصد الاطلاع ٣/١٣٧٤ .

ذلك وخلق سبيله ، وبعث معه يوقنا في ألف فارس من أصحاب الروم ممن أسلم ورد على رودوس خيامه وثقله وأصحابه ، وانسلوا في الليل من مرج رعبان طالين حرّان . قال : فوافي يوقنا ورودوس القوم في الليل ، وقد أسروا أرجوك ابن رودوس ، وعسكره على حاله . وقد بعث إليهم أرسبوس رسولا يستدعيهم إلى طاعته ، وأن يكونوا من حزيه وينعم عليهم وينزل بهم وبمسكرهم على الرّها ليخلصوها وتصير من تحت يده ، فقالوا : حتى ندبر أمرنا في ذلك ، فلما قدم رودوس ونظر إلى العسكرين والنيران تشتعل ، قال رودوس ليوقنا : هذه النيران القريبة لا شك هي لعسكر ولدي ؛ ثم بعث^(١) جاسوساً من أصحابه ليعلمه الخبر على حقيقته . فمضى الجاسوس ودخل في العسكر وغاب إلى أن قرب الفجر ، إلى أن يطلع ثم عاد . وقال : إن القوم قد عولوا أن يحلف لهم أرسبوس بن جارش ، ويكونوا من أصحابه . وقد تركت عشرين من جند الأرمن مع ولدك يخرجوه غداً إلى دير فرها^(٢) ، بين الرّها وحرّان حتى يتعاهدوا هنالك .

فلما سمع يوقنا ذلك تهلل وجهه فرحاً . وقال لرودوس : أبشر فإن القوم في قبضتنا ، ثم نهض بالألف يطلب دير فرها ، وبعث غلاماً من أصحابه كان يوقنا رقاء ، وكان من أهل الخاص ، وكان اسمه شامس ، وكان غلاماً لبيباً وقال : يا شامس انطلق إلى صاحب الرّها وهو كيلوك وقل له : إن مقامي الجيش من أصحاب أرجوك ، قد بعثوني إليك كي يكونوا من رجالك فإنك منهم وإليهم . وأرسبوس من الروم . وإن رجالاً منا يخرجون إلى دير فرها ،

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٧٩/٢ ، والفتوح ، لابن الاثم الكوفي ٢٥١/١ .
وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٢/٢ / وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ الحلبي ٩٩/١ .

(٢) دير فرها : أحد الأديرة الهامة على لطريق بين مدينتي الرها وحران انظر فتوح الشام ٧٩/٢ .

وأرسيوس يريد أن يمضي حتى يحلف لنا ونحلف له ، ونريد أن تخرج في مائتين من قومك وتكمن لنا بالقرب من الدير ، فإذا قدمنا فاخرج علينا . قال : فانطلق شامس إلى أن قدم على صاحب الرُّها وحدثه بما ألقى إليه يوقنا . وكان من قضاء الله وقدره ، أن الحيلة التي أرادها يوقنا وبعثها إلى كيلوك ، كان قد بعث بها مشايخ أرجوك صاحب الرُّها^(١) ! فلما قدم شامس عليه من قبل يوقنا وحدثه بالحديث الذي ذكرنا ، فتأكد الحديث عند كيلوك الأرمني . وخرج في أربعمئة فارس من قومه بالدروع والجنائب^(٢) ، وصاروا طالبين دير فرها . ويوقنا قد كمن بأصحابه الألف هنالك . وقدم كيلوك أيضاً فكمن بالبعد من مكمن يوقنا . قال : واختلس شامس منهم بالليل وأتى إلى يوقنا وحدثه بالحديث . قال : وأما ما كان من حديث أرسيوس بن جارس ، فإنه أنفذ رسوله إلى الأرمن أصحاب أرجوك ابن رودوس وقال : أنا أحلف لكم على ما تريدون . قال : فلما جنَّ الليل أخذوا مائتين من غلمانهم ، وأمرهم أن يلبسوا الدروع ويجنبوا الحنائب ففعلوا ، وساروا في أوساطهم . وأنفذ إلى مقدمي الأرمن ، فخرج منهم عشرون مقدماً ، وساروا معه طالبين الدير ، وقد علموا أن كيلوك صاحب الرُّها ، قد كَمَنَ لأرسيوس ليأخذه ، فأمر أصحابه الثلاثة آلاف أن يُسَلَّ منهم ألف فارس من شجعانهم وأن يكونوا عوناً لكيلوك صاحب الرُّها . وقالوا لهم : إذا خرجتم عليه لا تخرجوا حتى تروا رجال كيلوك ، قد خرجوا عليه وازعقوا بشعاره كأنكم من أصحابه لعلنا نأخذه ونستخلص به أميرنا (أرجوك) من أسره ، فإن له علينا حقاً وقد استوثق منا بالعهود فلئنا متى أَسَرَّتْنا هذا لا يتخلى عنا . قال : فانسلَّت الألف بالليل مخافة أن تعلم بهم جيوش

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٧٩/٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٢/٢

وانظر فتح الرها في : الفتوح لابن الأعمش الكوفي ٢٥٢/١ .

(٢) الجنائب : هي الخيول المسرجة الملجمة التي تسير في موكب السلطان أو الأمير زينة وتفاخراً من غير أن يركبها أحد . / النظم الاقطاعية ٤٧٧/٤ والسلوك ٤٣١/١ .

ارسيوس^(١) إذ هم بالقرب منهم . قال : ولما سار ارسسيوس يطلب دير فرها ، وأبعدَ عن جيشه سمع عن يساره قعقة اللجم . قال : فوقف هو ومن معه لينظروا مالذي دهاهم . وإذا هم بمائتي فارس من العرب أصحاب رسول الله ﷺ ، وكان المقدم عليهم عمرو بن معدي^(٢) كرب الزبيدي . وكان السبب في ذلك من قدومهم ، أن عياض بن غنم رضي الله عنه ، لما بعث رودوس ومعه يوقنا ، ساء ظنه من جانب رودوس وقال : إني فرطت إذ بعثت ولي الله مع عدو الله . فقال خالد بن الوليد : أيها الأمير لا تشغل قلبك من قبل رودوس ، فإن ملوك الروم إذا قالت وف ، ويرى أحدهم العار على نفسه إن قال قولاً ولم يف به . فقال : يا أبا سليمان إنه يجب علينا أن لا نغفل عن صاحبنا ومن معه . ثم إنه أنفذ عمرو بن معدي كرب ومعه مائتي فارس ، وتسببوا من العسكر ليلاً ، وساروا طالبيين حرّان والرّها . فالتقوا في طريقهم بأرسيوس بن جارش وقد خرج يطلب دير فرها ليُخْلَفَ الأرمن على زعمه . فخرجوا عليه وقبضوا عليه وقبضوا على من كان معه . وأما يوقنا فإنه قبض أيضاً على كيلوك الأرمني صاحب الرّها ، وكمن إلى الليل ثم توجه إلى الرّها ، وقد لبس الثياب التي كانت على صاحبها ، وتزيا بزّي أصحابه وغلمانهم^(٣) . وألبسهم الملابس التي كانت على عسكر الرّها . فلما قرب منها ، أوقد المشاعل أمام يوقنا ، وركضوا بالخيّل ففتح لهم الباب فلما حصلوا في داخلها ، رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والثناء على رب العالمين . فلما سمعوا التكبير ، ماجسر أحدٌ من العوام أن يتكلم واحتوى يوقنا على ما كان في القلعة من الخزائن والأموال ، وترك عليها من يثق به بعد أن قبض على كل من

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٠/٢ ، والكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٥٣٤/٢ وابن الأعمش الكوفي الفتوح ٢٥٢/١ .

(٢) عمرو بن معدي كرب الزبيدي : انظر : الاصابة ١٨/٣ - ٢٠ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٠/٢ ، والكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٥٣٤/٢ . وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، للطباخ الحلبي ٩٩/١ .

يخاف منه من رؤسائها وكبرائها . وكان ابن عم كيلوك قد دلّه على ذلك ، بعد أن ضمن له يوقنّا أن يُخلّيه هو وأهله وينعم عليهم ، ثم أخذهم أمامه وساروا معه إلى حرّان فوجد رودوس قد فتحها . وذلك أنه لما قبض أصحاب رسول الله ﷺ على أرسبوس بن جارس بعثوا يعلمون يوقنّا بالأمر فنجد إليهم رودوس وقال : انطلق إلى حرّان فإن أهلها يفتحوها لك . فمضى رودوس ومعه مئة فارس من أصحاب يوقنّا ، فلما وصل إلى حرّان نظروا وإذا بالعامّة على الأسوار . فكلّمهم بنفسه وقال : أنا صاحبكم البطريق قد جئت إليكم ، فلما سمعوا كلامه ورأوا شخصه فتحوا له الباب ، وصعدوا له وساروا بين يديه إلى دار إمارته ، فلما استقر به الجلوس دخلوا عليه وهنّأوه بالسلامة فقام فيهم خطيباً وقال لهم : اعلّموا أن الله عز وجلّ قد أنقذني من الضلالة إلى الهدى وتّجاني^(١) من الجهالة والردى ، وقد جرى من أمري كذا وكذا ، وإني عاهدت أمير القوم على أني أسلّم إليهم القلعة ويولّيني على نصيبين الصغرى والسويدا ، فأطلقني وقد حلّفت له وإني سوف أفي بوعدى ، فلا أنقض عهدي ، وأنا أشهدكم ، أن كل ما سوى الإسلام فهو باطل وإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . فلما سمع أهل حرّان إسلام بطريقهم . قالوا : لقد أراد الله بك خيراً فنحن نوافقك على الإسلام فأسلموا إلا القليل منهم^(٢) .

٣ - فتح مدينة رأس العين (عين وردة) وملحقاتها

قال : حدثني ربيعة بن هشيم ، قال : أخبرنا عبد الله بن يحيى التميمي ، قال : حدثني عبد الله بن عطية قال : ما أسلم أحد من أهل الجزيرة طوعاً ، إلا

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٠ / وانظر فتح حرّان في : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢/ ٥٣٢ / وانظر : الفتوح ، لابن الأعمش الكوفي ١/ ٢٥٤ .

(٢) انظر : الفتوح لابن الأعمش الكوفي ١/ ٢٥٤ / والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٢ .

لأجل أهل حرّان . قال : فلما نظر إليهم أصحاب رسول الله ﷺ قد رجعوا إلى الإسلام . قالوا : اللهم ثبتهم على الحق والسنة ولا تمكن من بلدهم عدواً قال : ثم خرجوا من عند رودوس ، وردّوا الكنائس كلّها مساجداً ، إلا ما تركوا بأمر الصحابة ، لمن بقي منهم على دينه ، واتخذوا البيعة المعظمة جامعاً وهي بيعة^(١) جرجين وتسلم الصحابة ما حول حرّان والرّها تسليمياً .

وأقبل يوقنا من الرّها إلى حرّان واجتمع بأصحاب رسول الله ، وشاورهم في أمر الرّها وكيف يكون حكمها . قال سعيد بن زيد : إنك أخذتها بالحيلة ونبينا ﷺ^(٢) . يقول : الحرب خُدعة ، فكل من فيها عبيد للمسلمين وأموالهم نهبٌ لهم . فقال يوقنا : يا أصحاب رسول الله ﷺ ، أنتم تعلمون أن أكثر الجزيرة ما ملكتموها بعد وفيها معازل وحصون ، والصواب أن تصنعوا جميلاً يعلو به ذكركم ويرتفع به فخركم . فقال سعيد : فإذا كان الأمر على ما ذكرت ، فاتركوا القوم على حالهم حتى نرى ما يأمر به الأمير عياض بن غنم . قال : ففعلوا ذلك ثم إن الأخبار اتصلت بالملك شهربااض بأن حرّان والرّها والسّخن^(٣) وأكناس^(٤) وسُروج والعَمَق^(٥) قد صارت كلّها بيد العرب فصعب عليه وكبر لديه ، وأيقن بتلاف ملكه ، وأنه دخل إلى رأس العين متنكراً

(١) بيعة جرجين : هي أكبر بيعة في حران وكانت تسمى البيعة المعظمة وبها دير وكنيسة كبيرة تحولت بعد الفتح الاسلامي إلى مسجد جامع أيام عياض بن غنم الفهري /الأعلاق الخطيرة ٣/ ١٤٥ - ١٤٧ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٠ وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢/ ٥٣٥ والفتوح ، لابن الأعمش الكوفي ١/ ٢٥٦ .

(٣) السخن : هكذا وردت في الأصل وهو تصحيف لاسم قلعة السن من أعلى الجزيرة قرب سميساط وتعرف بسن ابن عطير وهو رجل من نمير . /معجم البلدان ٣/ ٢٦٩ .

(٤) اكناس : حصن في ديار ربيعة .

(٥) العَمَق : انظر فتح الرها ص ٧٣ .

هو ومن يثق به ، من أرباب دولته ، وصلُّوا في بيعة نسطوريا^(١) ، وهي موضع الجامع اليوم ، فلما فرغوا من صلاتهم جمعهم إليه وقال : يا معشر الروم من بني الأصفر ، اعلّموا أن العرب قد شاركونا في بلادنا وقد صارت لهم معاقل يجتمعون إليها ، وتقوم بأودهم ويصل إليهم منها العلوفة والطعام وتجبي إليهم الأموال ، والخابور كُلُّه بحكمهم وما بيننا وبينهم إلا هذا المصاف^(٢) . فإن كانت علينا فالبلاد لهم دوننا^(٣) ، وقد رأيت رأياً فيه السَّداد ، قبل وقعتنا مع القوم : قالوا : أيها الملك وما الرأي حتى تُشاركك فيه قال : يا قوم أرى أنّا نماطل العرب بالمصاف ، ونكتب إلى الملكين المُعظّمين ، وهما شقرا^(٤) وزَعقرة^(٥) ، ونستجد بعسكريهما ، ونكتب الملك حَرَفَتَاس بن دَاذَرَس صاحب ميفارقين^(٦) ، وكيف^(٧) ، وصاحب حصن أَرَجَاس^(٨) وأسعرذ^(٩) ونستجد أيضاً بالملك المعظم سَرَوَرْد ابن ذَاوَك صاحب أخلاط^(١٠)

-
- (١) بيعة نسطوريا : بيعة هامة في رأس العين وتشتمل على كنيسة ودير ومساكن أخرى / فتوح الشام ٨١/٢ .
- (٢) المصاف : الموقف في الحرب والمواجهة .
- (٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٠/٢ وابن الأثير ، والكامل في التاريخ ٥٣٤/٢ وابن الأعمش (الفتوح) ٢٥٦/١ .
- (٤) شقرا : من ملوك المدن في بلاد ارمينية .
- (٥) زعقرة : من ملوك المدن في بلاد ارمينية .
- (٦) ميفارقين : أشهر مدن ديار بكر وهي مدينة حصينة فتحها عياض وخالد بن الوليد / معجم البلدان ٥/٢٣٥ ، ٢٣٧ ، الأعلام الخطيرة ٣/٢٦١ ، فتح الشام ١٠٤/٢ .
- (٧) كيفا : حصن يشرف على نهر دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر وحالياً هي في تركيا / مراصد الاطلاع ٤٠٧/١ .
- (٨) أرجاس : هي نفسها حصن أرجيش في ارمينية / مراصد الاطلاع ٦٠/١ .
- (٩) اسعرد : مدينة تقع في شمال دجلة وجنوب ميفارقين وكان بها قلعة حصينة فتحها المسلمون صلحاً / تقويم البلدان ٢٨٩/ .
- (١٠) أخلاط : مدينة هامة في ارمينية تقع على طرف بحيرة وان وبها حصن . فتحها المسلمون صلحاً / معجم البلدان ١/٣٨٠ ، ٣٨١ .

وأرجيش^(١) ومَنَازَ كَرْد^(٢) وحَوْفا^(٣) وسَلْيَاس^(٤) ، ونَكَاتِبُ الْمَلِكِ سُلَيْطَرِ بْنِ الْهَزْرُبُيْطِ ، صَاحِبُ جَبَلِ السَّنَاسِنَةِ^(٥) وَتُنْفَذَ إِلَى الْمَلِكِ الْأَنْطَاقِ ، صَاحِبُ نَيْنَوَى^(٦) وَبِلَادِهَا ، وَإِلَى الْحَرِّ بْنِ صَالِحِ صَاحِبِ الْكَهَّارِيَّةِ^(٧) ، فَإِذَا نَقَدُوا إِلَى بَعْسَاكِرِهِمْ اسْتَعَنَتْ بِالْمَسِيحِ وَالتَّقِيَّتِ الْقَوْمِ ، وَاللَّهُ يَعْطِي النِّصْرَ لِمَنْ يَشَاءُ .
 قَالَ : فَاسْتَصَوَّبُوا رَأْيَهُ وَكُتِبَ لَهُمُ الْكُتُبُ فِي بَيْعَةِ نَسْطُورِيَا ، وَنَقَدَهَا مَعَ الرِّسْلِ إِلَى مَنْ ذَكَرْنَا مِنَ الْمُلُوكِ ، ثُمَّ عَادَ مِنْ لَيْلَتِهِ إِلَى عَسْكَرِهِ .

قَالَ الْوَاقِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَأَمَّا الَّذِي مَنَعَ عِيَاضَ بَيْنَ غَنَمٍ مِنْ لِقَاءِ الْقَوْمِ ، لِأَنَّهُ رَأَى الْبِلَادَ تَفْتَحُ لِأَصْحَابِهِ ، دُونَ قِتَالٍ ، فَلِذَلِكَ لَمْ يَسْتَعْجَلْ ، وَقَدْ قَوِيَ ظَهْرُهُ بِالْبِلَادِ الَّتِي فَتَحَتْ لَهُ ؛ وَأَيْضًا إِنَّهُ كُتِبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجِرَاحِ ، يَطْلُبُ مِنْهُ نَجْدَةً ثَانِيَةً . قَالَ الْوَاقِدِيُّ : وَوَصَلَتْ الْكُتُبُ أَيْضًا إِلَى سَرَوْرُذَ بْنِ دَاوُكِ صَاحِبِ أَرْضِ أَرْمِينِيَّةِ^(٨) فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ أَمَرَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ لَابِسِينَ أَنْ يَجْهَظُوا رُكْبَهُمْ لِلْمَسِيرِ إِلَى ثُصْرَةِ الْمَلِكِ شَهْرِيَاضَ ففَعَلُوا ذَلِكَ^(٩) . قَالَ : وَكَانَ لَهُ ابْنَةٌ

-
- (١) أَرَجِيش : أَحَدُ حَصُونِ أَرْمِينِيَّةِ الْكُبْرَى وَتَتَّبِعُ لَخْلَاطِ / مَرَاصِدُ الْإِطْلَاعِ ٦٠ / ١ .
 (٢) مَنَازَ كَرْد : مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ تَقَعُ شِمَالِ بَحِيرَةِ وَانَ عَلَى نَهْرِ أَرَسْنَسَ وَحَالِيًا فِي تُرْكِيَا / بِلْدَانِ الْخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّةِ ١٤٨ / .
 (٣) حَوْفَا : أَحَدُ حَصُونِ دِيَارِ بَكْرٍ / الْأَعْلَاقُ ٢٥٢ / ٣ .
 (٤) سَلْيَاس : هُوَ حَصْنُ السَّلَاسِلَةِ فِي دِيَارِ بَكْرٍ / الْأَعْلَاقُ ٢٥٢ / ٣ .
 (٥) جَبَلُ السَّنَاسِنَةِ : مِنْ جِبَالِ مِيَا فَارْقِينَ فِي دِيَارِ بَكْرٍ وَسَكَانُهُ مِنَ الرُّومِ / الْأَعْلَاقُ الْخَطِيرَةُ ٢٦١ / ٣ .
 (٦) نَيْنَوَى : مَدِينَةٌ بِشِمَالِ الْعِرَاقِ شَرْقِي الْمَوْصِلِ وَشَرْقِ نَهْرِ دَجْلَةَ كَانَتْ عَاصِمَةَ الْأَشُورِيِّينَ فَتَنَحَا الْمُسْلِمُونَ صَلْحًا / بِلْدَانِ الْخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّةِ ١١٦ / .
 (٧) الْكَهَّارِيَّةُ : هِيَ الْهَكَارِيَّةُ انْظُرْ ص ٤٢ .
 (٨) أَرْمِينِيَّةُ : بِلَادٌ وَاسِعَةٌ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَدَنِ وَالْمَحْصُونِ حُدَّهَا مِنْ بَرْدُوعَةِ إِلَى بَابِ الْأَبْوَابِ وَتَمْتَدُّ مِنْ جِبْهَةِ أُخْرَى إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَجَبَلِ الْقَبْقِ . وَهِيَ صَغْرَى وَكِبْرَى ، فَالْصَغْرَى تَقْلِسُ وَنَوَاحِيهَا وَالْكِبْرَى خِلَاطُ وَنَوَاحِيهَا / مَرَاصِدُ الْإِطْلَاعِ ٦٠ / ١ وَدَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٣٣ / ٣ .
 (٩) انْظُرِ الْخَبَرَ فِي : فَتُوحِ الشَّامِ لِلوَاقِدِيِّ ٨١ / ٢ . وَانْظُرِ الْكَامِلَ فِي التَّارِيخِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٥٣٥ / ٢ .

من أهل الحسن والجمال ، فارسُ الخيل حَوَاضَةُ الليل ، وكان اسمها طارون
وكان كُلُّ من يطلبها للزواج لا ترضى به ، إلا أن يلقاها في الميدان فإن غلبها
كانت له وإن غلبته لم ترضَ به . قال : وإنها غلبت جميع من طلبها . قال :
وإن غلاماً اسمه موش بن اسليطُر صاحب جبل السناسنة قد قدم إلى أخلاط
بهديّة من عند أبيه إلى عند أبيها ، فصادفها قد نزلت من جبلها لزيارة أبيها ،
فلما رآها في الموكب وقعت بقلبه فخطبها من أبيها . قالت : على الشرط . ثم
بارزته في الميدان فغلبته فجَزَّت ناصيته وتركته .

قال الواقدي : ومرت الأيام والليالي فلما بعث الملك شهرياض أن يستنجد
الملوك ، ونَقَدَ إلى صاحب أخلاط ، نَقَدَ إليه أربعة آلاف فارس ، وأمر عليهم
ابنته طارون ، وقال لها : يا بنية قَدِّمْتُكِ على هذا الجيش ، وأريد الذي كنتِ
تُظهريه على الفرسان من شجاعتك أظهره على العرب ، حتى يشكركَ عُبَادُ
المسيح وتناين الثواب . قال : وأقبل الغلام موش ابن ملك السناسنة أيضاً في
عسكرٍ من عند أبيه اسليطُر في ألف رجل ، وسار في صحبتهم . قال الواقدي :
وكان الغلام قد تكامل شبابه وحسن كماله وأبدر هلاله ، ولم يكن أحد في
زمانه أحسن منه^(١) . فلما نظرت إليه وإلى حسنه وجماله ونظرت به غير العين
الأولى . وقعت في شبكة عشقه ، وجعلت رجالها مع رجاله . قال الراوي
رحمه الله : وأحسن ما رُوي لي من هذه الفتوح ، أنه كان لهذه الجارية
طارون ، التي نحن في ذكرها ابن عم يقال له : بوغور وهو اسمه . وكان
يحبها وهي لا تستطيع أن تسمع بذكره . وكان من أهل الشجاعة والشدة ،
وكان تحت يده من المعاقل : « حَيْرَانُ^(٢) » والمَعْدَنُ^(٣) وأَبْرُونُ^(٤) ، وقف

(١) انظر : فتح الشام للواقدي ٨١ / ٢ . وانفرد الواقدي بهذه الرواية .

(٢) حيزان : أحد القلاع الحصينة في ديار بكر وحالياً هي في تركيا وهي ذات مياه وزروع
وبساتين وتقع بالقرب من اسمرد / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٥٠ .

(٣) المعدن : إحدى المدن الحصينة في ديار بكر . / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٥٠ .

(٤) أبرون : قلعة هامة وحصينة في ديار بكر / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٥١ .

وانظر^(١) وبَدَليس^(٢) وأرزن^(٣) » وألَّهُ سار يُنجد الملك شهرياض في ثلاثة آلاف فارس . فلما عبر جيش ابنة عمه ببَدَليس اغتنم صحبتها ، وأكرمها وأهدى لها الهدايا والتحف وصار معها . ولم يزلوا في جَدِّ من السَّير إلى أن عَبَروا الشَّط ، وأخذوا طريقهم إلى الموزر ، وأنهم وصلوا إلى حصن يعرف بالهَتَّاخ^(٤) ، على طريق النهر وكان لابن عمها عليها عيون ، يطالعونه بأخبارها ، وذلك أنها لما نزلت على النهر . أنفَذَتْ إلى الغلام موش الذي تحبُّه وهي تقول له : اعلم إن المحبة الصادقة ما تكون إلا بعد العداوة المفرطة ، وقد ندمت على ما كان مني إليك من مهري ، وجزِّي لناصيتك وإنِّي قد عولت بعد رجوعنا من قتال العرب . أن تُنْفِذَ إليَّ وأن تَطْلُبَنِي من أبي ، ولكن أريد أن تَقْدَمَ إليَّ في الليل على حين غفلة من ابن عمي بوغور ، حتى أحلف^(٥) لك وتحلف لي أنَّك تَطْلُبَنِي من أبي ، وأحلف لك أنني لا أريدُ سواك . وَبَعَثَتْ مع خادَم من بعض خَدَّام صَحْبِها من زادها والحلاوات وغير ذلك ، ونَفَذَتْ أيضاً لابن عمها مثل ذلك ، لئلا ينكر عليها وكذلك لجميع أمراء الجيش . قال الراوي : وإن الخادَم أعلمه بما قالت وما جرى جميعه لابن عَمِّها ، وقال له : إنها قد نَفَذَتْني للغلام موش ، حتى تجتمع به في هذه الليلة لتحلف له ويحلف لها .

قال الواقدي : وكان هذا الغلام^(٦) قديماً لملك ارمينية ، وكان قد ربَّاه

-
- (١) قف وانظر : من قلاع ديار بكر الهامة / ناصر خسرو في رحلة سفر نامه ٤٠ / .
(٢) بدليس : بلدة بنواحي ارمينية قرب خلاط ، كثيرة المياه والبساتين فتحها المسلمون صلحاً / معجم البلدان ١ / ٣٥٨ .
(٣) أرزن : قلعة حصينة ودورة على تل عالٍ مانع / الأعلام الخطيرة ٣ / ٣٤٣ .
(٤) الهتّاخ : أحد الحصون المانعة في ديار بكر فتحه المسلمون عنوة / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٥١ وهي قرب مبافارقين / اللؤلؤ المتثور ٥٢٠ / .
(٥) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢ / ٨١ وانظر فتح رأس العين ، في الفتوح لابن الأَعمش ٢٥٧ / ١ .
(٦) الغلام : هو ابن ملك السنانسة ويدعى موسى أو موش . وتمتد مملكة السنانسة على =

الملك والغلام بوغور ، وإن ملك أخلاط بعثه مع هدية عظيمة ، إلى صاحب السنانسة . قال : فلما كانت هذه النبوة ، حَدَّثَتْهُ نفسه بجميع ما جرى ، قال : فَتَكْتُمُ الغلام بوغور ، فلما جن الليل أمر بعظماء جيشه وقال لهم : اعلموا أنني ما أريد لكم إلا ما أريده لنفسي ، وما وُلِّيتُ عليكم إلا وقد علم المسيح أن عقلي أوفر من عقولكم . فقالوا : أيُّها الصاحب ، أعلمنا بما تريد . حتى تُنَجِّزَ أمرك وندبِّرَ رأيك ، نمثِّلُ أمرك . قال : يا قوم إنَّا سائرُونَ إلى العرب لحتف نفوسنا ، وهلاك أرواحنا . فقالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأن العرب لا يقاومهم أحد ، وقد عاد النصر لهم ومع هذا فإن الملك شُهرِياض ما هو بأعظم من جنود الملك هرقل ولا ماهان الأرمني ! وقد أذهبت العرب دولتهم^(١) وأخذت معاقلهم وأرضهم وملكت مُلكهم ، وأنا أعلم أن الملك شهرِياض لا ثبات له مع العرب يوم المصاف وهذا جزء من بلاده ، قد مُلِكَ وهي : حرَّان وسَروج والعَمَق والبيرة^(٢) والخابور أيضاً ، وقد صارت قلعة ماردين بأيديهم ، يعني قلعة المرأة مارية ابنة أرسئوس ابن جارش ، وكأنكم بالعرب قد مَلَكَتْ ديار شهرِياض ، وعادت إليكم وتملكت دياركم وسَبَبَتْ حريمكم ؛ واعلموا أن الحق مع العرب وأنهم إذا قالوا قولاً وفوا به ، ومن سلَّم إليهم أَمِنَ على نفسه وبلده سواء رجع عن دينه أو أقام عليه واعلموا بعد ذلك ، فإنني في النار مع هذه الجارية طارون وقد نَقَدْتُ لها مراراً أن أكون لها بعلاً ، وتكون لي أهلاً ، فأبَت ذلك . وإنما تحب ابن ملك السنانسة ، فإن تزوَّجها وصارا يداً واحدة ، أخذنا معاقلنا وملكانا وحصوننا ولا مقام لنا معهما ، وقد رأيت رؤيا ، أنني الليلة أقبضُ عليها ونسير بها . فقال العقلاء

= الجبال القريبة من ميفارقين / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٦١ .

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢ / ٨١ وابن الأعمش الفتوح ١ / ٢٥٦ .

(٢) البيرة : مدينة تقع على الفرات قرب سميساط وبها قلعة هامة وتعتبر من مدن الجزيرة

وهي حالياً في تركيا / دائرة المعارف الإسلامية ٨ / ٨٥٦٦٧ .

منهم : أيها الملك إذا أنت فعلت ذلك فأني أرض تحميك ؟ فقال : يا قوم
نقصد عسكر العرب ونأخذ أماناً لأنفسنا منهم . قالوا : فإذا عولت على ذلك
فاغزم . قال : فخذوا على أنفسكم وتأهبوا للرحيل ، ففعل القوم ذلك . قال
الواقدي : فلما جنَّ الليل تزيّاً الغلام بزي ابن سُلَيْطَرُ ملك السنانسة ، وسار إلى
سرادق الجارية ، ودخل عليها على حين غفلة منها ، فلما رآته ظنت أنه موش
فوثبت له قائمة وسلمت^(١) عليه وصفقت له ، وكانت قد أبعدت الغلمان
والخُرَّاس والحجاب ، حتى لا يطلع أحد على سرها إذا قدم عليها الغلام
موش ، فلما نظرت إلى ابن عمها ، استحييت ، ولم يمكنها إلا أنها تخدمه أتم
خدمة . فقال لها : يا طارون أتظنين أنني لا أقف على شرك ولا أبحت على
أمرك ؟ ويحك أيُّ مناسبة بين الروم وبين الأرمن ، حتى ملئت بكليتك إلى ابن
ملك السنانسة . وتركت مثلي ؟ ثم مال عليها بشدة في غضون كلامه وقبض
عليها . وألقمها أكرة كانت معه ، وكان جهزها لها ، ثم كتفها وخرج بها إلى
عسكره فوجد أصحابه قد لبسوا وركبوا وتأهبوا ، وأرموا مضاربهم وخيامهم ،
فلما وصل إليهم أمرهم بالمسير ، فساروا ، ونظر أصحاب الغلام موش ، إلى
رحيل بوغور ، ثم إن الغلام قال لأصحابه : تأوُّوا بمسيركم إلى أن يطلع الفجر
فإن هذا طريق مضيق ، وتزدحم فيه الخيل والبغال . قال : ففعلوا ذلك ، وأما
بوغور ، فجدَّ في سيره فما أصبح إلا وهو على مرج الصُّور^(٢) فنزل هنالك ؛
وأما الغلام موش ابن ملك السنانسة ، فلم يقصد الجارية ولا سار إليها لأنه
خاف أن يقبض عليه ، وأن تكون قد عملت عليه حيلة ، فلما كان وقت رحيله
شدَّ على نفسه ، وركب وركب أصحابه ، وأقبل إلى سرادق الجارية طارون
فوجد أصحابها وحجَّابها ينتظرون خروجها من سرادقها ، وإذا بخادمها قد أقبل

(١) انظر : فتح الشام للواقدي ٨٢/٢ .

(٢) مرج الصُّور : هو مرج الصور بجانب حصن الصور المنيع وهو من حصون ديار بكر
الهامة / الأعلام الخطيرة ٢٥١ / اللؤلؤ المنشور ٥١٧ / .

من خيمته^(١) وعنده الخبر فدخل الشُرادق وخرج وقال : أين الملكة فقيل له : لا ندرى ما كان من أمرها ولا السَّبب في غيبتها . قال : فَشَاشَ^(٢) أصحابها وماج بعضهم في بعض ، وأرادوا الرجوع ، فقال الحجاب والمماليك ، إن عدنا إلى الملك (سُرُورُنْد) ضرب رقابنا ويقول : كيف اغتيلت ابنتي وأُخِذَتْ وما عندكم خبر منها ، وما أخذ الملكة إلا ابنُ عمِّها بوغور ، لأنه كان في قلبه منها النار ، ثم جدُّوا في سيرهم وتقلبوا على الجنائب وساروا يجدون السير . وأما بوغور لما استراح في مرج الصور ، وهمَّ بالمسير ، وإذا بالقوم قد أشرفوا عليه ، وهم يزعمون : يا ويلك اترك الجارية من يدك قبل حلول رمسك^(٣) . قال : فاستقبلهم الغلام بمن معه وهم بنو عمه ، فلما رأوا أصحاب الجارية أنهم مقبلين مصممين على الحرب ، وكذلك جيش السنانسة ، علموا أن القوم يريدون حربهم . فقال بعضهم لبعض : يا قوم قد لَزِمْنَا الأمر ، وليس ينجيننا إلا الجدُّ والقتال .

وأما الغلام بوغور ، فجمع أصحابه وقال لهم : يا قوم قد دهمنا أعداؤنا ، واعلموا أن القوم الذين نريدهم لا يتخلفون عنا ، إن علموا أننا قصدناهم وأردناهم ، ومن طريق العقل أن دينهم أفضلُ من ديننا . لأنهم يشيرون بالوحدانية لرب العالمين . ونحن نسجد للصُّور والصلبان ونعتقدُ زوجةً وولداً للخالق^(٤) فلو كان له زوجة أو ولد ، لكان مثل خلقه ، بل هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، وقد بلغني أنهم يقولون ، من قتل منهم صار إلى الجنة ، ومن قتل منا صار إلى النار ؛ فإن كنتم تريدون النصر على عدوكم ، فاذكروا ربكم بالوحدانية وقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٢/٢ .

(٢) شَاشَ : أي اختلط عليهم الأمر .

(٣) الرَّمْسُ : هو تراب القبر على وزن الفلْس وهو في الأصل مصدر .

(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٢/٢ . وانفرد الواقدي بهذه الرواية .

قال الواقدي رحمه الله : فأعلنوا بكلمة التوحيد ، فدوت لأصواتهم الجبال والتلال والرمال ، وأشرف عليهم أعداؤهم ، وهم قد لبسوا السلاح ومدّوا الرماح ، فلما سمعوههم يوحدون لرب العالمين ، ويصلون على النبي ﷺ ، أيقن أعداء الله أن بوغور ومن معه قد رجعوا إلى دين الإسلام ، فعند ذلك تقدم الغلام موش ، وقد دارت به أصحابه وأصحاب الجارية وقالوا : يا بوغور أبيت إلا أن تكون غادراً ماكرأ ، ومع غدرك ومكرك ، قد صرت كافراً ، كيف تركت دين آبائك وأجدادك ، وعدت إلى دين القوم ، أنظن برجوعك إلى دينهم وقولك بقولهم ينصرون علينا ؟ وأين العرب وأنتم وما يصل الصياح إليهم ، إلا وقد فرغنا منكم وقتلناكم عن آخركم ، وها نحن نحمل عليكم ، فقولوا للمحمد ينصركم ، ثم حملوا بعسكرهم على بوغور ومن معه ، واستقبلهم بنية صادقة وهمة عالية مُوافقة وأعلنوا بالتكبير بذكر الحق^(١) ، وصلّوا على سيد الخلق ، وبذلوا صوارمهم في الأعداء ، وروّقوا لهم شراب الردى وقصدوا نحو أعداء الله بالأسنة ، وجللوهم بالنائب والمحنة ، وطلبوا بجهادهم فيهم الجنة ، وطلّقوا الدنيا بتاتاً ، وحسبوا أنفسهم أمواتاً ، وصاروا بعد الألفة أشتاتاً ، كانوا يمسون في ظلمات ثلاث : ظلمة الجهل وظلمة الكفر وظلمة أنفسهم . فانقذ نار شوقهم من زناد صدقهم ، فأحرق درع الكفر ، ﴿ فأصبح هشيماً تذروه الرياح ﴾ [الكهف : ٤٥] . فلما أضاءت لهم الأفكار ، ولاحت لهم لوائح الأنوار ، لم يجدوا من يشار إليه بالوحدانية ويوصف بالإلهية . ويُعتُّ بالأزلية إلا واحداً أحداً . فردأ صمداً ، فخرّوا على وجه الاعتذار ، ونادوا بلسان الاقرار . فلما سجدوا وجالت منهم خواطر الأفكار في أسرار الاستبصار ، وقالوا : كيف عبدنا سواه ، وليس معبود إلا إياه . واخجلتنا إذا وقفنا بين يديه ، يوم العرض عليه ، بأي عمل نردّ

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٢/٢ ، ١٢٢ .

أم باي قاصدٍ نقصد . فأشار منادي الايمان إليهم ، ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ [التوبة : ١٠٢] .

لما دخلوا في معسكر الطاعة ، وخافوا من هول يوم الساعة ، جعلوا أرجل رجائهم ، في ركائب إقبالهم ، وساروا في مواكب عزهم وجلالهم^(١) لَمَّا رَفَعَتْ ضِيَاءُ إِيْمَانِهِمْ ، فِي وَادِي أَمَانِهِمْ ، وَأَشْرَقَتْ شَمْسُوسُ إِسْلَامِهِمْ مِنْ فَلَكَ اسْتِسْلَامِهِمْ ، وَاقْتَضَتْ بَرَاءَةَ أَفْرَاحِهِمْ هَزَارَ أَتْرَاحِهِمْ ، وَحَادِي حِمَالِ حَمَالِهِمْ قَدْ سَارَ ، وَدَلِيلُهُمْ بِسَرَادِقَاتِ الْجَلَالِ قَدْ اسْتَجَارَ ، وَمَنَادِي جِهَادِهِمْ يَنَادِي بِإِجْهَارٍ : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٤] .

قال الواقدي رحمه الله : ودارت بهم الأعداء وشرَّعوا نحو صدورهم الرَّدَى ، وأشرف بوغور وأصحابه على الهلاك ، وإذا بباب الصُّور قد فتح ، فطلع مائة فارس كالليوث الغواشم ، إلا أنَّ عليهم زِيَّ العرب ، وقد رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير ، وهم ينادون لمن أعلن بكلمة التوحيد : أبشروا بالأنصر والتأييد ، نحن قد أتينا لدعوتكم ، وخرجنا لمعونتكم وسوف نخلصكم من الأمر المهول وها نحن أصحاب الرسول ﷺ .

قال الواقدي رحمه الله : لما سَلَّمَ الراهب ميشا ماردين للمسلمين فإنه كان على الصُّور ابن عمه طالوت^(٢) ، وكان يحبه حباً شديداً ؛ وبعد أن سَلَّمَهَا لأصحاب رسول الله ﷺ ، بعث من وقته وساعته إليه يقول له : يا ابن العم إن الدين الذي لله قد ظهر مع هؤلاء العرب ، وهذا الدين هو دين الإسلام . ومحمد الذي بشر به المسيح ، وإنني أريد لك من الخير ما أريده^(٣) لنفسي ،

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٨٣/٢ .

(٢) طالوت : هو صاحب حصن الصُّور القريب من ماردين / اللؤلؤ المشور ص ٥١٧ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٣/٢ ، ١٢٢ .

- انظر فتح ماردين في : الخراج لأبي يوسف ص ٣٩ وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥/٥٣٤ .

والصواب أن ترجع إلى دين القوم وحصنك لك ، لا يزعجك منه أحد وأنا أضمن لك من العرب كل ما تشتهي ، فلما بعث إليه بالرسالة أجاب إلى دين الإسلام وعرض الإيمان على أصحابه ، فمنهم من أسلم ومنهم من أبى ، فمن بقي على دينه صرفه ، ومن أسلم استخدمه ، وبعث ميثا إلى عياض بن غنم يعلمه بإسلام ابن عمه طالوت ، فنفذ عياض إليه يشكره على ذلك وَيَعِدُهُ بكل خير ، وأنفذ إليهم عامر بن الأخوص^(١) الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ ، حتى يُعَلِّمَهُمْ شرائع الإسلام ، ثم بعد أيام بعث مائة من أصحاب رسول الله ﷺ ، ليأتوا بطعام من الصُّور وعلفٍ لخيولهم ، وكان المقدم عليهم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وفيهم : ضرار بن الأزور ، والمقداد بن الأسود ، وسعد بن غنيم ومعمر بن ماجد ، وبادي بن مرة وهلال ابن عامر ، وعيينه بن رافع وخضر بن يعشور الفزاري ، ومثل هؤلاء السادة . فلما وصلوا إلى الصُّور تلقَّاهم طالوت بالرحب والسَّعة ، وأنزلهم وأكرمهم وأمر لهم بالطعام ، فأقاموا عنده ثلاثة أيام ، حتى جاء بوغور وكان من أمره ما كان ، وما ذكرناه . فلما سمعوا تكبيرهم ، قالوا : هؤلاء قد رجعوا إلى ديننا ووجب علينا نصرتهم ، لأن عليهم ما علينا ، ثم خرجوا كما ذكرنا ، وحملوا على أعداء الله وأعداء رسوله^(٢) .

قال : ونصروا بوغور وأصحابه ، وقتل من أصحاب الجارية طارون ومن رجال السنانسة ألف وأربعمئة رجل ، وفرَّق بينهم الظلام ، فولى موش ومن تبعه وانهزموا بالليل ، وقصدوا طريق رश्من^(٣) ، وساروا إلى مرج رعبان ،

(١) عامر بن الأخوص الأنصاري : لم أعثرله على ترجمة .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٨٣/٢ .
والأعلاق الخطيرة لابن شداد ٥٤٥/٢/٣ .

(٣) رश्من : هكذا وردت في الأصل وهو تصحيف . والصحيح هو : طريق ريشعينا المحطة الهامة على طرق المواصلات بين المدن الكبرى في الجزيرة / كتاب الرها ص ١٤/ .

إلى الملك شهرباض وأعلموه بما جرى عليهم . فأيقن بزوال ملكه وتعجيل هلاكه .

أ- « فتح كفر توثا » ولما أصبح الله بالصباح نظر بوغور ومن معه ، وإذا بأعدائهم قد انهزموا ، فأقبل بوغور ومن معه يشكرون الصحابة . وازداد الإيمان في قلوبهم ، وحدثوا ما كان من أمرهم ، ثم ساروا مع الصحابة إلى عسكر عياض بن غنم رضي الله عنه . ولما عبروا على ماردین نزل إليهم ميشا رحمه الله ، وقد بلغه حديثهم ، وسلم عليهم وهنأهم بالسلامة ، وقال لهم : إذا كنتم تريدون الثواب الجزيل من الملك الجليل ، فتمموا إسلامكم بما ألقى إليكم .

قال بوغور : وما ذلك ؟ فقال له : أقصد من وقتك هذا إلى كفر توثا^(١) ، ولعل الله تعالى يفتحها على يديك . قال بوغور : وكيف ذلك ؟ قال ميشا^(٢) : انزل بفنائها أنت ومن معك ، فإذا غابت الشمس تسيروا على بركة الله تعالى وعونه ، واقصدوا كفر توثا فإذا أنتم جئتموها ليلاً ، قولوا لأصحابها : قد وجهنا إليكم الملك لحفظ المدينة ، فإذا صرتم في داخلها فتوروا على اسم الله وبركة^(٣) نبيه ﷺ . قال : ففعل ذلك . وودعه الصحابة رضي الله عنهم .

وَرَوَدُوهُ بالميرة وجلس بوغور إلى أن جنَّ عليه الليل ، ثم ارتحل بجيشه وثقله إلى أن وصل كفر توثا ، وقد مضى هزيع من الليل ، وكان القمر تلك

(١) كفر توثا : كورة من أعمال الجزيرة قصبته بلدة كفر توثا وتمتد بين دارا ورأس العين / معجم البلدان ٤/ ٤٦٨ .

(٢) ميشا : هو الراهب ميشا بن عبد المسيح الذي أعلن إسلامه قبل فتح ماردین .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٣/٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤/٢ . وفتوح البلدان للبلاذري ص ١٨٠ .

الليلة قد أبدَرَ^(١) شهر ذي الحُجَّة سنة سبع عشرة من الهجرة ، فلما وصل إليها أمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بشعارهم حتى لا يستوحش القوم ، وجاءوا في الانتقال والبغال والبرك . قال : فلما سمع أهل كفرتوثا ، أشرفوا عليهم من باب مروان ، وهو باب دنيسر^(٢) ، وسألوهم وقالوا : من أنتم ؟ قالوا : نحن عسكر الملك شهرباض وقد بعثنا الملك لنكون عوناً لكم .

قال الواقدي رحمه الله : وأعجب ما في هذه القصة ، أن الملك شهرباض كان قد سَير إليهم في يوم تلك الليلة وبعث لهم أني مُسَيَّرٌ إليكم جيشاً مع كَلَجَزَجِي الحاجب الكبير ، فإذا قدم عليكم ليلاً فافتحوا له الباب ، لأن العرب في آثارهم .

قال الراوي : فلما أشرف بوغور وجيشه ، وقالوا : نحن من عسكر الملك فنزلوا وفتحوا لهم الباب ، ودخل بوغور ومن معه ، ولم يُحدث حدثاً حتى أنزلوه في دار قد أعدت لحاجب الملك . فلما استوثق من رجاله وخزائنه ، صعد على السُّور وقال : لا يقرب أحد منكم سور الملك فنحن المُوَكَّلون به وبحفظه ، وبهذا أوصاني الملك . فقالوا : أيها السيد وكذا وردَ اليومَ كتابُ الملك^(٣) أنه لا يتولى حفظ السُّور ، إلا الحاجبُ الكبير وأنت هو ذلك .

قال الواقدي رحمه الله : فلما سمع الغلام بوغور قولهم علم أنَّ الملك يريد سيُنْفَذ إليهم جيشاً ، ولولا ذلك ما فتحوا له . فقال : انصرفوا إلى منازلكم وإياكم أن يظهر أحد منكم ليل ، فإن من وقعتُ به قتلته . قال : فانصرفوا إلى منازلهم ولم يبق عنده سوى الوالي الذي كان من قبل البطريق هو وغلامه ،

(١) أبدر : أي صار بديراً .

(٢) باب دنيسر : هو أحد أبواب ماردين بمواجهة حصن دنيسر القريب من ماردين .

انظر : معجم البلدان ٢/ ٤٧٨ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٣ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ وفتوح البلدان للبلاذلي ص ١٨١ .

فقبض عليهم بوغور وضرب رقابهم ، وتركهم في بعض الأبراج ووصى أصحابه . وقال : كونوا على حذر فإن شهر ياض يريد أن يُنفذ جيشاً إلى هذه القلعة ، وإذا رأيتموهم فانزلوا وافتحوا فردة الباب ، وكلما دخل فارس أبعده عن الباب ، وأنزلوه عن فرسه ، وخذوا لأمة حربه وأوثقوه . فقالوا : السمع والطاعة . فبينما هو يوصيهم إذ أقبل جيش الملك ، وهم ألف لابس ، وعلى مقدمتهم حاجب الملك الكبير وهو كلجرجي ، فصاحوا بمن على السور ، افتحوا لجيش الملك فتبادر أصحاب بوغور ، وفتحوا من الباب فردة واحدة . وقالوا : إننا لا نمكّنُ أحداً منكم يدخل إلا واحداً بعد واحد ، مخافة من يوقننا وأصحابه العرب ، أن يدخلوا في زيّكم . وصار كلما دخل فارس وأبعد عن الباب ، رجّلوه وأخذوا لأمة حربه وجواده وأوثقوه ، إلى أن حصل الألف في ربيعة الأسر . ثم إنهم استوثقوا^(١) من الباب وأشهروا سيوفهم وظهروا حتوفهم ، وصاحوا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

قال الواقدي : فارتجت كفرتوتا من قواعدها ، ووقع الرعب في قلوب أهلها ، وعلموا أن العرب قد ظفرت بهم ، فلم يجسر أحد منهم يظهر في المدينة ، فلما كان من الغد نادى المنادي من لم يخرج من بيته إلى وسط المدينة قتل .

قال : فخرج القوم مذعنين . فقال بوغور : أريد أن ينحاز الكبار والبطارقة وشيوخ المدينة عن الأعوام . ففعلوا ذلك . فلما انحازوا قبض عليهم واستوثق منهم ، وأنفذ إلى عياض بن غنم يعلمه بما صنع . فلما وصلتة الرئاسة سجد لله شكراً . وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأصحابه وصلوا بالميرة والطعام ، وحدّثوا عياضاً بحديث الغلام ، فكان ينتظر

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٤/٢ . وانظر فتح كفرتوتا في : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤/٢ .

ما يؤول من أمره . فلما أتاه الخبر بالفتح سجد لله شكراً واطال الثناء لله وتفاءل بالنصر ، وقال : يا أصحاب رسول الله ﷺ ، اركبوا ودونكم والقوم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ب - (معركة مرج رعبان)

ثم أمر خالداً أن يكمنَ في أَلَفٍ عن يمين القوم ، وأمر عمرو بن سالم^(١) بن أمية بن أَصْهَبَانَ أحد بني عبد الدار أن يكمن عن يسار القوم في أَلَفٍ فارس . وقال : لا تخرجوا من الكمين حتى تشبَّ نار الحرب ويشعلَ الطَّعن والضرب^(٢) ، وإذا حملتم فاعتمدوا على السيوف ، فإنها جلاء الحتوف ، وليكن شعاركم التهليل والتكبير ، واقطعوا حبلَ أمانكم من الحياة الفانية ، وارغبوا في العيشة الباقية ، وإياكم والميل إلى دار الغرور ، ومحلَّ النوائب والشبور ، وولا يغرنكم بالله الغرور ، ووافقوا بهممكم قوماً غدوا بحلاوة قضائه ، فصاموا وأمرهم بالوقوف على طاعته فهاموا ، وتجردوا لخدمته في الليل فقاموا ، فأثنى عليهم إذ هم بمحبته هاموا . فقال : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾^(٣) . قال : فركب المسلمون وتقدم المجاهدون وزحف الموحدون ، ونشرت الرايات والبنود ، وتواعدوا بالقيام لليوم الموعود ، وقالوا : إلهنا مالنا سواك نصير ، أنت ﴿ نعم المولى ونعم النصير ﴾ [الأنفال : ٤٠] قال : ووقع الصائح في عسكر الروم : إن المسلمين قد زحفوا إلى قتالهم ، فبادروا للقتال ، وسابقوا للنزال . ولبسوا وتدرَّعُوا وعن الآخرة تورعوا ، وإلى رضى الصليب أسرعوا ، ورفعوا رايات الصُّلْبَان ، وتلا الانجيل القُسَّاس والرُّهبان ، وفتحت لهم أبواب النيران عندما أشركوا

(١) عمرو بن سالم بن أمية : انظر أسد الغابة ٤/١٠٥ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/٨٤ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٥٣٤ وفتوح البلدان للبلاذري ص ١٨٠ .

(٣) سورة فصلت الآية ٣٠ .

بالرحمن ، واستغاثوا بمريم وبرضا المعمدان^(١) ، وصار عليهم من الكفر شبهُ الدُّخان ، ووقعوا في أمر مريع . فلما نظر المسلمون إلى تقدُّمِهِمْ وكثرة من اجتمع إليهم من قومهم استسلموا لحكم القضاء ، وقالوا : مرحباً بما قدَّر وقضى^(٢) .

فَنُودُوا في سرائرهم ، قد اشترينا منكم النفوس ، فَسَلَّمُوا واصبروا لحكم القضاء ، وقولوا : مرحباً بما قدَّر وقضى ، ولا تُؤَلُّوا الأدبار فتندموا ، فهذا سبق الحكم وخطُّ القلم في اللوح المحفوظ بما جرى ، وكتب في أمره وقرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى ﴾ . قالوا : ما الذي اشترى قال من له المِثَّةُ : ﴿ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ [التوبة : ١١١] . فقالوا : نحن نريد التسليم لنصل إلى جنة النعيم . قيل : فانهضوا إلى سُوقِ البَيْعِ فقد هبت نسيمات النعيم ، وتجلَّى لقبض أرواحكم الرُّؤُوفُ الرحيم . فَسَبَّحُوا وسجدوا ورفعوا أصواتهم بتوحيده ومجدوا . فلما أيقنوا بالوصال ، طلعت لهم نجوم الاتصال ، وشوَّقَ سُهَيْلُ^(٣) بتسهيل الحال ، وأزهرت زهرة^(٤) الأحوال ، واستدار قمر قبولهم في فلك التيسير ، وناداهم منادي التحذير : ﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بِصِيرٌ ﴾ [سبأ : ١١] ، فلما سمعوا حَذَوْ حُدَاةِ الْأَفْكَارِ وَوَقَعَ أَخْفَافِ رَاقِصَاتِ الْإِفْتِكَارِ ، بَذَلُوا سيوفهم ، وأَرْضَوْا قُدُوسَهُمْ ، وجاهدوا واجتهدوا وحملوا واقتصدوا ، ونهلوا من منهل شهادته ووردُّوا ، ولم يزالوا في حرب الأعادي ، وموارد الاجتهاد في معاني ميادين الجهاد ، حتى خرجت الكمءاء ، وهبت عواصف الفناء ، وزعزعوا ما كان قد شَيَّدَ الْكُفَّارُ مِنَ الْبِنَاءِ ، وانتشرت عنهم استبطان ما أَمَلُوا من

(١) يوحنا المعمدان : هو النبي يحيى عليه السلام ابن خالة السيد المسيح عليه السلام .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٨٤/٢ .

وانظر الفتوح لابن الأعمش ٢٥٦/١ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٥/٢ .

(٣) سُهَيْلٌ : هو نجم في السماء .

(٤) زهرة : هو نجم الزهرة في السماء .

الأماني والمنى ، فقتل منهم أقيال^(١) صناديد^(٢) ، وأصبحوا قتلى على وجه الصَّعيد ، وناداهم منادي التهديد : إن عذاب جهنم لشديد ﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ [هود : ٨٣] ، ولم يزالوا في قتال القوم إلى أن مضى النهار ، وأقبل الليل ودنا والمسلمون ، يقولون : يا ليت تمادت رايات الأنوار ، ولم يدركنا جيوش الاعتكار ، حتى كُنَّا نهزم عساكر الكفار ، وإذا قد ظهر على أطناب السَّراة القتال . ﴿ ولا الليلُ سابق النهار ﴾ [يس : ٤٠] .

قال الراوي : ولما أتى الليل بجانبه ، تبادروا للحرب ومقام الطعن والضرب ، ولم يتمهَّل بعضهم على بعض دون أن وقعت . قال : فانهزم الجناح الأيمن من المسلمين^(٣) ، وكان فيه أخلاط العرب من ربيعة^(٤) وكندة^(٥) ، وعاملة^(٦) ومرة^(٧) وبجيلة ، وانهزمت ميسرة العدو ، ووقع فيهم القتل الذريع من أصحاب رسول الله ﷺ ولم يزل القتال بينهم إلى أن جَنَّ الليل وتحارسوا ، فلما كان في اليوم الثالث من الحرب تولَّاهُ خالد بن الوليد ، فرتب الناس للحرب ترتيباً جديداً ، وجَعَلَ في الميمنة باهلة^(٨) وطيء^(٩) ونهد^(١٠) ،

-
- (١) أقيال : جمع ومفرده قبل وهو الملك الفارس .
(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٥ / ٢ .
(٣) انظر خبر المعركة في : فتوح الشام للواقدي ٨٥ / ٢ وابن الأعمش الفتوح ١ / ٢٥٧ .
(٤) ربيعة شعب عظيم فيه قبائل وبطون وأفخاذ يستغنى المنتسب بها عن ربيعة / اللباب في تهذيب الأنساب ١٦ / ٢ .
(٥) كندة : قبيلة عربية مشهورة من اليمن وتتصل نسباً بكهلان بن سبأ / اللباب ٣ / ١١٥ .
(٦) عاملة : قبيلة عربية تنسب إلى كهلان بن سبأ القحطانية وتلتقي مع كندة في عدي ابن الحارث / اللباب ٢ / ٣٠٧ .
(٧) مرة : قبيلة عربية تنتسب إلى مضر / اللباب ٣ / ٢٠١ .
(٨) باهلة : قبيلة عربية تنتسب إلى باهلة بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر / اللباب ١ / ١١٦ .
(٩) طيء : قبيلة عربية قحطانية ينتسب إليها قبائل وعشائر وبطون كثيرة / اللباب ٢ / ٢٧١ .
(١٠) نهد : قبيلة تنسب إلى قضاة / اللباب ٣ / ٣٣٦ .

وفي الميسرة عدي^(١) ونمير^(٢) وفزارة^(٣) ، وسنسب^(٤) وفي الجناحين كندة وعاملة ومرة وبجيلة والسكاسك^(٥) والسكون^(٦) . وفي القلب أبطال الموحدن والمهاجرين والأنصار وجعل راية اليمنة بيد عامر^(٧) بن سُرَاقَة العوفي ، وصاحب راية الميسرة بيد ضرار بن^(٨) الأزور وصاحب راية الجناح الأيمن عبد الرحمن الأشتر^(٩) وصاحب راية الجناح الأيسر ربيعة بن عامر^(١٠) وجعل لواء المسلمين في القلب ، مع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وأقبل خالد يرتب المواكب ويصُفُّ الكتائب ، ويقول : اتقوا الله الذي إليه مصيركم واعلموا أن الله متكفل بتأييدكم ، وإياكم أن يؤتى الاسلام من قبلكم . فمن ولى الأدبار كان مأواه النار ، وغضب عليه الجبار ، واعلموا أن الله فرض عليكم الجهاد ، وقتل الأعادي وما عند الله جل جلاله أفضل من قطرتين : قطرة دم جرت في سبيل الله ، وقطرة دمع جرت من خوف الله وهذا اليوم له ما بعده ، فاتقوا الله عباد الله ، واثبتوا في هذا الموطن ، كما ثبتتم في مواطن كثيرة ، وإياكم والفشل فتذهب ريحكم ، وقوموا بشريعة نبيكم واعلموا أن الله

-
- (١) عدي : بنو عدي بطن من قريش وينسبون إلى عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر / الباب ٣٢٨ / ٢ .
(٢) نمير : بنو نمير ينتسبون قبائل تميم ٣٢٧ / ٣ الباب / .
(٣) فزارة : وهي قبيلة تنسب إلى فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفانة . من قيس عيلان / الباب ٤٢٩ / ٢ .
(٤) سنسب : قبيلة من قبائل طي القحطانية ولها بطون وأفخاذ أيضاً / الباب ١٤٤ / ٢ .
(٥) السكاسك : انظر الصفحة ٥٢ .
(٦) السَّكُون : هي إحدى بطون قبيلة كندة / الباب ١٢٥ / ٢ .
(٧) عامر بن سُرَاقَة العوفي : انظر : الطبقات خليفة ص ٢٢ .
(٨) ضرار بن الأزور : انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ١١ / ١٥٣ .
(٩) عبد الرحمن الأشتر : انظر : أسد الغابة ٣ / ٣٢٠ .
(١٠) ربيعة بن عامر : انظر أسد الغابة ٢ / ١٦٩ .

مع الصابرين ، ولا يضيع أجر المحسنين وها أنا أنفرد وجماعة من المسلمين إلى صليب القوم ، ولسنا براجعين إلا بحطم من حوله من الكفرة والمشركين . قال الله تعالى : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾^(١) فإذا رأيتم الصليب قد وهى إلى الأرض ، فاحملوا والله ينصركم ، ثم حمل هو ومن معه ، وقصد لواء الملك شهرياض وصليبه الأعظم ، فما ردّهم عن حملتهم كثرة العساكر ولا تمنع الدروع^(٢) ولا كثرة السهام .

قال الواقدي رحمه الله : ولقد بلغني ممن أثق به أنهم لما حملوا طحطحوا الكتاب وزعزعوا العساكر ، وأزالوا الأبطال عن مراكزها والبطارقة عن مراتبها ، ولم يعتمدوا على رمح ولا رمي سهم ، بل جرّدوا السيوف واستقبلوا بها الصفوف . ولما رأى الملك شهرياط ، إلى فعل أصحاب رسول الله ﷺ ، رمى التاج عن رأسه وزعق بالبطارقة^(٣) والأراخنة^(٤) والقياصرة وقال لهم : يا معشر الروم من بني الأصفر ، اعلموا أن ما بين ذهاب دولتكم وبينكم إلا هذا ، فإما أن تقاتلوا عن ملككم ودينكم وحریمكم وأموالكم ، وأنتم أضعاف القوم مراراً ، فأخلصوا نياتكم ، وثبتوا أقدامكم ولا تؤثّلوا الأدبار ، فيطمع عدوكم فيكم وفي جانبكم ، فمن ولّى منكم غضب عليه المسيح وأدخله النار . قال : وبلغني أن في يومهم هذا وصل بطركهم^(٥) الكبير ، المشار إليه

(١) سورة الروم . آية ٤٧ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٥ والفتوح لابن الأعمش ١/ ٢٥٧ .

(٣) البطارقة : مفردا بطريق وهو القائد من قواد الروم ، ويقود عشرة آلاف جندي ويمهد للبطارقة في الدولة الرومانية بتولي شؤون الحكم في المدن / الأعلام الخطيرة ٢٨١/٣ .

(٤) الأراخنة : رتبة قيادية كبيرة في الجيش الروماني تلي رتبة البطريق مباشرة / الأعلام الخطيرة ٢٨١/٣ .

(٥) البطريرك الكبير : لقب ديني كبير لدى النصارى فوق مرتبة المطران . الصحاح في اللغة والعلوم - مادة : بترك .

في دينهم ، ومعه كُلُّ قسٍ كان بأرض الجزيرة ، وكل مطران وشماس ، والرهبان قد أنزلهم من (قلاليهم)^(١) ليحرضوا القوم على القتال . وكان هذا البطرك اسمه (دين الدّين) كان يسكن بدير يقال له : دير قرقوت^(٢) ، وإنهم وصلوا قبل حملة الروم والمسلمين ، فوعظهم بين الصفوف وقال لهم : من انهزم منكم حَرَمَتُهُ ولا يقبله المسيح أبداً^(٣) .

ثم انفصل عن القوم ، ومن معه من الأقسّة ، وصعدوا على رابية مشرفة على المصاف ، ورفعوا الصليبان وفتحوا الأناجيل وقرّدشوا وأشركوا .

قال الواقدي : حدثني بشر بن عامر ، وكان ممن حضر وقعة مرج رعبان قال : وكانت الوقعة يوم الثلاثاء من شهر صفر سنة سبع عشرة من الهجرة ، وكان شهرياض قد أُنْفَذَ إلى رأس العين وسائر بلاده ، وأتى بحريم الأجناد ، وسائر البطارقة وأولادهم وأقامهم يوم المصاف على أبواب الخيام والشراذقات ، وقال : لا تبقى امرأة إلا وترفع ولدها على يديها ، وتصيح باسم بعلمها أو أخيها وإنما فعل ذلك لِيَتَبَيَّنَ العساكر والبطارقة ، لقتال أصحاب رسول الله ﷺ .

قال الراوي : ووقع الصباح من كل جانب وعملت القواضب ، وثبت الروم ثباتاً عظيماً لأجل حريمهم اللواتي نصب أعينهم ، وأيضاً لأجل البطرك ، وعلماء دينهم وترجّل منهم أهل القلاع والحصون والملوك ووقفوا صفّاً واحداً ، وألصقوا المناكب بعضاً ببعض وأقبلوا على رمي الشباب . ووقف في مقابلتهم رجال اليمن ، من عاملة وبجيلة ومرة ومراد^(٤) والسكاسك يرمون

(١) قلالي : هي أماكن الاعتكاف والعبادة لدى رهبان النصارى . مفرداً قُلَّةً .

(٢) دير قرقوت : يقع هذا الدير عند قرية قنقرت في ديار بكر ، وقرقوت تصحيف والأصح دير قنقرت حيث أنشئ فوق مقام للنبي إيليا / اللؤلؤ المشور ص ٥١٣ / .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٨٥ / ٢ .

(٤) مراد : قبيلة عربية كبيرة من اليمن تنتسب إلى مذحج . / اللباب في تهذيب الألباب ١٨٨ / ٣ .

بالنبيل . وأما خالد وأصحابه رضي الله عنهم حملوا يريدون صليب القوم^(١)
وهو ينشد ويقول^(٢) : [البحر الطويل]

وَنَهَزِمُ جَيْشَ الْمُشْرِكِينَ بِهِمَّةٍ تَطُولُ عَلَى أَعْلَى الْجِبَالِ الرِّوَاسِ
وَنَنْصُرُ دِينَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ يَفْتِيَانِ صِدْقٍ مِنْ كِرَامِ الْأَعَارِبِ
فَيَا مَعْشَرَ الْأَصْحَابِ جُذُّوا وَجَنْدَلُوا وَكُرُّوا عَلَى خَيْلِ كِرَامِ الْمَنَاسِبِ
فَدُونَكُمْو قَصْدَ الصَّلِيبِ وَيَادِرُوا لِيَرْضَى إِلَهُ الْخَلْقِ رَبُّ الْمَوَاهِبِ

قال الواقدي : ثم قصدوا القلب والصليب ، وكان اللعين شهرياض ، لما صفَّ الصفوف أقام حول الصليب الأعظم ، اثني عشر ألف فارس ، وزرع حولهم حسكاً من الحديد ، حتى لا يصل إليه أحد من العرب ، ولما حمل خالد وأصحابه ، وقربوا من مضارب القوم ، وداست خيولهم ذلك الحسك انكبَّت على وجوهها ، وأوقعت الصحابة عن ظهورها ، فأكبَّت عليهم الروم بغيظها وحنقها ، فأخذوهم قبضاً باليد لأنهم لا يقدرُونَ على قتال ، ولا تثبت أرجلهم على الحسك ، فأخذوهم عن بكرة أبيهم ، وارتفعت العطاط^(٣) من كل جانب ، وعملت المرففات والقواضب . قال : ولما نظر الأمير عياض بن غنم ، ما وقع بخالد ومن معه صعب عليه وكبر لديه ، وقال : يا ابن غنم ما يكون عذرك غداً بين يدي الله تعالى ، وقد نكبَّ هؤلاء السادة تحت لوائك^(٤) .

فنادى بأعلى صوته : معاشر المسلمين احمِلوا ولا تمهلوا وأيقظوا هممكم وعجِّلوا واستخلصوا أصحابكم من الأسر ، واطلبوا من الله النصر قال : ولما

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٦/٢

والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٥/٢ .

(٢) انظر الأبيات في : فتوح الشام للواقدي ٨١/٢ .

(٣) العطاط : الصياح .

(٤) انظر : أسر خالد وأصحابه في فتوح الشام للواقدي ٨٦/٢ .

همَّ عياض بالحملة لاستنقاذ خالد من الأسر ومن معه ، وقف أمام صفوف المسلمين رجلٌ يقال له : ناسبُ بن وضاح الديباني ، وكان حليفاً لخالد ، فحضر يومه ذلك بمرج رعبان ، وكان من أفصح العرب لساناً ، وأجرأهم جناناً وأحدَّهم لساناً وأعلمهم بياناً . وقال : أيها الناس إن الصبر والثبات جندان لا يُغلبَان . وهذا اليوم له ما بعده ، وما ترون من نخوتكم ودينكم ومروءتكم ، أن تدعوا أصحاب رسول الله ﷺ ، في أيدي الأعداء فاستخلصوهم من ربةٍ الردى ، واتقوا الله الذي إليه مصيركم ، واعلموا أن ترك الأشياء النفيسة ، لا تليق إلا بالنفس الخسيسة ، أما تحققتُم أنَّ الدنيا تؤول إلى الزوال والفناء ، والآخرة هي دار النعيم والبقاء ، أما سمعتم أن الهمم الإنسانية والأرواح الجثمانية ، عوّلت بالانتقال عن الدنيا السّاحرة إلى دار الآخرة ، وقالت : لا بد من الرحيل ، لأن البقاء في الدنيا قليل ، فكوّدوا معاشر الأرواح ، قد قرب الرّواح ونحن القصد منكم قد عرفناه ، ومُرَادُكم قد فهمناه ، وإنَّ سفركم سفرٌ شاق ، يحتاج إلى زادٍ ورفاق^(١) . قالوا : وما الزّاد الذي نكثر منه ولا نعدل عنه ؟ قيل لهم : إنه الزاد الأوفى : ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾^(٢) . قالوا : فما هذا الزاد فما مِنّا من يقدر عليه ؟ ومِنّا من لا يصلُ إليه فلا تتعرضوا لتلافكم ، وعليكم بتلاقي شرابكم ، وإياكم والتعرّض لهذا السّفر بغير زاد ولا أعمال ، واعملوا اليوم لا بيع فيه ولا خلال . فلما خلصوا من ربةٍ أسر الدنيا ، خلَعَ عليهم خِلَعَ الأنعام ، وتَوَجَّهَتْهم بتيجان التبجيل والإكرام ، وجعل لهم الفردوسَ منزلاً ، وقال في حقهم : ﴿ كانت لهم جنات الفردوس نُزلاً ﴾ [الكهف : ١٠٧] . فابتغوا لازماً . قال

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٨٦/٢ .

انظر : الفتوح ، لابن الأعمش ٢٥٦/١ .

(٢) سورة البقرة . الآية ١٩٧ / .

الملك المقتدر : ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾^(١) قال : فلما سمعوا هذه الموعظة حملوا بأسرار صافية ، وهمم وافية ، وطعنوا في صدور الرجال ، وفُرِّقَتْ طيورُ الآجال ووضعوا السيف في الروم ، وصَبَّحُوهم بيوم مدموم .

قال : فلم يزل القتال بينهم بقية يومهم إلى أن جَنَّهُم الليل وانفصلوا عن القتال ، ورجع المسلمون وهم متأسفون على أسر خالد ومن معه ، وباتوا يسألون الله تعالى أن يَمُنَّ عليهم بخلاصهم .

قال الواقدي رحمه الله : وأما ما كان من حديث خالد ومن معه ، فإنهم لما وقعوا في الأسر وانفصل الناس من الحرب وجنَّ الليل ، أنفذهم الملك شهرياط إلى رأس العين^(٢) مع حاجبه نُقَيْطَا ابن عَيْرِيُوش ، ومعه ألف فارس ، يُسَلِّمُهُم إلى زوج ابنته وهو مُرْتَمِيُوش ابن احترنوش العَمَقِي الوالي على رأس العين .

قال : فذهب بهم فلما طلع الفجر وهم برأس العين ، نفَّذَ إلى الحاجب عيربوش يُخبر الوالي بالقصة ، فخرج في موكبه إلى لقاء الحاجب ، ووقع الصايح في عين وردة ، بقدوم من أسر من أصحاب رسول الله ﷺ ، فما تخلف منهم أحد ، وكان يوماً مشهوداً .

وألقاهم الوالي في كنيستهم العظمى وهي الجامع اليوم ، واستوثقوا منهم بالقيود والأغلال .

قال : حدثني رُوَيْم بن قادم الشكري قال : أخبرنا خالد بن بشار بن عدي قال : حدثني سُراقَة بن زهير ، قال : أخبرني خُزَيْمَةُ بن عامر عن جدِّه عبد الله

(١) سورة الأحزاب . الآية ٢٣ / .

(٢) انظر فتح الشام للواقدي ٨٦/٢ .

وانفرد الواقدي برواية أسر خالد ورفاقه وإرسالهم أسرى إلى رأس العين .

بن عامر قال : لما فُتحت الرُّها وسروج وحرَّان صلحاً ، اجتمع يوقنا رحمة الله مع رودوس وجمع أصحابه وهم أربعمئة فارس فقال لهم : اعلموا أن الله سبحانه وتعالى قد فتح هذه البلاد مِنَّةً علينا ، واعلموا أن رأس العين مدينة آهلةٌ بالخَلْق ، واستعدَّ أهلها بآلة الحصار ، وربما صُعِبَ فتحها على المسلمين ، وإنِّي أريد أن أهب نفسي لله تعالى ، وأسبر بجميع أصحابي ، فلعلِّي أن أحصل في المدينة ، ولعلَّ الله تعالى يفتحها على يدي^(١) . فقال سعيد رضي الله عنه ، قوَّى الله إيمانك وثبَّت جَنَانك . قال : وعول يوقنا على المسير تلك الليلة ، وإذا بعيون المسلمين قد أقبلت إلى حرَّان ، تخبر أنه قد وردَ عاصمُ بن رواحة^(٢) المنتصر ، في خمسمائة فارس من قومه من إياد الشَّمْطَاء ، وكان قد وصل قومه إلى قسطنطين^(٣) بن هرقل ، وتدير في بلاد القسطنطينية ، حتى جاء كتاب عمر^(٤) بن الخطاب رضي الله عنه إلى قسطنطين أن يبعدهم من دياره ، وإلا غزاه فأبعدهم من دياره وأرضه ، ففرقوا على كل أرضٍ وموضع ، وقصَّد منهم هذا الرجل عاصم بن رواحة الإيادي ، إلى الملك شهرباض في خمسمائة فارس كما ذكرنا .

وكان الملك يحبه ويرى له ، وإنه لما وصلَ إلى البيرة ، كتب إلى الملك يُعرِّفه أنه خرج من ديار قسطنطين ، وقد أتيت قاصداً إلى خدمتك . وبعث الكتاب مع رجل من بني عمه اسمه رفاعة بن ماجد ، فعبر الفرات وأقبل إلى الملك وناولَه الكتاب ، ففرح الملك بقدومه ، ونقَّذَ يستعجله بالقدوم عليه ، وأنقذَ إلى والي رأس العين أن يخلي له داراً ينزل فيها إذا قدم مع أصحابه .

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٧/٢ .

وابن كثير ، البداية والنهاية ٧٦/٧ ، ١٣١ .

(٢) عاصم بن رواحة = عاصم بن رواحة الإيادي .

(٣) قسطنطين : هو قسطنطين بن هرقل تولى حكم بيزنطة بعد أبيه هرقل وعاش زمن خلافة عمر بن الخطاب / الأعلام / .

(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٧/٢ .

قال : فلما بلغ الخبر ليوقتنا رضي الله عنه من عيونه فرح وقال : أي طريق يأخذ ؟ قالوا : على سروج ، وقد تركناه يعبر ليلة غد مع أصحابه^(١) .

قال الواقدي : فخرج يوقنا رحمه الله ومن معه وصُحِبَتْهُ عمرو بن معدي كرب ، وسعيد بن زيد وقومه الأربعمائة ، وساروا يَجْدُونَ السَّيْرَ إلى أن كمنوا له ، وقد علموا أن لا بد لهم من العبور هنالك ، فلما ضرب الليل سرادقه وظلامه ، ونصب على الخافقين قتامة ، رتب عساكر ديجوره والدجى ، ونادى منادي الغيب : ﴿ واللَّيْلُ إِذَا سَجَى ﴾ [الضحى : ٢] .

فبينما هم مكمنون ولأعداء الله ينتظرون ، إذا أقبلت خيول القوم وسمعوا قعقة اللُجَم ، وصرير الحُزْم فتركوهم حتى توسطوا مكمنهم ، وخرجوا عليهم من مكمنهم من كل جانب ، قصد كل فارس لفارس من القوم ، فأخذوهم عن بكرة أبيهم ولم ينفلت من القوم أحد ، واحتوا على أثقالهم ورحالهم ورجعوا إلى مكمنهم ونزلوا عن خيولهم .

فقال سعيد بن زيد : من أميركم حتى أخاطبه ؟ فأشاروا إلى عاصم .

فقال سعيد : أخبرني أي مناسبة بينكم وبين الروم ، حتى لُذَّتْ بجانبهم ، وتركت العرب العَرَبَاء ، وأنت منهم وأنت منا وإلينا ، وحَسْبُكَ حَسْبُنَا وَنَسْبُكَ نَسْبُنَا ؟ لأن أنمار^(٢) وإياد^(٣) وربيعة^(٤) ومضر^(٥) كلُّها نرجعُ إلى نزار^(٦)

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٧/٢ .

وانظر الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٥٤/٤ .

(٢) أنمار : قبيلة عربية من القبائل العدنانية / اللباب ٩١/١ .

(٣) إياد : قبيلة عربية من القبائل العدنانية / اللباب ٩٦/١ .

(٤) ربيعة : شعب عظيم فيه قبائل وبطون وأنخاذ كثيرة من القبائل العدنانية / اللباب ١٦/٢ .

(٥) مضر : جد من جدود العرب وهو مضر بن نزار بن معد بن عدنان وإليه تنسب قريش وهو وربيعة بن نزار من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام / اللباب ٢٢٢/٣ .

(٦) نزار : جد من جدود العرب وهو نزار ابن معد بن عدنان أبو ربيعة / اللباب ١٦/٢ .

بن معد بن عدنان .

وإن الله اختارهم لسكنى حرمه وجوار بيته ، وقد كنّا نسجد للأصنام ونستقسم بالأزلام ، ونشيع طرق الحرام ، حتى بعث الله نبيه ﷺ^(١) . وقال له : ﴿ وأندر عشيرتك الأقربين ﴾^(٢) ، فقام ﷺ في دار الخيزران^(٣) ، فدعاهم إلى عبادة الملك الديان وقال : أنتم ولدُ اسماعيل وجدُّكم ابراهيم الخليل وقد فضلكم باري النسم بسكناكم البلد الحرام ، والبيت المعظم وزمزم والمقام . فما لي أراكم على الأصنام عاكفين ، وبالأزلام حالفين ، وفي أسمال الكفر رافلين .

أما لكم عقول تردُّكم ؟ أما لكم بصائر تصدُّكم ؟ أما أنتم ذوي الآراء الشامخة ؟ أما أنتم ذوي الأحلام الراجحة ؟ ألهذا خلقتُم ؟ أم به في الأنام أمرتم ؟ تحثُّم الأصنام من الأحجار ، وسلكتُم طريق الفجار ، وكفرتُم بالواحد الجبار ، الذي زجر البحار وأجرى الفلك الدَّوار ، وخلق الليل والنهار ، أما تتفكرون في الصانع الذي جعل الثَّجوم مشارق ومطالع ، وكلُّ منكم إليه في المعاد راجع . قالوا : يا محمد من أمرك بكسر أصنامنا ، وتسفيه أعلامنا ؟ قال : يا قوم العالِمُ أمرني والعقل بصَّرني ، أما علمتُم أنه من نظر في المصنوعات ، وتدبَّر وعلم أنَّ لها صانعاً لا يتغيَّر ، فالنظر في المخلوقات حِكْمة ، والتفكُّر في صنعته هبة ، والإقرار بوحْدانيته نعمة ، والإيمان به رِجْمة . قالوا : فمن تعبد . قال : الذي خلقتني وفطرني وصوَّرني وشرح لي صدري وصوَّر ، وخلق المخلوقات وقدر ، وأنزل الأرزاق بقضاء وقَدَّر ، ليس

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٧ / ٢ .

(٢) سورة الشعراء . الآية ٢١٤ .

(٣) دار الخيزران : هي دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة اختفى فيها الرسول ﷺ لما اشتد عليه أذى قريش / المنتظم ٣٨٠ / ٢ .

في مشيئته كَيْفَ^(١) ، ولا في أَقْضَيْتِهِ حَيْف ، يقول ولا يَتَلَفُظ ، ويعلم ولا يَتَحَفُظ ، يريد ولا يُضْمَر ، ويسمع ويبصر . تعالى عن المكان والأَيْن ، والتشبه والشَيْن ، وقال تعالى : ﴿ لا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [النحل : ٥١] .

أما علمت يا ابن رواحہ أن ديننا الحق ، وقولنا الصّدق ، وما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا وأَمَرَ أُمَّتَهُ بالإسلام . قال الله تعالى في القرآن المبين : ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكنْ كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرجٍ مِلةً أبيكم إبراهيم ، هو سَتَأْكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٤) .

وأنت تعلم أنك في قبضتنا ، فإن آمَنْتُمْ بالله وَصَدَقْتُمْ برسالة رسول الله ﷺ ، فلکم مالنا وعليکم ما علينا ، وإن أبيتم ضربنا رقابکم .

قال : فلما سمع عاصم بن رواحہ ذلك قال : فإن رجعنا إلى قولکم أيغفر الله لنا ذنباً أتيناہ من معصيته والإشراكِ بربوبيته والشُّجود لغيره ؟ قال سعيد : نعم لأن الإسلام يهدم ما قبله ، وجميع ما كنتم فيه لا يطالبکم الله به ، وتخرجون من الذنوب كيوم خرجتم إلى الدنيا من بطون أمهاتکم^(٥) . ثم تلا قوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾^(٦) .

قال : فلما سمع عاصم بن رواحہ كلام سعيد قال له : مُدِّ يدُك أنا أشهد أن

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٧ .

(٢) سورة آل عمران . الآية ٦٧ .

(٣) سورة المائدة . الآية ٣ .

(٤) سورة الحج . الآية ٧٨ .

(٥) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٨ .

(٦) سورة الزمر . الآية ٥٣ .

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فلما نظروا إلى سيدهم قد أسلم آمنوا جميعهم بالله ورسوله ، وفرح المسلمون بذلك وقالوا : يجب علينا أن نطيب قلوب هؤلاء القوم ، ثم ساروا من وقتهم وساعتهم إلى حرّان ، وأنزلوهم وخلعوا عليهم .

وقال يوقنا : الآن فتحنا رأس العين إن شاء الله تعالى وربّ الكعبة . فقال سعيد : وكيف ذلك يا عبد الله ؟ قال : سوف أريك بيان ذلك إن شاء الله تعالى . ثم قال لعاصم بن رواحة في السرّ : أريد منك في ليلتك هذه أن تشدني كتاباً وتربطني وثاقاً ، والأربعين غلاماً من أصحابي ، وتجعلنا على ظهور الجمال التي وردت معك تحمل أثقالكم ، ويركبون هؤلاء السادة يعني الأربعمائة أصحاب رسول الله ﷺ ، وتسيروا من ليلتكم هذه إلى رأس العين ، وتقولوا لواليتها ، لما عبرنا الفرات وجئنا نريدكم خرج علينا هؤلاء ، فرزقنا المسيح النصر عليهم ، فقتلنا من قتلنا وانهزم الباقون ، وأسرنا هؤلاء وقد جئنا بهم ؛ وإياك أن تمكّنه أن يقتل أحداً منا ؛ وإذا أراد ذلك فقل له : المصاف بين الملك والعرب ، ولا تدري من يؤخذ من أصحابه ، فتمسكون هؤلاء بسبب الفداء . قال عاصم : ولم لا نسير بجمعنا وأصحابي كلهم ^(١) .

فقال : يوقنا إنّ الاسلام بعد لم يحلّ في قلوب القوم ، ونخاف أن أحداً منهم يغمز علينا ، فيفسد علينا حالنا ، والثقة بكل أحد عجز . فقال : صدقت في قولك . ثم أنزل بني عمه والخمسمائة بحرّان وثلاثة أولاد له ، وإنما فعل يوقنا ذلك على سبيل الرهينة ؛ ثم كتّفوا يوقنا هو وأربعين رجلاً من بني عمه ، وتزيّوا أصحاب رسول الله ﷺ بزّي إباد الشمطاء . وخرجوا من حرّان ليلاً ، وساروا طالبيين رأس العين . فلما وصلوا إلى موضع يعرف (بعلوا) ^(٢) ،

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٩/٢ .

وانظر الفتوح ، لابن الأعمش الكوفي ٢٥٧/١ .

(٢) علوا : مكان يقع بين سميساط ورأس العين .

سمعوا قعقة اللُجَم ودويَّ الخيل ، فوقفوا مُتَجَسِّسِينَ وإذا بهم أربعمئة رجل من السودان ، وخمسون فارساً وهم يقرأون القرآن ، وبعضهم يُسَبِّحُ فاستقبلهم سعيد بن زيد بمن معه ، وكَبُرُوا بتكبيرهم وتعارفوا ، وإذا هم موالٍ لأصحاب رسول الله ﷺ ، والمقدم عليهم دامس أبو الهول^(١) . والسبب في قدومهم لما بعث عياض كتاباً إلى أبي عبيدة يستنجد به ، ويعلمه بمن اجتمع عليه من الكفار في مرج رَعْبَان . فلما قرأ أبو عبيدة الكتاب ، أُنْفَذَ إلى دامس أبو الهول ومن معه أن يُنْجِدُوا عياضاً ، وكانوا في سميساط^(٢) وبلادها ، فترك مائتين من أصحابه بها ، وجاء في بقية أصحابه وعبروا الفرات ويَمُمُوا نحو مرج رعبان ، فالتقاهم سعيد بن زيد ومن معه^(٣) ، فسلم عليهم وكان مُلْتَقَاهُمْ على (الزَيْلَخَة)^(٤) ، وفرحوا باجتماع الشمل ونظر دامس أبو الهول في ضوء القمر ، وإذا بيوثقاً وأصحابه موثقين على الجمال .

فقال : أظفرتم في طريقكم بهؤلاء ؟ فقال سعيد : هذا عبد الله يوقثاً وأصحابه قد باعوا أنفسهم من الله وقد اتفق رأينا على كذا وكذا . قال : فلما سمع أبو الهول كلام سعيد سجد لله تعالى شكراً ، فلما رفع رأسه سلم على يوقثاً وأصحابه ثم قال : مرحباً والله بقوم طَلَّقُوا الدنيا في مرضاة الله عز وجل . ثم قال دامس لسعيد بن زيد : يا صاحب رسول الله ﷺ ، أشركونا معكم في

(١) دامس أبو الهول : كان مولى لبني طريف ملوك كندة ، اشتهر بالفروسية والشجاعة في بلاد كندة وحضر موت وجبال مهرة وكان طويلاً كبير الحجم قدم إلى حلب والمسلمون محاصرون قلعتها فتزل على بني طريف وكثرة وشارك في تسلق أسوار القلعة وفتحها . / فتوح الشام للواقدي ١/ ١٦٥ ، ١٦٧ .

(٢) سميساط : الطين انظر : / بلاد الخلافة الشرقية ١٤٠ ومروج الذهب ١/ ١١٨ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٨٩ .

والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

(٤) الزيلخة : موضع بين سميساط ورأس عين شرقي الفرات وهي أقرب إلى رأس العين منها إلى سميساط / فتوح الواقدي ٢/ ٨٨ .

هذه الحيلة ، فقال : نعم . ولكن أنيخُوا هذه الجمال ، وأخفُوا الدُّروع والعدد واحترموا وسوقوا الجمالَ أماناً كأنكم عبيدنا ، فإنه لا ينكر عليكم ذلك . قال : نعم . وفعلوا ما أمرهم سعيد بن زيد ، وأخفوا لأمتهم في وسط الأثقال ، وأقبلوا على سوق الجمال ، فلما وصلوا إلى (الزليخة)^(١) نزلوا هنالك ولبسوا ، وتدرعوا ونشروا الأعلام والصلبان التي كانت معهم ، وداروا بيوتنا وأصحابه ، وجعلوهم في وسطهم وساروا حتى بقي بينهم وبين رأس العين فرسخ .

بعث سعيد بن زيد رجلاً من حلفائهم إلى رأس العين يبشّر بقدوم عاصم بن رواحة وإياد الشمطاء . قال : فلما جاءه الرسول خرج بالموكب إلى لقائهم^(٢) ، وقد أعلمه الرسول بقدوم يوقنا أسيراً من قومه ، وصاح الصائح بذلك في رأس العين فما بقي أحدٌ إلا وخرج أمام الوالي ، والتقى بأصحاب رسول الله ﷺ ، وهم يزيّ إياد الشمطاء ، وقد داروا بعاصم بن رواحة وكان الوالي يحبه ويعرفه ، فترجل بعضهم لبعض وتعانقا ، ثم ركبا وأقبلت الموكب فسلم الوالي على أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم يشيرون إليه بالتحية . فقال مرتبوش : لعاصم كيف أخذت هذا المارق يعني يوقنا . قال : نعم ، لما وصلنا إلى موضع كذا وكذا - قال الواقدي رحمه الله : وقد ألحَّ عليه الموضع - خرج علينا هذا المارق برجاله فقاتلونا ، فنصرنا عليهم المسيح فقتلنا خمسين ، وأسرننا هؤلاء وانهزم الباقي .

قال الواقدي : ففرح فرحاً شديداً ، وتفاءل بالنصر وأقبل يعثف يوقنا بالكلام وهو لا يرفع رأسه ولا يرد جواباً والرؤم تشير إليه وتحذق به وتشتمه ،

(١) الزليخة : موضع قريب من رأس عين تبعد عنها بضعة أميال / فتوح الواقدي ٨٨/٢ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٨٨/٢ . وانظر فتح رأس العين في : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٥/٢ .

وهو لا ينطق بكلمة واحدة إلى أن دخلوا رأس العين ، وأمر بهم إلى بيعة^(١) نسطوريا وقال : اطرحوهم مع أولئك الذين أسرهم الملك ، واحتفظوا بهم حتى نكتب الملك في أمرهم برأيه ، فألقوا الخمسمائة مع خالد رضي الله عنه وأصحابه^(٢) . قال عاصم بن رواحة : أيها الصَّاحِب أنت تعلم ما بيننا ، وبين هؤلاء القوم من الأحوال والعداوة ، وإن كانوا عرباً مثلنا ، ونخاف إن تركت على حظهم أحداً من الروم أو الأرمن ، يتخذون عندهم عهداً ويأذن بإطلاقهم ، وتدخل المضرة عليك وعلى الملك ، والصَّواب أننا ننزل كلنا في البيعة بعضنا من داخلها وبعضنا من خارجها ، فإنه من أتى إلى الجهاد ، لا يأوي إلى الراحة لأنه من تعب في الدنيا قليلاً استراح في الآخرة طويلاً .

قال الراوي : فاستصوب الوالي رأيه ، وأنزله في البيعة وأصحابه ، وهم أصحاب رسول الله ﷺ ، وأضاف يوقناً وأصحابه إلى خالد ومن معه .

قال الواقدي رحمه الله : حَصَلَ في رأس العين ستمائة من الصحابة ، مثل خالد بن الوليد رضي الله عنه وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن خالد الأشتر ، وعبد الرحمن بن عامر والنعمان بن المنذر والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر وعبد بن بشر وعمرو بن معدى كرب والحارث بن خزيمة ، وعامر بن ربيعة وشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله ﷺ ، ويزيد بن^(٣) أبي سفيان ورافع بن ظاعن ، ومرة بن خلان وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ومعقب بن أسيد ، وعمار بن أوس وحامد بن

(١) بيعة نسطوريا: هي أكبر بيعة في رأس عين وبها كنيسة عظيمة / فتوح الواقدي ٢ / ٨٩ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢ / ٨٩ .

وانظر : الفتوح لابن الأعمى الكوفي ١ / ٢٥٧ .

(٣) يزيد بن أبي سفيان : عقد له أبو بكر سنة ١٣ هـ على جيش وبعثه إلى الشام وولاه على دمشق . شارك في اليرموك وغيرها وفتح دمشق وتولى إمارتها حتى مات بالطاعون سنة ١٨ هـ في خلافة عمر بن الخطاب فولى مكانه أخاه معاوية ، ولا أظنه شارك في فتح الجزيرة شخصياً / الطبقات الكبرى لابن سعد ٧ / ٤٠٦ .

مزينة ومثنى بن سلعة ، وأبان بن عثمان ، وضرار بن الأزور وعاصم بن ماهر ، وأبو ذر جندب ابن جنادة الفقاري^(١) ومعاذ بن جبل وسعيد بن زيد ، والمرقال بن سارية ، وأمينة بن كعب وسعيد بن زُرارة وزُفر بن سعيد ، ومثل هؤلاء السادة ويوقنا وأصحابه الأربعين وأبو الهول وأربعمائة .

قال الراوي : فلما استقروا في بيعة نسطوريا وجئ عليهم الليل ، أقبل سعيد بن زيد في السر من الموكلين به ، وكانوا قد دخلوا للقربان فسلم عليهم وبشّروهم بالخلاص . فقال خالد : يابن زيد قد علمت أن يوقنا قد أتى به وأربعين من أصحابه ، ونظرت بنور الإيمان فعلمت الآن صحة ذلك .

قال الواقدي : ثم إن الوالي بعث إلى الملك شهرياض يبشّره بأن ابن رواحة ، قد قدم ونعه خمسمائة من بني عمه ، وأسر يوقنا وأربعين من أصحابه ، فلما بلغه الخبر فرح ، وأمر بالبوقات فضربت في عسكره ، وسمع المسلمون ذلك فقالوا : ما ضربت هذه البوقات في عسكر العدو إلا لأمر مهم . وإذ قد أقبل عباد بن^(٢) بشير وهو متنكر ، وقصد موضع عياض بن غنم ، فلما عرفه قام له وسلم عليه وقال : يا ابن البشير بشّرني أقر الله عينيك . فلم يردّ عليه شيئاً حتى دخل معه إلى الخيمة وحادثه بجميع ما جرى . فلما سمع عياض بن غنم رضي الله عنه بشارة عباد بن بشير ، سجد لله تعالى شكراً فلما رفع رأسه قال عباد بن بشير : أيها الأمير إن سعيداً ومن معه يسلمون عليك^(٣) ويقول لك : أنجز المصاف ، فلعل الله تعالى أن يفتح على يدك ،

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٩/٢ .

ولم ترد رواية الأسرى المسلمين في رأس العين إلا في أخبار الواقدي .

(٢) عباد بن بشير بن زغبة : انظر : خليفة الطبقات ص ٧٨ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٨٩/٢ .

فما بينك وبين فتح عين وردة إلا أن نهزم القوم ، إلا وقد فتحت لك إن شاء الله تعالى .

قال عياض : توكلت على الله وحده لا شريك له . قال : ولما جنَّ اللَّيْلُ جمع عياض أصحاب الرّآيات ممن يثق إليه ، وحدثهم في السّر بما ألقى إليه عبّاد بن بشر .

وقال لهم : لا تُعلمُوا أحداً مخافة الجواسيس ، وإياكم أن يصبح الصّباح إلا وأنتم على تعبئة الحرب ففعلوا ما أمرهم به عياض ، فلما أصبح الله بالصّباح أخذ المسلمون مصافّهم بعد أن صلّوا مغلّسين^(١) . قال : ولما نظرت الروم إلى كتائب الموحدين قد أخذوا أهبّتهم وركبوا وأخذوا مصافّهم .

قال الواقدي رحمه الله : فلما طلعت الشمس وانبسّطت على الأرض علّت على الخيل رُكائبها وحملت بأصحابها ، وشبّت من الحرب نارها ، وثارت أسودها وبعدت حدودها ، وصبر على الهول رجالها ، وتدانّت آجالها ، فهم في المواقف يتقاربون وإلى العدو متلاصقون وفي زحف القِرَاع مختلفون ، والعجاج ثائر والدم فائر ، والأشلاء تنهشها السباع ولحوم القتلى تنوشها الطير والضباع ، وكثرة البهائم تشتكي منها الأسماك والشموس ، ومصادمات تضجر منها الجسوم والنفوس ، والحرب قد أخذت بأوفر سجال ، وقد وقعت على أهلها الآجال^(٢) وحمي الوطيس في جنباتها واللّيث غير مجانبها . والصفوف تبادر إلى الهياج ، وقد غيّبهم غيمٌ عجّاج ، وقد قدم أسامةُ جيشه ، وأتى طُرقه ومَيْسِه ، والخيل تكثرُ كُرّاتٍ وتجمع مرّات ، والسيوف تقطع البيض ، والنفوس تكاد تميّز من الغيظ ، وكأن القيامة قد قامت . قال : وأشعل المسلمون الحرب الخطير ، والضّرام المستطير وحلّ بالروم العقاب ، فوَلَّتْ

(١) مغلّسين : الغلّس : ظلمة آخر الليل ، أي أنهم صلّوا بغلّس .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٨٩/٢ .

والفتوح ، لابن الأعم ٢٥٦/١ .

ناكسةً على الأعقاب ، واستحثوا بنفوسهم الشبيطة ، فقال المسلمون على المتاع والوسيلة لا يشترك غيرهم في أثقالها .

قال الواقدي رحمه الله : والتقى عبد الله بن عَتَبَان بن واثل بن صعصعة بن النَجَّار ، وعبد الله بن قُرْط^(١) بن صخر بن هبيرة بن شرجيل بن كعب بن عامر بن حارثة بن مالك بن النخع بالملك شهرياض . وقد عول على الهرب وكلُّ فارس قد اشتغل بنفسه عن نصرة أخيه ، وليس حوله إلا عشرة من خدمه وغلماؤه فأطبق عليه .

قال الواقدي رحمه الله : وقد ارتجَّ على أيهما كان . قال : وطعنه في صدره فأبرز السنان من وراء ظهره ، فلما نظره غلماؤه مجندلاً ، ولَّوا على أديبارهم ، فنزل عبد الله فاحتزَّ رأسه وألقاها على رأس السنان ، ثم ركب وصاح ، ألا وإني قد قتلت الملك شهرياض . قال : فعند ذلك فرَّ من كان قد ثبت للحرب وولَّى^(٢) .

قال الرَّاوي : وتركوا الأثقال والأحمال والخيام ، والفساطيط^(٣) والأموال والشُّرادات على حالها ، فاحتوى المسلمون على ذلك .

قال جَرِيرُ بن نَاسِب بن ضَمْرَةَ الضَّمْري : كنت مولعاً إذا سكنت الحرب ، أن أعدُّ القتلى من الروم ، فأخذت مخلاة^(٤) علَّقْتُها على عاتقي ، ومَلأت حجري حصيً ، وكنت لا أمر بقتيل ، إلا أحذفتُ حصاةً في المخلاة . فلما فرغت عددها فإذا قد قتل من الروم والأرمن ثمانون ألفاً وسبعماية وخمسون رجلاً .

(١) عبد الله بن قرط النخعي : انظر : أسد الغابة ٣/٢٤٣ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/٩٠ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٥٣٥ .
والفتوح ، لابن الأعمش ١/٢٥٧ .

(٣) الفساطيط : الخيام الكبيرة وتستخدمها قادة الجيوش والملوك .

(٤) مخلاة : كيس من جلد أو قماش يضع الفارس فيه طعامه وأشياءه .

وأما الأسارى فلا يقع عليهم عدد ، فلما وضعت الحرب أوزارها أمر عياض بن غنم بالأنقال والأسارى إلى كفر توثا ، بعثهم مع الصّلت بن مازن بن ربيعة ، وكان حليفاً لقريش ، ونفد معه جميع ما غنم مع ألف فارس وأمره أن لا يبرح منها إلا أن يفتح الله عليه برأس العين ، ثم ارتحل عياض في إثر الوقعة إلى عين وردة ، ويات ليلته بتلّ القباب^(١) . قال : ووصل المنكسرون إلى رأس العين وهم بأسوأ حال ، ووقع الصباح في جوانب المدينة بهزيمة الجيش وقتل الملك شهرياض ، فكبر عليهم وعظم لديهم ، واستوثق مرتيموش بأسوار المدينة ، وعول في صبيحة غد أن يضرب رقاب المسلمين المأسورين ، أعني خالداً ومن معه ويوقنا وبني عمه ، وكان هذا زئ^(٢) القوم ، إذا قتل لهم ملك يقتلون عليه مائة أسير من أعدائه^(٣) .

ت - (حصار رأس العين)

قال الواقدي : فلما كان من غدِ الوقعة^(٤) ، ركب مريموش إلى وسط المدينة ، وأمر أن يؤتى بخالد ومن معه ليضرب أعناقهم ، فلما همّوا ومضوا ليأتوا بهم فإذا بعياض بن غنم قد صَبَّحهم صباحاً فأشغلهم عن ذلك ، ونزل من باب^(٥) أسطأ خرون ، وهو الباب الشرقي من نحو باب مكيانوس^(٦) ، وهو باب الخابور وناصبهم القتال ، وكان على الباب الشرقي ، قُبّة من الدّيباج

-
- (١) تل القباب : هي قرية من أعمال ماردين في ديار بكر / اللؤلؤ المشور ٥٠٦ / .
(٢) زئ : عادة أو عرف .
(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٠ / ٢ .
والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤ / ٢ .
(٤) الوقعة : يقصد معركة مرج رعيان .
(٥) باب اسطاخرون : وهو الباب الشرقي لمدينة رأس العين / فتوح الشام للواقدي ٩٠ / ٢ .
وابن الأعمش ، الفتوح ، ٢٥٦ / ١ .
(٦) باب مكيانوس : وهو باب الخابور لمدينة رأس العين / فتوح الشام للواقدي ٩٠ / ٢ .

المُدَبِّج برسم عدوا الله مُرْتَمُوش ، وبياب القبة منجنيق عظيم يُسْمُونَهُ الدَّمُوك ، يتعلق بحباله مائة رجل .

وصاحبه ابن عم الملك ، وكان اسمه بَقْرِيش بن أَكْشَفَاط وكان أبوه هو الملك قبل شهر ياض . وهو صاحب الدَّنَانِير الأَكْشَفَاطِيَّة .

قال الراوي : وما تقدم للقتال أصحاب رسول الله ﷺ ، إلا ليشغلوا أعداء الله عن قتل أصحابهم ، وكان عياض قد علم ذلك ، وأنه متى قتل للروم ملك قتلوا عليه مائة أسير ، فلذلك تقدم للقتال ليشغلهم ، وأيضاً إذا أشغلهم بالقتال وجد خالد ومن معه للمدينة سبيلاً ، فجعلوا يرمون بمنجنيقهم وسهامهم وكان قد وصل مع عياض بن غنم غلام من المدينة اسمه جميل بن سعيد^(١) الدنوسي ، وكان أرمى خلق الله بالنبل^(٢) .

وكان قد وصل ومعه أمّ عجوز ، فلما كان في ذلك اليوم ودّعها ، وهي في آخر الجيش ، وقال : يا أمّاه لا بدّ أن أجاهد حق الجهاد ، فلعلّي ألحق بأبي وجديّ اللذين قتلّا بين يدي رسول الله ﷺ . فقالت : يا بني نصرك الله وأيدك . قال : فتقدم الغلام ورفاقه يَسْتُرُونَهُ بالأتراس ، وكان قد اشتهر ذكره بين العرب ، وأنه كان يأخذ النبلة وينظر الطير في الهواء ويقول لمن معه : قد عوّلت أن أضرب هذا الطير في موضع كذا وكذا ، ثم يضربه فتقع الضربة في العضو الذي يقول من الطير . فلما كان ذلك اليوم في قتال عين وردة ، تقدم وجعل يضرب البطارقة ، فما يقع السهم إلى في فؤادٍ أو حدقة ، حتى قتل ثلاثين بطريقاً فمنهم من وقع إلى المدينة ، ومنهم من وقع إلى خندقها . وانكشف برج الباب وكان عدو الله يَرْتَمُوش المقدم ذكره صاحب المنجنيق أرمى خلق الله فجعل يعبر ويرمي .

(١) جميل بن سعيد الدنوسي : لم أعثر له على ترجمة .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٠/٢ .

وابن الأعمش ، الفتوح ، ٢٥٦/١ .

وانظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤/٢ .

فقال المسلمون لجميل : يا غلام أبعد إلى موضع لا يصل إليك فيه حجر المنجنيق ، فإننا نخاف عليك منه ، فقال ؛ يا قوم اعلّموا أنني سمعتُ قول الله تعالى حيث قال في كتابه الكريم : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾^(١) ولا بد أن أثبتُ لهم ثم رمى رجلاً من الذين يجزّون الحبال فقتله^(٢) .

وثانياً وثالثاً فهربت البطارقة من حبال المنجنيق ، وقالوا : لا طاقة لنا للوقوف في هذا المقام من أجل سهام هذا الغلام . فقال لهم مريميوش : البسوا الدروع وتنكبّوا تحتها ففعلوا ذلك ، واستتر اللعين عدو الله خلف السهم ، ثم صاح بالرجال ، فقعّدوا في الحبال فرمى حجراً فوق على رجل من بجيلة فقتله ، ولم يزل كذلك حتى رمى ستة فقتلهم . قال : ثم إن جميل بن سعيد رضي الله عنه جعل يرمي فلا تخطئ نباله وهو يقول : واشوقاه للشهادة ، لأصل إلى دار عالم الغيب والشهادة ، فنودي في سرّه ، إن كنت أردت ذلك فبادر ، ولا تخف فيما تحاذر ، وأطلق عنان همّتك في ميدان طلبنا ، وإياك والتخلف عن بابنا ، فمن أردنا أردناه ، ومن أحبّنا أحببناه . فقال : ها أنا أتقدم ولساني عن الحقيقة يتلّغّثم ، وقد بعث نفسي منك ما قبل شراءها ، فعسى أنني للمجنّة أراها . قيل له : قد قبلنا فأفرح ، واطلق جنانك بشكرنا وامرح ، فمن باع نفسه ممّناً لم يكن في الشراء مغبون ، ويسمع ما شرطناه في الكتاب المكنون . ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾^(٣) .

(١) سورة النساء . الآية ٧٨ / .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٠ / ٢ .

والفتوح ، لابن الأعمش ٢٥٧ / ١ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٦٩ / .

قال الراوي : فيبينما هو كذلك ، إذ عَيَّر عليه عدو الله ورماه^(١) . وكذلك جميل قصد بنبله عدو الله فوقعت في صدره ، فمرقت من ظهره ونظر جميل إلى الحجر وقد قصده ، وغلم أنه ميّت لا محالة ، فالتفت إلى ابن عم له اسمه رافع بن خالد الدوسي . وقال له : بلغ العجوز سلامي وأنشدها عني^(٢) : [البحر الطويل]

أيا رافعاً إلّا حملت رسالة مُخَبِّرةً أني لقيت حمامي
وإن جئت أمي والجّوات وعثرتي فخصّهم عني بكلّ سلام
طريح باب الحصن لما تطايرت من الحجر الصلّد الأصمّ عظامي
ولست أبالي إن قُتلت فإنني أرجى بقتلي في الجنان مقامي

قال : ووقع عليه الحجر فمات رحمه الله تعالى . قال : وأعلم عياض بن غنم بقصّته فبكى رحمةً لأمه ، وأمر به فدفن في موضعه بعد أن صلى عليه . قال : وبلغ الخبر لأمه فصبرت صبر الكرام . وقالت : يا بني عشت سعيداً ومثّ شهيداً ، وسلكت سبيل أبيك ، رحمك الله وأنس غريبتك ، ونفعنا بك يوم القيامة ، ثم قرأت : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة ، قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾^(٣) .

قال : حدثنا مَعْمَرُ بْنُ الْجَوْنِي النّبْهَانِي ، وكان جدّه ممن حضر رأس العين . قال : لما قتل جميل رحمه الله فرحت الروم وتفاءلت بالنصر^(٤) .

وإن عدو الله مَرْتَمُوش صار صاحب الأمر بعد شهر ياض ، ولما رأى المسلمين معوّلين على حصاره ، مضى بالليل إلى بيعة نسطوريا ، فصلّى وقربّ القربان ، وكان من تجبّره على الله تعالى ، قد صور على باب البيعة

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٩١/٢ .

والفتوح لابن الأعمش الكوفي ٢٥٦/١ .

(٢) انظر الأبيات في فتوح الشام ٩١/٢ للواقدي .

(٣) سورة البقرة . الآية ١٥٦ .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٩١/٢ .

صورة رجل من العرب ، وكتب على رأسها هذا نبي العرب ، فمن كان يعبر البيعة يصبق عليه ، وكان في داخل البيعة صورة القيامة والميزان والصراط والجنة والنار ، وكان فيها صورة عيسى ، ويده صليب وأُمَّتُهُ تحت لوائه بباب الجنة ، فلما صلى قال لعاصم بن رواحة الإيادي : قد أردت الليلة أن أقرب عشرة من هؤلاء الأسارى في بيت المذبح . فقال له عاصم : ليس هذا رأي أيها الملك ، حتى نرى ما يكون ممّا ومن العرب وهذا بين يديك . قال : فتركهم ومضى ولم يدع عاصم أحداً في البيعة من الروم ، واستوثقوا من أبواب البيعة ، وصلى أصحاب رسول الله ﷺ ، ووجدوا في البيعة سلاحاً مما يجتمع من التُّدُور ، فأخذه أصحاب رسول الله ﷺ ، وعولوا في صبيحة غد ، إذا اشتغل أهل المدينة بالقتال على الشُّور ، وفي الفُرْجَة ، يثرون في المدينة .

قال : فلما لبسوا وتأهبوا قاموا طول ليلتهم يذكرون الله تعالى . وينظرون إلى تلك الصُّور المصوَّرة^(١) . وصورة القيامة والميزان والصراط والجنة والنار .

قال عاصم بن رواحة لسعيد بن زيد : ما الذي سمعتَ في القيامة من رسول الله ﷺ لأزداد إيماناً ؟ قال : نعم . ﴿ وَيُرْزَتُ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾ [التازعات : ٣٦] ، وَصُمَّتْ صُفُوفُ الْمُتَّقِينَ ، وَجُنِبَتْ جَنَائِبُ الْمُوقِنِينَ ، وَنُشِرَتْ رَايَاتُ الصَّادِقِينَ وَرُفِعَتْ أَعْلَامُ الْمُحَقِّقِينَ ، وَنُصِبَتْ مَنَابِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَقُصِدَتْ مَرَاتِبُ السَّابِقِينَ ، وَتَوَجَّحَتْ رُؤُوسُ الْمُؤَحِّدِينَ ، ﴿ وَقِيلَ بَعْدَ لُفُوقِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود : ٤٤] . وَذَلَّتْ الْمُلُوكُ وَالْجَبَابِرَةُ ، وَطَاوَلَتْ رُؤُوسُهَا الْأَكَاسِرَةَ وَالْقِيَاصِرَةَ ، وَزَفَرَتْ النَّارُ وَتَبَدَّلَتْ الْأَشْرَارُ ، وَتَبَلَبَّلَتْ الْأَسْرَارُ ، وَخَابَتْ الْأَشْرَارُ ، وَبَثَّتْ الْفَجَارُ وَاسْتَبْشَرَتْ الْأَبْرَارُ ، وَنَادَى مُنَادِي الْحَقِيقَةِ وَالْأَنْذَارُ ، ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٩١/٢ .
لم يذكر هذه الرواية غير الواقدي .

[غافر : ١٦] ألم نَجِدْكَ دَارَ الْبَوَارِ ؟ ألم تأتكم رسلكم بالإنذار ؟ ألم تسمعوا إلى ما قُلْتُ من التهديد والاعتذار ؟ على لسان سيد الأخيار . ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ [إبراهيم : ٣٠] . أين من كَذَّبَ بيوم الدين ؟ ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم وَالْأَوَّلِينَ ﴾ [المرسلات : ٣٨] . هذا يوم العرض ، هذا يوم القرض ، هذا يوم الْإِزْفَةِ ، هذا يوم الفصل . هذا يوم العدل ، هذا يوم القضاء ، فإذا انْقَضَ الموقِفُ بأهله ، وندم كُلُّ ذِي جَهْلٍ عَلَى جَهْلِهِ ^(١) ، وَغَضَّتْ الْأَنَامِلُ أَسْفَاً ، وَتَطَايَرَتِ الْقُلُوبُ لَهْفَاً ، وَنَادَى الْمَنَادِي فِي وَسْعِ ذَلِكَ النَّادِي : يَا مَعْشَرَ الْمَجْرِمِينَ أَمَا سَمِعْتُمْ فِي الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴾ [يس : ٥٩] . فبينما هم قد خَضَعُوا الْعَطَشَ ، وَلَحَقَهُمُ الدَّهْشُ وَعَظُمَ الْأَرْقُ ، وَاشْتَدَّ الْقَلْقُ وَسَالَ الْعَرَقُ ، إِذْ نَادَى الْمَنَادِي وَهُمْ يَسْمَعُونَ : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ [الصافات : ٢٤] . أَوْقِفُوهُمْ حَتَّى يَرَوْا هَيْبَتِي وَمَمْلَكَتِي ، وَيَشَاهِدُوا سُلْطَانِي وَعَظَمَتِي ، أَوْقِفُوهُمْ حَتَّى أَعْرِضَ عَلَيْهِمْ كِتَابِي ، أَوْقِفُوهُمْ حَتَّى أَنَاقِشَهُمْ حِسَابِي ، أَيْنَ مِنْ عَصَى وَأَجْرَمَ ؟ أَيْنَ مِنْ طَغَى وَظَلَمَ ؟ أَنَا الْجَبَّارُ الْأَعْظَمُ ، أَنَا الَّذِي لَا أَرْحَمُ مِنْ لَا يَرْحَمُ ، أَيْنَ أُمَّةٌ نُوْحٌ ؟ أَيْنَ مَنْ يَغْدُو فِي الْبَطَالَةِ وَيُرُوحُ ؟ أَيْنَ قَوْمٌ هُوْدٌ ؟ أَيْنَ ثَمُودٌ ؟ أَيْنَ قَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ ؟ أَيْنَ أُمَّةَ الْكَلِيمِ ؟ أَيْنَ رَهْطَ شَعِيبَ ؟ أَيْنَ أَهْلَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ ؟ أَيْنَ أُمَّةَ التَّوْحِيدِ ؟ أَيْنَ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَالتَّمَجِيدِ ؟ أَيْنَ أَهْلَ الْقُرْآنِ ؟ فَعِنْدَنَا الْغَفْرَانُ أَيْنَ أُمَّةٌ رَاكِبَ الْبَرَاقِ ؟ أَيْنَ أُمَّةَ الطَّاهِرِ الْأَخْلَاقِ ؟ هَلُمُّوا لِلْعَرْضِ وَالْحِسَابِ ، فَقَدْ تَجَلَّى رَبُّ الْأَرْيَابِ ، ﴿ لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر : ١٧] . وَالْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ فِي كِبْكَبَةٍ مِنْ حَشْمَتِهِ وَمَوَاقِبَ زِينَتِهِ ، عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الرُّضَى ، مَنْقُوشٌ عَلَيْهِ بِقَلَمِ الْإِمْضَاءِ . ﴿ وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ ^(٢) [الضحى : ٥] .

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٩١/٢ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٢/٢ .

وبيده لواء الحمد ، وعن يمينه الأنبياء وعن يساره الأولياء ، والملائكة تطرق بين يديه ، وأهل الموقف ينظرون إليه ، وأُمَّتُهُ يَصْلُونَ عليه ، وقد تهللت وجوههم فرحاً ، وتبخثروا بين الأمم فرحاً ، وقد أصفى عليهم الاسلام سرباله ، وقد وصل بهم جماله ، وقد رفعوا أصواتهم بالتمجيد ، وأزعجوا الموقف بالتوحيد . وقد أضاء لهم نور إيمانهم ، ورفعت ضياء أمانهم ، وعرضوا على دِيَّانِهِمْ .

فاستشهدهم على الأمم فشهدوا بقبول شهاداتهم ، وَغَيَّبَ عنهم نجوم الأفلاك ، وأمنوا من الهول واليأس ، ونادى مناديبهم : ﴿ كُتِّمَ خَيْرُ أُمَّةٍ أَخْرَجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١) .

وأهل الموقف ينظرون إلى جمالهم ويتعجبون من هبة جلالهم ، ويقولون : قد فاز من اتبع ملَّتَهُمْ ، وصدَّقَ شريعتهم . قال : مالك يوم الدين ، ﴿ وبما يوذِّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ [الحجر : ٢] ، فإذا ورد نبينا ﷺ مقامه ، أطل هناك قِيَامَهُ وبسط كف ابتهاله ويخلص في طلبه وسؤاله ، ويقول : أسألك شفاعتي في العصاة من أمتي . وإذا النداء من ساحات النداء : وعزتي وجلالي لا أخلفْتُ لك موعداً ولا نقضت لك عهداً ، ولأَرِيَنَّ أَهْلَ الْمَوْقِفِ عُلُوَّ شَأْنِكَ ، ورفيع مكانك ولأعطيَنَّكَ حتى ترضى ، ولأمنحنَّكَ القبول والرضى ^(٢) . لمعنى قوله : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ ^(٣) .

قال الراوي : فازداد عاصم إيماناً ، ولما كان وقت السَّحَرِ وثبت الصحابة على أقدام العزم وخرجوا إلى أهل المدينة ، واستعانوا بنصر الله ، وقالوا :

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ / .

(٢) فتح الشام للواقدي ٩٢ / ٢ .

(٣) سورة الضحى . الآية ٥ / .

اللهم انصرنا بنصر نبيك يوم أحد وكيوم الأحزاب ، ثم قال خالد : إياكم وأن تنفروا فتذهب ريحكم واتقوا الله الذي إليه مَصِيرُكُمْ ، واعلموا أن الأعداء يجتمعون عليكم والنساء يرجمونكم والشباب يقاتلونكم ، وإياكم والفشل ، فإنه داعية الكسل ، ويؤدي إلى الخبل ، وإياكم أن يطمع أحد منكم بالحياة ، ولتكن المنية نصب أعينكم ، وتيقنوا أن الذي ينصركم في الكثرة ينصركم في القلة^(١) ، فإنه قادر على ذلك ، وبذلك وعدكم عز وجل . قال الله تعالى : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾^(٢) واعلموا أن هذا الشور قد أحاط بكم ، والأبواب مقفلة دونكم ، وكل من في هذه المدينة يردكم فاجعلوا قصدكم الله ، فهو قادر على فناء أعدائه ، ووصلوا على الأعداء وأذيقوهم كؤوس الردى ، واتكلوا على المولى ، واحملوا على الكافرين ، ودّمروا ديار الفاسقين ، واسمعوا ما قال أرحم الراحمين ﴿ فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين ﴾^(٣) .

قال سعيد بن زيد : يا أبا سليمان ما تكلمت بشيء إلا ونحن به عارفون ، وما ألقينا أنفسنا في أضيق المسالك إلا وقد عوّلنا على أن كلاً منا هالك ، ولا بد من خوض المعارك ، والإتكال على الملك المالك ، الذي ليس له في ملكه مشارك ، قال : وأجابه كلٌّ من الصحابة بجواب وقد عوّلوا على إتلاف أنفسهم في رضى خالقهم ، إلا شرحبيل^(٤) بن حسنة فإنه لم ينطق في ساعته تلك بكلمة ، فقال له خالد رضي الله عنه : يا أبا عبد الله مالي أراك لا تردّ جواباً ولا تبدي خطاباً ، ورأيك الذي عهدناه وما نعتمد على سواه ، ونحن نستشيرك فيما نصنع من قبل ينقضي ما نحن فيه ، فقد قال الله تعالى لنبينا ﷺ :

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٢ / ٢ .

(٢) سورة البقرة . الآية ٢٤٩ .

(٣) سورة آل عمران . الآية ١٧٥ / .

(٤) شرحبيل بن حسنة : انظر : الاصابة ١٤٣ / ٢ وابن سعد ، الطبقات ٣٩٧ / ٧ .

﴿ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾^(١) .

وإنما أمره جبراً لقلوبنا ونتبع سنة نبينا . فقال شرحبيل بن حسنة : اعلم يا أبا سليمان ، أنه من ألقى نفسه في بحار الحرب ، صبر على موارد الطعن والضرب ، وإنما يبين صبرُ الرجال عند ملاقات الأوجال ، وما نحن ممن يفزع من هجوم الآجال ، لأننا قد تحققنا لكل واحد منا أجل لا يتعداه ، وأمل لا يتحداه ، ومن خاطر بعظيم صبر على الضيم المُضيم ، وهذه المدينة أهلة بالخلق وهي فُرْضة ديار ربيعة^(٢) ، وقد حصلنا في وسط مدينة القوم ، والفائت لا يُتَكَلَّمُ فيه ، وإذا قد عزمت على هذا الأمر ، فاصبروا ولا تعجلوا ، فالعجلُ مقرون بالذل ، والتأني مقرون بالتَّمتي ، والصبر عاقبة الظفر ، واعلموا أن هذه البيعة ، هي بيعتهم المعظمة ، ولا بد لهم من الصلاة فيها والقربان ، فإذا حصل هنا وَالْيَهُمُّ ومقدمي عساكرهم ، أطبقنا عليهم من كل جانب ، وخرجنا عليهم بالقواضب ، فإذا قُتِلَتِ الملوك وعظماء البطارقة لم يَجْسُرَ أحد من العوام أن يتكلم ، وأيضاً لأنه لا اعتبار لهم .

فقال عاصم بن رَوَاحَة : لقد صدقت يا صاحب رسول الله ﷺ وتكلمت بالصواب وأجملت في الخطاب ، فليلزم كل واحد مكانه ، واجلسوا على السلاح واركبوا أيديكم تحت ثيابكم ، وإذا اشتغل القوم بصلاتهم ثرنا عليهم ، ومددنا أيدينا إليهم ، فاستصوب القوم رأيهم ، وعلموا أنه رأي سديد ، ليس عليه مزيد . وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في دار كبيرة من البيعة ، كانت يرسم أسباب البيعة من القُرش والطَّوْج والقناديل والستور ، والرحب والأدهان .

(١) سورة آل عمران . الآية ١٥٩ / .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٢/٢ ، وابن خرداذبة ، المسالك والممالك ص ٩٥ وابن شداد ، الأعلام الخطيرة ٤/٣ .

قال : حدثنا عبد الله ابن يانس عن جده فياض بن زيد ، وكان من جملة من ذكرناهم من الصحابة وحضر فتوح رأس العين^(١) قال : هكذا كانت قصتنا ، وكنا ندبّر هذا التدبير وقضاء الله تعالى يجري في الخلق . قال : ورجعنا عما كنا عزمنا عليه في يومنا ذلك فكان الأمر المقدر ، وذلك أن اليوم الذي رجعنا فيه لم يقاتل أحد من جند رأس العين . وذلك لسبب نحن نذكره .

قال الواقدي رحمه الله : وكان من قضاء الله السابق في خليقته ، أن للوالي مرتموش أخ عاقل لبيب له عقل وتدبير ، وكان قد قرأ أشياء من الحكمة التي وضعها (شهرأويش) بعض حكماء اليونان ، وكان قد كمل في علم النجوم ، وكان صاحب سر الملك شهرياض ، وكان لا يصنع شيئاً إلا بمشورته . وكان قد نهأ عن قتال العرب ، وقال له : ما أرى لك في قتالهم من خيرة ، والأمر عليك لالك ولم يشرح له بأكثر من ذلك ، فلما كان من أمر الملك ما كان ، وقتل هو وجيشه ورجع الأمر إلى مرتموش . فقال له أخوه الحكيم وكان اسمه (ارسألوس) معناه حكيم زمانه : اعلم يا أخي أنه يجب على العاقل الأديب الفاضل اللبيب ، أن يؤم لنفسه من غير مرامها ولا ينقاد بزمام شهوة النفس ، فإنه من طواع نفسه هوى في مهاوي الزلل وتُسب إلى الجهل ، فإن الشهوة عرض ، واتباع الهوى مرض^(٢) ، والاستمتاع باللذات غرض ، ولا خير في شهوة تؤول إلى الفناء وتعقب صاحبها العناء ، والشهوة حين^(٣) والأمل حين^(٤) والاجتماع بين^(٥) ، والتمتع دين وحب الدنيا مין^(٦) .

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٢/٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٥/٢ .

والفتوح لابن الأعمش ٢٥٦/١ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٣/٢ .

(٣) حين : هلاك .

(٤) حين : العار والعيب .

(٥) بين : البعد والفراق .

(٦) مין : كذب .

وما ندم من عَقْلٍ ولا ساد من جَهْلٍ ولا وُفَّقَ عَجُول ، ولا رَأَى لَمْلُول ،
ولا أوتمن خائن ، ولا صدق مائن^(١) ، ولا عظم بخيل ، ولا تقدّم ذليل ،
ولا فحّم نبيل ، ولا حقر جليل ، ولا نال العبادة من زهد في الإفادة ، ولا آمن
في الآخرة من تبوء الدار السّاحرة ، ولا سُدّد من ظلم ، ولا حزم من ندم ،
ولا خاب من تاب ، ولا رُدّد من أناب ، ولا هجر من لزم الباب ، ولا زلّ من
اتبع الصواب ، واعلم أنّ بالسياسة تدوم الرئاسة ، وبالعَدل تدوم الدول ،
وبالجور هلك الأول ، وبقلّة التدبير حلّ التدمير ، ومن بذلّ جاهه كملت
أوصافه ، وإفشاء السلام فضيلة الأنام ، وإصلاح السريرة نعم السيرة ، واتباع
الكرم من حُسن الشيم ، وحلية الإنسان فصاحة اللسان ، وزينة الرجال كرم
الخلال ، وخير الأصحاب التقوى ، وشر الإخوان اتباع الهوى ، وما أنجب
من تعدّى طوره ، ولا ارتفع من جهل قدره ، والتعلق بالآمال ضياع الأعمال ،
ومعالي الأخلاق ، نعم الرفاق ، وممارسة الحلال نجاة من الأهوال ، وحب
العاجل ينسي الآجل^(٢) ، وطلب النجاة تحقيق الرجاء ، وارتكاب العصيان
علامة الخذلان ، وتيسير الطريق علامة التوفيق ، والنظر في العواقب ، أمن
من المعاطب ، ومن نظر إلى الدنيا بعين الفناء أدرك في الآخرة ما يتمنى ،
واعلم يا أخي أنك قد أصبحت مقيداً بحب الدنيا سابحاً في بحار أهوالها ،
متعلق الآمال بمالها ، وقد تزينت لك برياشها ووقفت لك على قدم احتياشها ،
ووضعت لك تاج شهواتها ، على مفرق رأس آفاتنا ، حتى إذا أشرت إليها
بالوصال منحتك لذيد الاتصال ، وأحسنّت لك صحبتها شهراً ثم رمتك بسهام
الهجران دهرأ ، فطالبت بما عليك مهراً ، حتى إذا علمت أنك عديم الإنعاض
غير سابع الافتضاض ، ألفتك في سجن الآفات وحجبتك بحجاب الغفلات ،
وصفرت أمرك بين الناس ، ووكلت بك سجان الوسواس . فلا تبرح تذكر

(١) مائن : كاذب .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٣/٢ .

الإنسان بما فيه حتى تخرج روحه من فيه ، واعلم أن من جملة ما قرأنا في كتبنا عن عيسى عليه السلام ، أنه رأى طائراً مليح الصورة حسن الريش كامل الزينة فقال له : من أنت . قال : أنا الدنيا ناظري مليح وباطني قبيح .

قال عيسى عليه السلام عجبت لثلاثة : لغافلٍ وليس مَغْفُولٌ عنه ، ومؤمِّلٌ دنيا والموت يطلبه ، وباني قصر والقبر مسكنه ^(١) .

وإنما ضربت لك هذه الأمثال لتتَعَطَّ ، بما نزل بالملك شهرياض ، بالأمس كان واليوم قد بان ، أين ملكه الباهي ، صار في الحضيض الواهي ، تبدل ذلك الغناء بالعناء ، ووسع ذلك الفناء والراحة بالنياحة ، والفرح بالترح ، والنوم على السرير بالقبر القصير ، ومعانقة الأتراب بالنوم على التراب .

بُدِّلَ عن خِل ودود بمجاورة الدود ، وعُوْضَ عن الحُجَاب ملازمة الحجاب ، قهر قَهْر ، وانتظر فما أُنْظِر ، واشتغل باللذات عن الواردات ، ادَّخَر ماله ولم يدِر مآله ، جاور وما أجار ، واشتغل بالدار عن الجار ، وبالرماد ^(٢) عن المهاد ، وبالظفر عن الغفر ، وانظر كيف صار القصر مهجوراً ، والعامر خراباً بُوراً ، تبدل الشُّرور ثُبوراً . ما نفعه الجيش وكثرته ولا الخزائن وعِدَّتْه ، أصبح والله بعد العزة ذليلاً ، وبعد الكثرة قليلاً ، فلا عمل صالح ولا متجر رابح ، ولا ثواب ينفع ولا جميل يدفع ، قد بقي مرتَهناً بأعماله ، مؤثِقاً بأفعاله . وأنت تريد أن تسلك مسلكه ، وتتبع سبيل ما أهلكه ، فلا أحد ينفعك ، ولا عمل صالح يتبعك . فاتَّقِ الله في نفسك وأهل بلدك واعقد لك مع هؤلاء صلحاً ، واحقن الدماء وارحم النساء وسلِّم تسَلِّم . وهؤلاء القوم إذا قالوا صدقوا ^(٣) ووفُّوا ، لأن الصَّدق أصل دينهم

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٣/٢ .

(٢) الرماد : تراب القبر الناعم الشبيه برماد النار .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٣/٢ .

وجمال يقينهم ، وما هم ممن يطلبون الملك فَيَتَّزِعُونَ عليه ، ولا يميلون إليه بل طلبهم الآخرة وما عند الله عز وجل ، وبالأمس وقواً لرودوس صاحب حرّان ورجع إلى دينهم ، وكذلك الملكة مارية ابنة أرسبيوس بن جارش ، وقد دخل في دينهم خيار ملوك الروم ، مثل يوقنا وبوغور وعمودا وميشا بن عبد المسيح الذي كان أعلمنا في ديننا ، وقد ملكوا الأرض بالطول والعرض ، وإنما يحاصر عن نفسه من له مدد ، وجيش وعدد وسلاح ، وكم يقدر على محاصرة هذه البلد وهو بلد عظيم ، وما فيه ما يقوم بأود أهل سنة ، ولا أقل من ذلك ولا أكثر .

وإن لم تُسَلِّمْ سَلِّمْ أهلها وسلّموك برقيتك ، وهذه حران والرها وسروج وسنجار^(١) وماردين وصور وكفرتوثا والخابور^(٢) ، وما عدا الفرات إلى الشام إلى أرض مصر وجيوشهم ، قد طبقت العراق وملأت الآفاق .

وقد بلغني أن الملك كسرى قد آل إلى اللحاق ، فابعث إلى أمير هؤلاء واطلب منه ما شئت فإنه يعطيك ، وتربح سلامة نفسك ومالك وأهلك وبلدك ، وعش في ظل القوم إن شئت على دينهم أو شئت على دينك .

قال الراوي : فلما سمع مريموش كلام أخيه أرسالوس غضب عليه ، وضربه بمقرعة كانت بيده^(٣) قال له : ما خلقتك المسيح إلا ذليلاً ، كيف تأمرني أن أسلّم للعرب ملكي ، وتعرض بي إلى العطب ؟ اخرج عني وإلا قتلتك . قال : فخرج من عنده غاضباً . وأما اللّعين فإنه أمر بالبطارقة ، أن

(١) سنجانر : مدينة في وسط البرية في سفح جبل وبها قلعة فتحها المسلمون صلحاً بعد فتحهم مدينة خلاط ، وأسكنها عياض بن غنم قوماً من العرب .

/صورة الأرض ١٩٩ ، الأعلام الخطيرة ٣/ ١٥٤ ، فتوح البلدان ١٨٢/ .

(٢) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٤ .

والفتوح لابن الأعم الكوفي ١/ ٢٥٧ .

يجتمعوا في الكنيسة المعظمة ، وهي بيعة نسطوريا ، حتى يُحلفَهم ويأخذ عليهم عهداً ، أن لا يخونوه ولا يسلموه ، فمضى شاويشه وحجابه ، وجمعوا الملوك والبطارقة من الحجاب ، وشيوخ المدينة ومترفيها ورؤوسها وطوامحها ، فاجتمعوا الكلُّ إلى أن حَصَلوا في البيعة وأحضرُوا الأقسَّة والرهبان والشمامسة والبَركَ حتى يَستحلفَ من حضر إلى البيعة ، ممن تقدم ذكرهم .

قال الراوي : فلما حصلوا في البيعة أطبقوا عليهم أبواب البيعة حتى لا يدخل سواهم ، فلما حضروا أمام البَرك والأقسَّة ، أخذوا يُحلفون الجميع والبطريق مريموش حاضرٌ ، وإليهم ناظر والقوم كلهم في كنيستهم المعظمة آمنون ، وفيما هم فيه مشغولون ؛ أخذ عليهم أصحاب رسول الله ﷺ بالسيف المسلول ، وعزم غير مغلول ، وصاحوا بالتهليل والتكبير وأقبلوا عليهم بالتهويل العظيم ، وفاجأوهم بالموت الويل ، ونكَلُوا بهم أي تنكيل ونادوا : نحن أمة التنزيل ، وصحابة الرسول الجليل ، نحن حملة القرآن وصُومُ رمضان^(١) .

قد أخذكم الله بذنوبكم ، وهتك الشَّتر عن عيوبكم وأخذكم من مأمَنكم ، وعصفت عليكم عواصف محتكم ، أين الصُّلبان وعبادها ؟ أين الصور المعظمة في دينكم وحشمتها ؟ أين تقرب القربان ؟ أين فردشة الرُّهبان ، ادعوا الآن أربابكم ينصرونكم وبنا يظفرونكم ، هيهات اذهبوا والله بباطلكم ، وهلك بالشرك جاهلكم ، واضمحلت أيامكم وذهب دوامكم ، دونكم الضَّرب الفظيع ، واحملوا علينا جميع ، ﴿ ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ﴾ [السجدة : ٤] ، ثم وضعوا السَّيف فيهم وقتلوا من يعينهم ، فما ثبتت البطارقة إلا وقد مَجَّتهمُ الفئة الصادقة ، والصحابة الموافقة ، مالوا عليهم

(١) . انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٤/٢ .
انفرد الواقدي بهذه الرواية .

وَمَدُّوا سُبُوفَهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ إِلَيْهِمْ ، وَثَبَتُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَصَالُوا صَوْلَةَ أُولَى الْعِزَائِمِ ، وَقَالُوا : رَبَّنَا وَمَوْلَانَا أَنْتَ بِالْأَسْرَارِ عَالِمٌ ، وَمَالُوا عَلَيْهِمْ مَيْلًا ، وَنَالُوا الْجَنَّةَ نَيْلًا ، وَأَسَالُوا النَجِيعَ ^(١) سَيْلًا ، وَأَظْهَرُوا النِّشَاطَ وَالْحَيَلَا ^(٢) ، وَنَظَرُوا بِشَرِيعَةٍ مِنْ أُسْرِي بِهِ لَيْلًا ، لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَيْدَهُمْ بِنَصْرِهِ وَأَفْرَغَ عَلَيْهِمْ جَلَابِيبَ صَبْرِهِ ، عِنْدَمَا تَبَعُوا غَايَةَ أَمْرِهِ ، لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُ وَبِالْإِخْلَاصِ يُوَحِّدُونَهُ . قَالَ فِيهِمْ : ﴿ يَحْبُّهُمْ وَيَحْبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

قال الراوي : فَلَمَّا نَظَرَ الرُّومُ إِلَى مَا حَلَّ بِهِمْ ، ضَجُّوا بِأَصْوَاتِهِمْ وَعَجَّجُوا وَطَلَبُوا مُغِيثًا فَلَمْ يَجِدُوا ^(٣) . وَتَخَلَّى الْوَادِدُ عَنْهُمْ . فَقَالَ خَالِدٌ : يَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ جُودُوا وَعَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ صُولُوا ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [قولوا] ، ابْذُلُوا فِيهِمُ الصَّوَارِمَ ، وَفَلِّقُوا مِنْهُمْ الْجَمَاجِمَ ، وَانْثَرُوا مِنْهُمْ الْمَعَاصِمَ ، وَاللَّهُ هَذَا يَوْمَ كَسَبَ الثَّوَابَ ، هَذَا يَوْمَ بُلُوغِ الْمُجَابِ هَذَا يَوْمَ الْقِصَاصِ ، فِي مَنْ لَا هَرْبَ لَهُ وَلَا خِلَاصَ ، أَرْضُوا بَارْتَكُمْ فَمَا أَحَدٌ فِي الْفَضْلِ يَجَارِيكُمْ .

قال الراوي : وَارْتَفَعَ الضَّوْضَاءُ ، وَضَاقَ الْفَضَاءُ ، وَنَزَلَ الْقَضَاءُ ، وَقُتِلَتِ الطَّرَامِخَةُ ^(٤) وَمَلَكَتْ دَوْلَةُ الْحَشْمَةِ الشَّامِخَةُ ، وَجَدَعَتِ أَنْوْفَ الْمُلُوكِ الْبَاذِخَةُ ^(٥) ، وَذَلُّوا أَوْرُغُمَا ، وَجَارَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ بِمَا ظَلَحُوا ، كَأَنَّهُمْ قَطُّ مَا تَنَعَّمُوا ، وَنَادَاهُمْ مَنَادِي الْقَدَرِ ، وَفَهَمُوا ﴿ فَتَلَكَ بَيُوتَهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴾ [النمل : ٥٣] . فَبَيْنَمَا هُمْ تَحْتَ السَّيْفِ يُؤَلُّوْنَ وَبِأَهْلِ الْمَدِينَةِ يَتَنَصَّرُونَ ، إِذْ وَقَعَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ الْإِرْجَافُ وَفَاجَأَهُمُ التَّلَافُ ، وَانْهَزَمَ الْأَعْوَامُ عَنِ الْأَسْوَارِ وَحَلَّ بِهِمُ الْبَوَارُ ، وَنَزَلَتْ بِهِمُ الْأَقْدَارُ وَأَقْبَلُوا عَلَى الْهَرَبِ ، وَأَيَقْنُوا بِالْحَرْبِ

(١) النجيع : الدم .

(٢) الحيل : من الحيل : القوة .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٤ / ٢ .

(٤) الطرامخ : الأبطال والفرسان وهي كلمة رومية .

(٥) الباذخ : البذخ : الاتفاق والتبذير بلا حدود ، دلالة الترف الشديد .

وخرجوا بأموالهم ، وما خفَّ من رجالهم ، يطلبون برجاً من ناحية المدينة وتحصن فيه من قَدَر على الدخول إليه ، وتحصنت الروم بالديار ، وأيقنوا بالدمار هذا والضَّجيج قد انعقد ، ونار الحرب قد اتَّقد وصياح المسلمين قد ارتفع^(١) وصليب الروم قد اتَّضِع والجبار قد اطلَّع ، وأبواب السماء قد انفتحت والأجسام قد جُرحت ، والزوم مع نسائهم قد افتضحت ، والبطارقة قد ذبحت ودلائل الحق قد اتَّضحت والقتل يعمل في رأس العين ، وقد حلَّ بهم موارد الحَيْن ، وناح عليهم غراب البين ، وبدت شريعة سيد الحرمين ومن عُرجَ به إلى قابِ قوسين . وخالد قد حار ومن معه من الأخيار ، وما يدرون ما سبب المحنة ، وموارد هذه الفتنة .

قال الراوي : وكان السبب أن إرسالوس وهو أخو مرتيموش ، لما زجره أخوه وضربه خرج من عنده على سبيل الغضب ، وعمل الحقد في قلبه ، وكان أكبر من في عين وردة يرى له ويحبه لعلمه وحكمته ، وكان يسكن من جانب باب^(٢) الخابور الذي عياض بن غنم رضي الله عنه نازل عليه ، وكان هناك بيعة بناها لنفسه وزينها وفيها بيت حكمته ، وكان يدرِّس فيها من يقصد إليه . فلما خرج من عند أخيه قصد إلى البيعة وتبعه تلاميذه وأحباؤه ، فلما جلس في بيت الحكمة ، قالوا له : أيها السيد مالنا نراك في هم وإطراق ، وقد ساءت منك الأخلاق

قال : لما يُريدُ ينزل بكم ويحلُّ ببلدكم ، وقد وعظت أخي فَجَنَحَ ، وبعب الدنيا قد افتضح ، واعلموا أن الحكمة دُرَّة المصايح ، وسبب النجاة وسُلَّمُ الإفادة^(٣) ومنار العلم ونور البصائر وسبب الوصول إلى عالم العلوِّ ، ومن فقدها فقد ضلَّ ومن وجدها فقد وصل ، وقد عَتَبْتُ على هذا الجاهل

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٤/٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٥/٢ .

(٢) باب الخابور : أحد أبواب مدينة عين الوردية من جهة نهر الخابور .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٤/٢ .

فأبى ، وهزرت حسام جثمانه فنيا وقد عوّلت أن أعمل في خلاصكم من قبل هلاككم ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : نفتح الباب للعرب ونبلغ ما نريد من الأرب . قالوا : افعل ما شئت فنحن تبع لك .

فقال : اصبروا . ثم إنه كتب إلى عياض بن غنم مُلَطَّفَةً ، يقول فيها ما عزم عليه وطلب الأمان له ولمن يلوذ به ، ويعث الكتاب مع بعض التلامذة وقد ربطه في نشابه ، وقال : ارم به إلى جيش القوم ، وانظر ما يكون الجواب ، فإن كلامهم إشارة . فقال التلميذ : السمع والطاعة ، ثم صعد إلى برج الباب ومعه قوس ونشاب ، والنشابة التي فيها الكتاب مخفية في كفه ، وجعل يرمي إلى أن رمى خمسة أسهم ، ثم غافل الروم ورمى السهم الذي فيه الكتاب ، فوقع في جيش المسلمين بين يدي جابر بن ميسرة^(١) القرشي ، فلما رأى الكتاب في النشابة أخذها وأتى بها إلى الأمير عياض بن غنم ، وقرأه عليه فلما علم مضمونه ، سجد شكراً لله تعالى وزحف من وقته وساعته بالجيش إلى الباب ، فما وصل إلى الباب إلا وقد فتح وكُسِرت سلاسله ، فدخل الأمير عياض بن غنم رضي الله عنه والصحابة معه بأيديهم السيوف المشهورة والرايات الإسلامية منشورة^(٢) ، وقد أعلنوا بالتهليل والتكبير ، ووضعوا السيوف على القُمَّم ، وأبروا الأعصاب والرمم . ونقذ عياض بن غنم ابن عمه الجراح بن سلامة الأشعري ، ومعه عشرة من بني عمه ، يخفرون أرسالوس ومن يلوذ به ، ففعلوا ذلك ولم يزل السيف يعمل في المدينة باقي يومهم ذلك ، فلما رأوا الغلبة والقهر ، قالوا : (لاغون لاغون) فأمر عياض بن غنم برفع السيف عنهم ، لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان قد كتب إلى عماله يأمرهم

(١) جابر بن ميسرة القرشي : هو جابر بن سمرة / جمهرة النسب ٢٧٣ / .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٤ / ٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٥ / ٢ .

والفتوح لابن الأعمش الكوفي ٢٥٧ / ١ .

وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص ١٠١ / .

وهو يقول : « إنه بلغني أن الروم يقولون عند الغلبة (لاغون لاغون) ، وهو طلب الأمان فإذا سمعتم ذلك منهم ، فأمّنوهم فلذلك رفع عياض عنهم السيف .

قال : حدثني رؤيم بن قادم اليشكري ، قال : أخبرنا عون ، قال : أخبرنا سُرّاقة بن زهير ، قال : أخبرنا خزيمة بن عامر عن جدّه عبد الله بن عامر . قال : كانت وقعة مرج^(١) رعبان يوم الثلاثاء من شهر صفر سنة سبع عشرة من الهجرة ، وكانت وقعة رأس العين يوم الثلاثاء من ربيع الأول في تلك السنة .

قال : وخرج الصحابة من البيعة وقتلوا جميع من فيها ، وجمعوا الأموال والرجال إلى عياض بن غنم رضي الله عنه^(٢) ، وكان قسّم الفارس عشرين ألفاً ، والراجل عشرة آلاف وأسلم كثير من القوم وأسلم الحكيم أرسالوس وتلامذته .

قال الواقدي رحمه الله : ولم يؤخذ في ديار ربيعة بالسيف إلا رأس العين^(٣) .

قال : وأخرج الخمس من المال لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكتب له كتاباً جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من عياض بن غنم الأشعري إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أمّا بعد : فإنني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، وأصلي على نبيه . أما بعد فإن الله وله

(١) مرج رعبان : يقع قرب مدينة رعبان المنندثرة بين حلب وسميساط . / انظر : اللؤلؤ المنشور ٥١٦ / .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٤ / ٢ .

وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥ / ٥٣٤ .

وابن الأعمش ، الفتوح ١ / ١٥٦ .

(٣) رأس العين : مدينة هامة وحصينة وهي قصة ديار ربيعة وبها مقر ملكها .

انظر : كتاب الخراج ، قدامة ابن جعفر ص ٢٤٦ / .

الحمدُ قد فتحَ علينا يسيراً ما كان عسيراً ، وكان لنا عوناً ونصيراً ، بعد وقعة كاد نارها يحرق الفتتين ، وشعاعهما يخطف العينين ، ولما تضايقوا أمامي وازدحموا قُدَّامي ، عانت جيشاً كثيفاً وسداً منيعاً قد أقبلوا في الأفواج ، وتتابعوا كالأمواج وتناصروا من كل أوب ، واشتملوا بكل ثوب ، والحديد يتألق كالحرّيق ، ويومض كالبريق ، وطارت السيوف فلولاً والرماح كُعُوباً ، وانقضت العدة ، ونفذت المدة ، ورأيت الموت قد اعترض ، والهلاك قد أومض ، فكاسرتُ مكاسرة الجارح وخرجت خروج القادح ، على أني لم أركض على عقبي ، حتى شفيئُ النفس وكشفت العار واللَّبس^(١) وصبغت كعوب قناتي عندما ، رويت مضارب سيفي دماً ، وقد وضعت الحرب أوزارها وأطفأت لهبها ونارها ، بعد أن قتل المسلمون أولئك الطُّغاة الفاسقين ، ودانت بنصر الأولياء المقسطين ، ونصر الله الكفاة وخذل العتاة ، وأذل الولاة والملوك القساة وولت الأعداء الأدبار ، وقد تجلَّلوا بالخزي والعار ، وانسلخوا من حيلهم وقُوَّتهم وتجردوا من بأسهم وعزتهم ، وذاقوا وبالَ الكفر ووخيم الغدر ، فعاجلتهم الحتوف ، وقطعتهم السيوف وجار عليهم الزمان وأيقنوا بالخذلان ، وأراحنا الله من مضرَّتهم ، وطهَّر البلاد من معرَّتهم ، وحسم غائلتهم وقطع مادَّتهم ، وشفى المسلمون منهم النفوس ، وجَرَّوا الغلاصم والرؤوس ، وكان زعيمهم المائن وملكهم الخائن ، أوَّل مخذول وأهونُ مقتول ، وبعد ذلك فتحنا رأس العين وذهبت عَنَّا وصمة الشَّين ، ونحن مُعَوَّلون بعد هذا النصر على فتح ديار بكر والله المعين وبه نستعين . والسلام عليك وعلى جميع المسلمين . وأقرئُ سلامنا قبر سيد المرسلين والحمد لله رب العالمين»^(٢) .

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٤/٢ .

والكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٥٣٥/٢ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٥/٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤/٢ .

وسلّم الكتاب والخمس لعبد الله بن جعفر^(١) الطيار ، وضم إليه مائة فارس من المهاجرين والأنصار ، فسار بهم عبد الله يريد بهم المدينة^(٢) وأقام عياض بن غنم في عين وردة شهراً كاملاً ، بعد أن شكر خالداً ومن معه ، ويوقناً وأصحابه ، وأبا الهول وجماعته . قال : وبني ببيعة نسطوريا جامعاً ، وبني المسلمون المساجد لكل قبيلة مسجداً تذكر به .

وأثماً ما حصل في البرج ، فإنهم لم يروا أن ينزلوا على حكم المسلمين ، فماتوا من الجوع والعطش وأخذ المسلمون ما كان فيه ، وبقيت عظامهم هناك . وترك عياض في رأس العين والياً ، وهو عرفة بن مازن العامري^(٣) في خمسمائة فارس من المسلمين ونفذ الخمس أيضاً مع عبد الله بن جعفر ، وسلامة بن الأحوص في عشرين رجلاً .

ثم ارتحل عياض من رأس العين ونزل (بكفر توثا) وأقبل الغلام بوغور فرحب به وولاه على المدينة ، وعرض الإسلام على الجارية طارون . فأسلمت فزوجها للغلام ووهب لهما مالاً كثيراً وبني بها جامعاً وارتحل إلى دارا .

٤ - فتح دارا^(٤)

فنزل عياض بدارا ، فخرج إليه أهلها ، فاعتقّبوا لهم منه صلحاً . فكان من جملة ما صالح عليه عياض بن غنم أهل دارا على عشرين ألف دينار ، وثلاثين ألف درهم فضة .

(١) عبد الله بن جعفر الطيار وانظر تاريخ ابن معين ٣٢/١ وأسد الغابة ٣/١٣٣ .

(٢) فتوح الشام للواقدي ٢/٩٥ .

(٣) عرفة بن مازن العامري : انظر أسد الغابة ٣/٤٠١ .

(٤) دارا : إحدى مدن ديار ربيعة من بلاد الجزيرة / الخراج ، لقدامة بن جعفر ص ٢٤٥ .

وأن لا يدعوا عندهم سلاحاً في خزائهم ، فأجابوا إلى ذلك . ولم يبرح حتى بنى الجامع في كنيستهم المعظمة عندهم . ولم يُسَلِّمْ منهم إلا القليل ، فأقرهم على أداء الجزية بعد عامهم ذلك^(١) .

٥ - فتح بيرحاء وباعما ونصيبين

وارتحل عياض من دارا ، وقَصَدَ بيرحاء^(٢) فصالح أهلها على ربع ما صالح عليه أهل دارا ، ويقال : الخمس ، ثم ارتحل فنزل على بَاعَمَا^(٣) ، وكان بنو اسرائيل يعظمونها ويقصدون إليها بالثُّدُر والشَّمْع والزيارة ، وكان بانيها حزقيال^(٤) ابن بازيا أحد أنبياء الله ، ولما غزا سنحاريب^(٥) أرض الشام أسر أولاد الأنبياء وهدم بيت المقدس ، ثم عاد يطلب العراق ونزل بها وترك من أَسَرَ من الأنبياء في أرضها ، فلما فكَّ الله أسَرَ بني اسرائيل . بَنَوْا بها موضعاً للعبادة ، وأيضاً تبرَّك أولاد الأنبياء بالثُّزول بأرضها .

فيقال أيضاً : أنه لما غزا بخت نصر بني اسرائيل وهدم بيت المقدس ، أسر أشعيا^(٦) عليه السلام ، وقدم أرميا من أرض مصر وهو عُزِيرٌ ، ورآها خلاءً بلقياً . قال : ﴿ أَلَيْ يَحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] . يعني أحياء الله وإذا بها قد عادت أعمر ما كانت . وذلك

-
- (١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٥/٢ ، واليعقوبي ، تاريخه ١٥٠/٢ .
(٢) بيرحاء : بلدة تقع في منتصف الطريق بين دارا ونصيبين فتحها المسلمون وصالحوا أهلها وأخذ منهم عياض ربع ما أخذ من أهل دارا / فتوح الواقدي ٩٥/٢ .
(٣) باعما : قرية من أعمال نصيبين / فتوح الشام للواقدي ٩٥/٢ .
(٤) حزقيال : هو أحد أنبياء اليهود الكبار نشأ في فلسطين وسبي إلى بابل سنة ٥٩٧ ق.م وله سفر حزقيال / معجم الحضارات السامية ٣٥٢ / .
(٥) سنحاريب : هو ملك آشور (٧٠٤ - ٥٦٨ ق.م) عاصمته بابل . هاجم عرب بلاد الرافدين وصور وبلاد كنعان وقتله ابنه سنة ٦٨١ ق.م / ٤٩٥ / .
(٦) أشعيا : أحد أنبياء اليهود .

أن الله ألقى في قلب سنحاريب ملك نينوى ، أن سار إليها وعمَّرها . فلما جاء جبريل لعزير قال : ﴿ كم لبثت ﴾ فنظر إلى المدينة فوجدها أعمر مما كانت . قال : ﴿ لبثت يوماً أو بعض يوم . قال : بل لبثت مائة عام ﴾ [البقرة : ٢٥٩]^(١) . والقصة مشهورة . فلما أحياء الله تبارك وتعالى وأحيا حمارة ، قصد يريد سنحاريب ليشكر فعله على بنائه بيت المقدس وعمارته له ، فنزل بالحُصَيْرِ^(٢) وبنى هناك موضعاً للعبادة ، وهي بَاعَمَا . فلما نزل عياض بن غنم بأرضها ، جمع طرياطس أرباب دولته وودهاقنة المدينة ومترفيها في كنيسة مريم وصعد درج المعمودية ، وقال : يا أهل نصيبين إني لم أزل أنظر في أحوالكم وأقضي حوائجكم وأحسنُ السياسة فيكم ، وأعدل في أحكامي على طول أيامي ، وكنت بكم رفيقاً وعليكم شقيقاً ، واعلموا أن أيامنا قد مضت ، ودولتنا قد انقضت وهؤلاء العرب قد ملكوا البلاد والعباد ، وقد نزلوا بإزائنا وقصدوا بلدنا ، وقد عولتُ على أن أخرج إليهم ، وأصالحهم وأحقن دماءكم بما يتم به الصلح من مالي ، وأريد منكم أن لا تردّوا لي يداً ، وتشكروني عند هؤلاء العرب . قالوا : وما الذي يضرُّنا في ذلك^(٣) .

قال الراوي : وأخذ من كبرائهم خمسين سيّداً وقصد باب الرُّوم ، ويمّموا جيش المسلمين ووقفوا بين يدي عياض بن غنم ، وأعلموه بقصة طرياطس وأنه ملكهم^(٤) قال : فعظّم عياض شأنه ورفع مكانه وعظّمه ، لقول رسول الله ﷺ : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه »^(٥) قال : فلما استقر به المكان التفت إلى عياض بن غنم وقال : إنّنا قوم لم نزل نتلقتُ إلى قُدومكم ، ونتشوق

-
- (١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٥/٢ . والقصة مشهورة ووردت في القرآن الكريم .
(٢) الحُصَيْرُ : موضع في بلدة باعما وهي من أعمال نصيبين / فتوح الشام للواقدي ٩٥/٢ .
(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٥/٢ / والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٢/٢ .
(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٥/٢ .
(٥) انظر الحديث في : كنز العمال ٩/٢٥٨٤٨٤ ، ٢٥٤٨٧ .

إليكم ونسمع بأخباركم ، وما أنتم عليه من العدل والخير والتَّصَفَّة في الأحكام . إلى أن أتى الله بكم ، وقد خرجنا إليكم لتحملونا على بساط عدلكم ومروءة مثلكم ، وتأخذون مِنَّا ما أخذتم من أهل (دارا) على أني لم أزل ملك القوم ، ومن أراد من أهل بلدنا أن يدخل في دينكم فلا مانع يمنعه من ذلك . فقال له عياض بن غنم : ما اسمك ؟ قال : اسمي طَرِيَّاطُس . فقال له عياض : يا طرياطس أنا أحملك على العدل ، فما فتح الله علينا إلا باتباع الحق وسلوك طريق العدل وإنَّا نتجنب البغي والظلم ، وما قصدنا قاصد إلا وجدنا مُفَرَّغاً لقصده ، ونجيب أربه ، وبعد ما خرجتم إلينا ، ووردتم علينا فنحن نجيبكم إلى ما سألتم ونصالحكم على ما صالحنا عليه أهل دارا . فعند ذلك قال طرياطس : ونصالحون أهل معرين^(١) ، على ما صالحتم عليه أهل بَيْرَحَاء ، فأجابهم عياض إلى ذلك أيضاً ، وسبب إجابته لهم ولين عريكته حتى يبلغ الخبر لأهل ديار بكر^(٢) . فيجيبوه طائعين ، ويسلموا له من غير منازعة وكان قد بلغه تحصُّن بلادهم وامتناع قلاعهم . قال : فدخل طرياطس ، واستخرج المال من خزائنه ، ولم يأخذ من أموال أهل بلده شيئاً وخرج به^(٣) إلى عياض فتسلمه منه وكتب لهم كتاب الصُّلح وشرط لهم الجزية من العام المقبل كما فعل بأهل دارا ؛ ولما انبرم الصلح ، دخل عياض رضي الله عنه ، ومعه أربعون رجلاً من المهاجرين والأنصار ونزل عند كنيسة مريم ، وبنى

(١) معرين : إحدى قرى كورة نصيبين وصالح المسلمون أهلها على مثل صلح بئرحاء عندما فتحوها بقيادة عياض بن غنم . / فتوح الشام للواقدي ٩٥/٢ .

(٢) ديار بكر : تمتد من غربي دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين وحتى ميفارقين وآمد ولا تتجاوز السهل / معجم البلدان ٤٩٤/٢ ، ونخبة الدهر لشيخ الربرة ص ١٩١ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٥/٢ .

وذكر ابن الأثير أن نصيبين فتحت صلحاً على مثل صلح الرقة / الكامل في التاريخ ٥٣٢/٢ .

الجامع وبنى كل واحد من الأربعين مسجداً ، ولما نظر أهل نصيبين إلى حسن سياستهم أسلم أكثرهم وكان في جملة من أسلم أصحاب دير الثُّدور^(١) ، وهو بجانب باب الرُّوم فأخذته كندة^(٢) وبنو موضعه مسجداً ، وأقام عياض على نصيبين شهراً . فلما هم أن يرحل إلى ديار بكر^(٣) ، جاءه طرياطس وقال له : قد صَغُر ديننا في أعيننا لما رأينا من حسن صلاتكم . ثم أسلم وحسن إسلامه ولم يزل ملكاً حتى مات في أيام عثمان رضي الله عنه . ونزل بمسجد كندة أسامة^(٤) بن عامر الكندي وعشرة من بني عمه حتى يُعلّمهم شرائع الإسلام ويحكم بينهم بالعدل .

قال : وارتحل عياض بن غنم حتى نزل تحت قلعة المرأة ، وهي مارية ابنة أرسئوس بن جارش ، فنزلت إلى عياض بالإقامة والضيافة ، فسلم إليها ولدها عموداً بعد أن أعطاه معيشة يعيش منها ، وهي القرية التي سميت باسمه على باب دارا ، وعشرين قرية سواها ، واستقبل على طريقه حتى نزل على أمّ^(٥) .

(١) دير النذور : هو أحد الأديرة الهامة في مدينة نصيبين قرب باب الروم . / فتوح الشام للواقدي ٩٥ / ٢ .

(٢) كندة : قبيلة عربية مشهورة من اليمن وتنسب إلى كهلان بن سبأ ، ولها كثير من البطون في الشام والعراق ، / اللباب في تهذيب الأنساب ٣ / ١١٥ .

(٣) ديار بكر : بلاد واسعة بالجزيرة تنسب إلى بكر بن وائل ، وحدها من غرب نهر دجلة إلى الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة واسعرت وحيزان وحيني وما تخلل ذلك من بلاد ولا يتجاوز السهل / معجم البلدان ٢ / ٤٩٤ .

(٤) أسامة بن عامر الكندي : لم أعثر له على ترجمة .

ولكن ذكر اسمه الواقدي في فتوح الشام ٩٥ / ٢ .

(٥) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٥ / ٢ / والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤ / ٢ .

الفصل الثالث

فتح ديار بكر

١ - حصار مدينة آمد

بسم الله الرحمن الرحيم .

قال صاحب السيرة الواقدي رحمه الله تعالى :

حدثني نوفل بن عبد الله بن يحيى عن عامر بن بشر قال : نزل عياض بن غنم على آمد^(١) يوم الجمعة . لسبع خلون من جمادى الأولى سنة سبع عشرة من الهجرة . قال : وكان بآمد أخوان شديدا البأس ، يقال لأحدهما : بطرس والآخر يوحنا ، وكان بطرس مما يلي شرقي المدينة ، ويوحنا مما يلي غربيها ، وكان ليوحنا ابنة تسمى زُغُورَه ، ولبطرس ابنة تسمى صُغُورَه ، وكل واحد مشغول بموضعه ، وإن يوحنا أراد أن يتزوج فبعث إلى صاحب دارا وهو يومئذ مِرطَاوس بن جُرْجُس ، فخطب ابنته مريم فزوجه بها وحملت من دارا إليه . وكانت صاحبة حيلة ومكرٍ ودهاء ، فلما حصلت بآمد ونظرت إلى المدينة وكثرة نعمها ، وتحصين سورها وكثرة مياهها وغزارة بساتينها ، فقالت لدايتها في السر : يا داية وحق المسيح ما رأيت أحسن من هذه المدينة ولا أحصن ولا أمتع ! ألا ترين إلى هذه الأعين المخترقة في وسطها ؟ وهذه

(١) آمد : مدينة هامة في ديار بكر وتسمى آمد السوداء لأن حجارة بنائها سود وبها قلعة وتقع غرب نهر دجلة فتحها المسلمون بقيادة عياض بن غنم وهي في أيامنا تتبع لتركيا . / بلدان الخلافة الشرقية ١٤٤ / .

الجبال التي دارت بها يعني سورها الأسود ؟ يا ترى من بناها على الحقيقة^(١) ؟ قالت الداية : يا بنية اعلمي أنه قد ملك بلاد الرُّوم جمعٌ من أولاد اليونان إلى بلاد عَمُورِيَّة^(٢) . ملك يقال له : طِيْمَاوِسُ بنَ أَسَاوِسُ ابنَ جَهْمِيَّاطِ بنَ مَكَلَّا وَكُرْنُ بنِ الْأَصْفَرِ بنِ العيص بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ، وكان أول من بنى بيت الحكمة في بلده رومية^(٣) الكبرى ، وكان قد فتحت له المطالب ، وأثر في الأرض العجائب ، وإنه دعت نفسه لفتح الأرض كثرة الأموال التي وجدها ، فانتهى في فتحه إلى نَيْقِيَّة^(٤) وسَرِنِيقِيَّة^(٥) ، وكان له ولد اسمه اسطنبول ، فقال لأبيه طيماوس : أريد أن أبني ههنا مدينة أذكر بها . فقال له أبوه : افعل وأمده بالأموال والرجال ، وطلب ما يحتاج إليه وأحضر المهندسين والعمال ، فذَوَّرُوا السور على ستة فراسخ . وسَمَّاها باسمه ، وتم ملكه أربع سنين ومات ، وخَلَفَ وَلَدًا سَمَّاهُ قُسْطَنْطِينَ . فأتَمَّ بِناءها فسميت اصطنبول^(٦) باسم الأب والقسطنطينية على اسم ولده ، وأما أبو أبوه طيماوس فإنه سار يفتح البلاد إلى أن انتهى به المسير إلى هاهنا ، فرأى هذه الأعين والدَّجَلَةَ فاستحسن المكان ودعا ببطارقه وأرباب دولته ، وكانوا اثنين وسبعين ملكاً . فقال لهم : قد اخترت أن ابني هذه المدينة لا يكون على الأرض أحصن

-
- (١) انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٦/٢ .
(٢) عمورية : مدينة وحصن منيع في بلاد الروم ، غزاها المعتصم وفتحها سنة ٢٢٣ هـ . / معجم البلدان ٤/ ١٥٨ .
(٢) رومية الكبرى : مدينة في وسط إيطاليا ، قرب الساحل الغربي على ضفتي نهر التيبر وهي اليوم عاصمة إيطاليا / انظر الأعلام الخطيرة ٣/ ٢٦٢ .
(٤) نيقية : مدينة كبيرة قديمة من عمل القسطنطينية تقع على طرف بحيرة طولها ١٢ ميلاً وفي وسط البحيرة ثلاثة جبال يلجأ لها السكان عند الخطر ومن نيقية إلى عمورية ثلاثة أيام . / انظر الروض المعطار ص ٥٨٩ ، ونخبة الدهر ٢٢٨/٢ .
(٥) سريقية : لم أعر على مدينة قديمة بهذا الاسم وربما تغير اسمها .
(٦) اصطنبول : هي نفسها القسطنطينية أو بيزنطية وكان دار الملك الروم وعاصمة للعثمانيين من بعدهم / معجم البلدان ٣/ ٣٤٧ .

منها ولا أ منع . ولكن أريد كل واحد منكم أن يبني لنفسه بَدَنَةً ويُرْجَأ . فقالوا : أيها الملك نفعل ، ثم ركب واحتط المدينة وشرع في بنائها^(١) . وأتى بالصُّنَّاع من أقصى بلاد الرُّوم ، واحتفظ كل ملك ببرج وبدنة وحمام وكنيسة فلما تم بناؤها مات الملك ، فسميت أمد لانقضاء مُدَّتْه بها ، وما زال الملوك يتوارثونها إلى أن انتهت الدولة إلى هذين الأخوين بطرس ويوحنا .

قال فتعجبت مريم من قول دايتها وكتمت الأمر ، وكان لبطرس ولد اسمه لاوِز فطلب من أخيه (صفورة) ابنته . وقال : زَوَّجها لولدي حتى أزُوج ابنتي لابنك ، فامتنع أخوه من ذلك فوقع الشر بينهما ، وكان في وسط المدينة سور وأبواب فَعُلِّقَتْ وصار كل واحد منهما مستقلاً بناحية . قال : فلما رأت داية مريم ذلك دخلت على مريم وأعلمتها ، فدخلت مريم في الصلح بينهما ، وقالت : هذا لا يجوز وأنتما أخوان ، ويطمع في ملككما ملوك ديار بكر ، ثم ركبت بنفسها وأصلحت بينهما ، وفتحت الأبواب التي بينهما وصنعت وليمة عظيمة ، ودعت إليها بطرس وولده لاوز وابنته صفورة ، فأكلوا دعوتها وقدمت لهم الشراب ممزوجاً بالبنج ، فلما تمكن منهم قتلتهم ، وكذلك زوجها يوحنا قتلته وابنه وابنته ، وتملكت وصارت هي الملكة ، وبنّت بالأموال بيعة لم يَرِ الراؤون أحسن منها في بلاد الروم ، وفرشت أرضها بفصوص الرخام ورصّعت الحيطان بفصوص الذهب^(٢) ، وعُلِّقَتْ عليها السُّتُور والديباج القُسْطَنْطِينِي والمرايش ، ونفّدت إلى بلاد الروم ، وأنت بكل عالم مشهور ، وأزالت عن أهل المدينة جميع ما كان عليهم من المظالم والجور ، فأحبّها أهل المدينة لعدلها فيهم ، وشكروها واستخدمت الرجال ، وقصدها التجار والرجال من كل الأرض لعدلها وحسن سيرتها ، ومضى لها في ملك أمد

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٦/٢ .

وقد انفرد الواقدي بهذه الرواية .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٦/٢ .

اثنتا عشرة سنة ، ثم بعد ذلك نزل عليها عياض بن غنم رضي الله عنه ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ وأحاطوا بالمدينة .

قال الواقدي رحمه الله : وبلغني أنَّ عياض بن غنم نزل على باب^(١) التل ، ونزل سعيد بن زيد على باب^(٢) الروم ، ونزل مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ على باب^(٣) الجبل ، ونزل خالد بن الوليد على باب^(٤) الماء .

قال : فلما نظرت مريم إلى ذلك ، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قد عولوا على حصارها ، ركبت إلى كنيستها وجمعت أرباب دولتها ، وقالت : اعلموا أن العرب قد حَلُّوا بساحتكم ، ونزلوا على مدينتكم وطَمَعُوا أنفسهم بأخذها وأنتم تعلمون أن هذه المدينة قفل ديار بكر ، ومتى فتحوها أخذوا ديار بكر عن بكرة أبيها ، واضمحلت دولة المسيح ولا تبقى لها قائمة في هذه البلاد ، وأنا أعلم أن الملوك ومن يُسَارُّ إليهم من أهل دين النَّصْرَانِيَّةِ وبني ماء المعمودية^(٥) كلُّهم ينظرون إلينا وما يكون منا ، وقد علمتم أن مدينتكم لو أقاموا عليها مائة سنة ما قدروا عليها ، فقاتلوا عن دينكم واجمعوا حريمكم وأمواكم واصعدوا على الأسوار ، وقاتلوا هؤلاء الأشرار ، ثم استدعت بالأكسة والرُّهبان وأمرتهم

(١) باب التل : وهو باب المدينة الغربي وله عتبة وطاق حجري وعليه باب من حديد / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٩٥ .

(٢) باب الروم : وهو الباب الملاصق لبرج الرومية في آمد أقامه أحد وزراء قسطنطين الكبير / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٦٦ .

(٣) باب الجبل : أحد أبواب آمد وموقعه مقابل باب أرزن / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٦٧ .

(٤) باب الماء : في مدينة آمد يقع عند مخرج الماء ويسمى أيضاً باب أسفل العقبة / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٦٧ .

(٥) انظر فتوح الشام للواقدي ٢ / ٩٦ .

وذكر ابن الأعمش الكوفي في الفتوح أن مالك بن الأشتر النخعي سار إلى مدينة آمد بأمر من عياض ابن غنم ومعه ألف فارس من المسلمين ، فحاصرها حتى افتتحها وفرض الجزية على أهلها / الفتوح لابن الأعمش ١ / ٢٥٨ .
والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤٦٢ .

أن يُحلفوا القوم ، وأن يكونوا يداً واحدة ، ولا يخامروا عليها ، ففعلوا ذلك ثم انصرفوا من كنيستهم وصعدوا على الأسوار ، ولبسوا السلاح ونصبوا المنجنيقات^(١) والعرّادات^(٢) ورفعوا الصُّلبان ونشروا الرايات ، ونصب كل بطريق خيمته على برج ، وتوكلوا بحفظ المدينة .

قال : ولما نظر عياض بن غنم إلى ما فعل القوم ، وأنهم قد عولّوا على القتال من أعلى سورهم ، جمع عياض بن غنم أصحابه إليه وقال لهم : اعلموا أن هذه المدينة حصينة وهي عين ديار بكر ، ومتى فتحها الله تعالى علينا ، ملك المسلمون ديار بكر جميعاً . فما الذي ترون من الرأي ؟ وكيف يكون قتالنا لأعداء الله تعالى وقد تحصنوا منا ، بهذا الحصن المنيع ؟ فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه : اعلم أيها الأمير إننا ما ملّكنا الله البلاد بقوة ولا بكثرة ، بل بتيسير الله سبحانه وتعالى وبركة نبيه محمد ﷺ ، وبذلك وعدنا نبينا^(٣) ﷺ ، وكان أمر الله مفعولاً ﴿ النساء : ٤٧ ﴾ . وأن هؤلاء القوم وإن بادأونا على ظاهر مدينتهم في القتال ، لرجونا تسهيل الأمر ، ولكن اصبر فإن الصبر عاقبته الظفر ، ولعل يأتي في العرضيات ما ليس في الحساب ، وبعد ذلك فاكتب لهذه المرأة كتاباً وخونها ثم مئها بكل جميل ، فلعل الله تعالى يُعين ويُليّن قلبها للإيمان أو تُسلم إلينا . قال : فدعا عياض بدواة وكتب^(٤) :

(١) المنجنيقات : مفردها منجنيق وهي من أسلحة لاحتصار ويقذف بها الحجارة والذهب والزرنيخ وغيرها . وكانت المجانيق تحمل على عجلات وتجرها الثيران . القلقشندي صبح الأعشى ١٤٣/٢ .

(٢) العرادات : مفردها عرادة وهي من آلات الحصار والحرب ، وأصغر من المنجنيق وترمي حجارة أصغر من حجارة المنجنيق إلى مسافات أبعد / التحريف بمصطلحات صبح الأعشى ص ٢٤٢ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٩٦/٢ ، ٩٧ / والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤/٢ . وانظر فتح آمد في : الفتوح لابن الأعمش ٢٥٨/١ .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٧/٢ .

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد وآله ، من عياض ابن غنم ، أما بعد : فإن الله سبحانه وتعالى نصرنا ، وبجميع ملوك الكفر ظَفَرْنَا ، وما نزلنا على بلد إلا ملكناه ولا حَمَلْنَا على جيش إلا هزمناه ، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين وليس حِصْنُكَ أعظمَ ولا أَمْنَعُ من تدمير ولا أحصنُ وهو الحصين المنيع بناه سلمان ابن داوود ، فما هو إلا أن نزل عليه المسلمون حتى ملكهم الله إياه ، وكذلك بعلبك وانطاكية دار مملكة هرقل ، ولم يبقَ بين أيدينا صعبٌ إلا سَهَلَهُ الله علينا وبذلك وعدنا نبيّنا ووعدنا ربّنا في كتابه العزيز فقال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) فإذا وصل إليك كتابي هذا سَلِّمِي وَسَلِّمِي وَإِيَّاكَ أَنْ تَخَالَفِي تَنْدَمِي ومهما أَرَدْتَ بَلِّغْنَاكَ إِيَّاهُ ، ولسنا نُكْرِهُكَ على فراق دينك ولا أحداً من بلدك ، قال الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾^(٢) إِنْ أَبَيْتِ إِلَّا اتَّبَعَ الْهُوَى . فستعلمون من أضعفُ ناصراً وأقلَّ عدداً ، والسلام على من اتبع الهدى » .

قال الراوي : ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه لرجل من المعاهدين وقال له : اقْرُبْ من حصن القوم ، ثم قف حتى يَرُدُّوا الجواب .

قال : فأخذه المعاهدي ، ودنا من السور ونادى بلغة الروم وأشار بالكتاب فأمسكوا عن رميه ودلّوا له حبلاً ، وقالوا له : اربطه في طرفه ، فربطه ثم قعد بالقرب حتى يعلم ما تردُّ الملكة من الجواب . قال : ووصل الكتاب إلى الملكة مريم الدَّارِيَّةَ ، فلما رآته بخط العرب ، سلّمته إلى من يحسن القراءة بالعربية ، فقرأه عليها فلما سمعت ما فيه قالت لأرباب دولتها : ما تقولون فيما كاتبنا به أمير هؤلاء العرب . فقالوا : أيتها الملكة الأمر إليك مهما أمرتِ امتثلنا أمرك . فقالت : يا قوم أنت تعلمون أنَّ النَّارَ ولا العار ومتى سلّمنا

(١) سورة الروم الآية ٤٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

لهؤلاء العرب عيّرتنا الروم من المشرق إلى المغرب ، ويقول القائل : كيف سلّمتم مدينتكم للعرب ، ولا حوصرتم سنة ولا عشرة ومدينتكم أحصن البلاد ، وإذا شئتم كان لكم فيها موضع تزرعون الزرع والمياه عندكم ، وكل ما تحتاجون إليه ، وقد وصلت إليّ الكتب من سائر ديار بكر ، أن لا أسلّم ، وقد وعدوني أن يجتمعوا بعساكرهم عندي إلى نصرتنا^(١) ويزيلون العرب عنّا فقالوا : أيتها الملكة هذا هو الرأي الرشيد ، فاكثبي للقوم حتى لا يلحقهم الطمع فينا فكتبت جواب الكتاب :

« أما بعد : فقد وصلني كتابك وفهمت خطابك ، وأما ما ذكرت من نصر الله لكم ، أما علمت أن الله يمهلكم . وإنما هو استدراج لكم ثم يأخذكم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر . وكأنكم بالملوك وأولاد الملوك ، قد أقبلوا إليكم بسواعد شداد وسيوف حداد ، وجيوش مداد ، فيأخذون منكم بالثار ويكشفون عن عبّاد المسيح العار ، وما كنّا بالذي نسلم حصننا إليكم أبداً . فإن شئتم المقام ، وإن شئتم الرحيل والسلام »^(٢) .

وربطوا الكتاب ورموا به إلى المعاهدي ، فأخذه وأتى به وسلّمه إلى عياض بن غنم ، وسلّمه عياض لمن يقرأه بقلم الرّوم ، فلما سمع ما فيه قال : أنكلنا على الله تعالى ، وفوّضنا أمورنا إليه . ثم قرأ : ﴿ من يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾^(٣) . وعوّل على حصار آمد ، وخيله تُغيّر على (بآلوا^(٤)) وحانئ^(٥) ونحو

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٧/٢ .

(٢) سورة الطلاق . الآية ٣/ .

(٣) بالوا : هي إحدى قلاع ديار بكر وهي حصينة وتقع بين أرزن الروم وبين خلاط من جهة ارمينية . / مراصد الاطلاع ١٥٧/١ ، الأعلام الخطيرة ٣/٢٤٨ .

(٤) حانئ : هي إحدى قلاع ديار بكر وهي مدينة حانئ / الأعلام الخطيرة ٣/٢٤٧ .

الهِتَاخُ^(١) وَمِيَّافَارِقِينَ^(٢) وَالسُّوَيْدَاءَ^(٣) ، وَجَبَلِ جُورٍ^(٤) وَذُو الْقَرَيْنِ^(٥)) قال : وأذاقوا الرُّومَ شراً وكان أهل أمد يضربون الناقوس على سورهم عند أوقات صلواتهم ، قال عياض : أتدرون ما يقول الناقوس على سورهم عند أوقات صلواتهم ؟ قالوا : لا نعلم يا صاحب رسول الله . فقال : لما بعث رسول الله ﷺ ابن عمه علياً رضي الله عنه وأنا معه وجماعة من المسلمين لِنُغَيِّرَ على أطرافِ تبوك^(٦) مما يلي الشام ، عبرنا على دِيرٍ والديراني يضرب ناقوسه . فقال علي رضي الله عنه : أتدرون ما يقول الناقوس ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال^(٧) : « يقول : مهلاً مهلاً يا بني الدنيا ، حقاً حقاً ، صرفاً صرفاً مهلاً مهلاً ، إن الدنيا [كم] غَرَّتْنَا واستهوتنا واستغفوتنا ، لسنا ندرى ما فرَّطْنَا . ما من يوم يمضي عَنَّا إلا ووهى مَثْلاً رَكْنَا ، نَرْنُ ما نَأْتِي به وزنا ،

(١) الهتاخ : قلعة حصينة في ديار بكر قرب ميافارقين فتحها المسلمون / اللؤلؤ المثلثون ٥٢٠ / .

(٢) ميافارقين : مدينة قديمة تقع بين الجزيرة واربينية ، بها قلعة حصينة وهي كثيرة المياه والبساتين / بلدان الخلافة الشرقية ١٤٣ / تقويم البلدان ٢٧٨ / .

(٣) السويداء : مدينة هامة تقع بين أمد وحران من نواحي ديار مضر وأهلها أرمن ونصارى / معجم البلدان ٣ / ٢٨٦ .

(٤) جبل جور : هو أحد حصون ديار بكر ، وحوله كورة واسعة تتصل بديار بكر من جهة أرمينية / معجم البلدان ٢ / ١٠٢ / .

(٥) ذو القرنين : حصن يقع شمالي ميافارقين وأحد ينابيع نهر دجلة من قلعة ذي القرنين وفي ذروة جبلها مقام ذي الكفل عليه السلام . / صبح الأعشى ٤ / ٤٠٠ وشرفنامه ١ / ٣٤٤ / .

(٦) تبوك : موضع على الطريق بين وادي القرى والشام وهو حصن وبلدة قريبة منه ، غزاها النبي ﷺ سنة ٩ هـ . وهي تبعد عن المدينة ١٢ مرحلة / معجم البلدان ٢ / ١٤ / .

(٧) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٧ / ٢ . ولم أعثر على مثل رواية الواقدي في مصادر أخرى حول غزوة تبوك ، وما رواه عن حديث الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

تفنى الدنيا قرناً قرناً . يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً ، يا ابن الدنيا شرطاً شرطاً ، ما من يوم يمضي عتاً إلا أثقل منّا ظهراً ، ما من يوم يمضي عتاً إلا صار منّا جهلاً ، رب الموتى قد أخبرنا أنّ الحشر له عدلاً ، قد ضيعنا داراً تبقى ، واستوطننا داراً تفنى » قال عياض : فقلت يا ابن عم رسول الله ﷺ أوتعلمُ النصرى ذلك . قال : لا يعلم ذلك إلا نبي أو وصي أو صدّيق .

٢ - فتح ميفارقين

قال : حدّثنا الربيع بن سليمان . قال : أخبرنا موسى بن عامر ، عن جده يونس بن عبد الحميد ، قراءة عليه بالخضراء من عسقلان^(١) ، قال : لما أقام عياض على حصارِ آمدٍ ومزّ له عليها أربعة شهورٍ أخرج عياض من جيشه عشرة من أصحابه ، وهم الحكم بن هشام^(٢) ، واليسع^(٣) بن خلف والرازقي^(٤) بن غانم ، وسهل بن ثابت^(٥) ، والحارث^(٦) بن زرارة ، وعقبة بن^(٧) كامل

(١) عسقلان : مدينة على ساحل فلسطين فتحها المسلمون أيام إمارة معاوية على الشام / معجم البلدان ٤/ ١٢٢ وانظر فتح آمد في : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٥٣٤/٢ .

(٢) الحكم بن هشام : انظر الطبقات خليفة ص ١٠٣ .

(٣) اليسع بن خلف : ذكره ابن منده وابن حجر في الاصابة على أنه أبو اليسع الصحابي / الاصابة ٤/ ٢٢١ والاستيعاب ٢٢١ .

(٤) الرازقي بن غانم : لم أشر على ترجمة له .

(٥) سهل بن ثابت : لعله سهل بن ثعلبة الزبيدي وليس ابن ثابت وقد عدّه البخاري في التابعين / الاصابة ٢/ ١٣٢ .

(٦) الحارث بن زرارة : هو الحارث بن سراقه الأنصاري . وما ورد تصحيف وخطأ في النقل / الاصابة ١/ ٢٧٩ .

(٧) عقبة بن كامل : في اسمه تصحيف ولعله عقبة بن مالك الصحابي وترجم له البيهقي في حرف الميم ولكن ابن حبان أخرجه عن أبي يعلى على أنه ابن مالك وهو الأصح . الاصابة ٢/ ٤٩١ .

والقعقاع بن أسيد^(١) ، وصارم^(٢) بن الأشعث ، ونعمان بن عامر^(٣) ، وطلحة بن^(٤) يعسوب وابراهيم ابن اليسع بن خلف . ومعهم مائة من المهاجرين والأنصار .

وإنهم استأذنوا عياض بن غنم أن يسئوا الغارة على ميافارقين فأذن لهم . قال : فخرجوا بعد صلاة العصر وعبروا الدجلة ، وساروا وهم يتحدثون بحديث الفتوح ، وربما كان ذكرهم الرسول عليه السلام ، يحدثهم عن أمر كنوز كسرى وقيصر وهم يصلون عليه . قال : والأرض تطوى لهم تحت أرجلهم وأرجل نجبهم .

قال : فما مر هزيغ من الليل إلا وهم على باب ميافارقين ، فلما رأوا الصخور سبّحوا وهللوا وداروا بها ، إلى أن داروا من الجانب الشرقي ، ووقفوا عند برج يعرف ببرج^(٥) الشاة . فقال الحكم بن هشام . ودنا من الله تعالى لو فتحت لنا هذه المدينة بلا قتال ولا نزال ، فما استتم كلامه حتى انفتح لهم باب من جدار البرج ، فدخلوا على نجبهم يخترقون المدينة وأناخوا مطاياهم عند كنيسة القوم ، وتعرف ببيعة ماريّا . وكانت ليلة الأحد ، وليلة عيدهم الكبير وإنهم أتوا إلى البيعة للصلاة والقربان ، فوجدوا أصحاب رسول الله ﷺ على باب البيعة^(٦) .

(١) القعقاع بن أسيد : انظر اسد الغابة ٤/ ٢٠٧ .

(٢) صارم بن الأشعث : لم أعثر على ترجمة له .

(٣) نعمان بن عامر : هو النعمان بن عمرو من بني مالك بن النجار : انظر أسد الغابة ٥/ ٢٧ .

(٤) طلحة بن يعسوب : انظر أسد الغابة ٣/ ٦٣ .

(٥) برج الشاة : في الأصل برج الشاة وما أثبت من معجم البلدان أنه باب الشهوة وهو برج الملك ، وقد يكون ذلك تصحيفاً شاع ذكره ونقله / معجم البلدان ٥/ ٢٣٧ والأعلاق ٣/ ٢٦٧ .

(٦) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٨ .

فارتفعت الضجة وتسامع كلُّ من في المدينة . فأقبلوا يهرعون من كل جانب ومكان ، وأما ملكهم فسمع بخبر أصحاب رسول الله ﷺ فقال : فمن أين جئتم ؟ قالوا : من عسكرنا . قال : ومتى خرجتم ؟ قالوا : بعد صلاة العصر . قال : فمن فتح لكم الباب ؟ قالوا : فتح لنا من يده مقاليد الأمور . قال : أوَمَا تفزعون ممَّا ؟ قالوا : كيف نفزع من مخلوق لا يضرُّ ولا ينفع ؟ وهو تحت جَبْرِ أحكام القهر متى أَدَنَ له فعل ، وقد قال الله تعالى لنا في الكتاب المبين : ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ ^(١) .

فقال لهم اسلاغورس ^(٢) : إنَّ دينكم محدثٌ وديننا قديمٌ والقديم أفضل من المحدث .

فقال الحكم بن هشام : إذا كان ما قد ذكرت هو الحق ، فَفَضِّلْ إذا إبليس على آدم لأن إبليس أقدم ، فإنَّ طينته مشكاة زجاجة الله ، وصدره سراج توحيد الله . ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه ﴾ [الزمر : ٢٢] ، أشرق نور قلبه في وقت تجلّيه ، فاشتعل كلُّ يتقد ، وفيه نظر إبليس إليه ، وظنَّ أن قميص عبوديته أبيضٌ بالتوحيد ، وإذا هو أسودٌ بالشرك ، أبان بعث القديم نقدَ وقته بقوله ﴿ وكان من الكافرين ﴾ [البقرة : ٣٤] كان سائراً في أرض الشرك ، تحت ظلِّ ليل الجهل فما زال يقطع منازل العبادات بالمجاهدة ^(٣) وهو في عماء ، عن اتصال جمال المشاهدة ، ظهرت أنوار مصباح الإلهية من مشكاة الآدمية ، استنار له ، وجه صورة حاله فإذا هو قد

= انظر فتح ميفارقين في : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢/ ٥٣٤ .

(١) سورة آل عمران . الآية ١٧٥ .

(٢) اسلاغوروس بطريق ميفارقين كما ذكر الواقدي في حين أن اسمه عند ابن الأعمش الكوفي (فطوس) وأن الذي فتح ميفارقين مالك بن الأشتر النخعي ومعه جمع من المسلمين وأن فتحها جرى صلحاً على الجزية / الفتوح لابن الأعمش / ٢٥٨ / .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ٩٨ .

سُم من حرارة الشمس وأن عليه اللعنة وأما آدم فإنه لما طار من وكر بشريته بأجنحة همته في جو الطلب تعالى عن حضيض أرض إنسانيته ، حتى دنا من نيران المحن واقترب فاخترقت أنوار القسم بالله أجنحة اصطفائه ، وحصن قوادم ارتقائه فوق في جبال إبليس ، ﴿ وعصى آدم ربه ﴾ ، فلما تاه في أودية محبته ، ورمى غمامها بصواعقه ﴿ فغوى ﴾ [طه : ١٢١] ، فلما خرج إلى بيداء كبريائه استقبلته مواكب آلائه مبشراً باجتماعه . واصطفائه . ﴿ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ ^(١) [طه : ١٢٢] .

قال الراوي : فلما سمع إسلاغورس كلامهم أمرهم أن يدخلوا البيعة . فقال الحكم بن هشام : وما الذي نصنع ببيعتم ؟ قال : تذكرون فيها ربكم . قالوا : وما كنا لندعى إلى ذكر ربنا . قال : وإنما أراد البطريق دخولهم البيعة ، لأنه كان زخرفها وبنى فيها ، وصوّر صورة بيت المقدس والصخرة وقبة السلسلة ومحراب داود ومهد عيسى ، وأمه مريم ، وعلّق فيها الشُّتور والأطباق الذهب والفضة ^(٢) .

قال الراوي : فلما توسّطها أصحاب رسول الله ﷺ قرأ الحكم بن هشام : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ الآية ^(٣) . ثم رفع صوته ، وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال : فوالله لقد ماجت البيعة بالقوم ، وتزلزلت واصطفقت القناديل بعضها إلى بعض إعظاماً لقول : لا إله إلا الله . وكان للبيعة قسٌّ عالم بالأديان والشرائع ، وكان اسمه عبد المسيح فلما نظر ما حلّ بالبيعة والقناديل ، صلّب على وجهه وكذلك كل من في البيعة ، وحردوا ودمدموا وقالوا لصاحبهم : أيها الملك ما أردت إلا هلاكنا إذ أدخلت

(١) سورة طه . الآية ١٢٢ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٨/٢ .

(٣) سورة المائدة . الآية ١١٦ .

هؤلاء العرب إلينا ، ألا ترى كيف غضب المسيح علينا ، وأراد أن يقلب البيعة علينا . فقال البطريق : لا وحقَّ المسيح ، ما هو إلا أن وحدوا الله تعالى وذكروا نبيَّهم ، فظهر لهم معجزاتُ ما رأيتموه ، يا ويحكم إذا كان قد انفتح لهم باب سور المدينة ودخلوا إلينا . كيف لا تهتُرُّ البيعة وتصطفُقُ القناديل إذا دخلوا فيها ؟ وإن كنتم في شكٍ من القوم فناظروهم على دينهم .

قال الواقدي رحمه الله : وكان هذا البطريق خادماً لبتريك بيت المقدس . فكان يوم فتح بيت المقدس بها ، وشاهد عمر بن الخطاب رضي الله ، وسمع من البترك وهو يقول : هذا الذي يفتح الأرض ، ومحمد هو الذي بشر به المسيح ، ولقد سألوه لما رأى المسلمون يعظمون الصخرة ويقبلون القدم الذي بها^(١) .

فقال البترك : إني لأرى المسلمين يعظمون قدم المسيح ناموساً على الروم والنصارى . قال : أَوْ عُرِجَ به يعني محمداً ﷺ . فقال : نعم أُسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وصلى بالنبیین والملائكة مثنى مثنى . وكان قد استقر عنده الحق ، وإنما قال للقس : ناظرهم ليعرفَهُمْ فضل دينهم وأنهم على الحق ، ثم نظر الحكم بن هشام ، إلى صورة مريم والمسيح وهما جالسان تحت النخلة فقراً : ﴿ فناداهما من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ، فكلي واشربي وقري عيناً ﴾^(٢) إلى قوله : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ﴾^(٣) إلى قوله تعالى : ﴿ والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ﴾^(٤) .

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٨/٢ .

(٢) سورة مريم . الآية ٢٤ .

(٣) سورة مريم . الآية ٣٩ .

(٤) سورة مريم . الآية ٣٣ .

قال : فلما سمع القسُّ قول الحكم التفت إليه بغيظ وحنق وقال : ما هذا الكلام الذي نطقت به ؟ قال : هذا كلام ربنا جل جلاله الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ . الذي لا تفنى عجائبه ولا غرائب ولا تُبدلُ كلماته ولا تملُّ آياته . فقال القسُّ : ما معنى تفسير الذي ذكرت ؟ فقال الحكم بن هشام : إنما قول الله تعالى : إخباراً عن عيسى عليه السلام حيث قال : ﴿ إني عبد الله ﴾ فإنه فَإِنَّهُ يُعَلِّمُ الخلق أنه عبد الله ليس بولده^(١) ، جلَّ الواحد الصمد . وقوله : ﴿ آتاني الكتاب ﴾ حتى أعرف الأحكام ، وعَرَّفكم الحلال والحرام . وأما قوله : ﴿ وأوصاني بالصلاة ﴾ معناه أني عبدٌ مأمور بالطاعة والخدمة مثلكم ﴿ والزكاة ﴾ إن لله في مالي حق . وأما قوله : ﴿ والسلام عليَّ يوم ولدت ﴾ يعلمُ الناس أنه مولود ، والمولود لا يستحق أن يكون معبوداً . وأما قوله : ﴿ ويوم أموت ﴾ يعلمهم أنه يموت . ومن يموت لا يكون له العزَّة والجبروت . ومعنى قوله : ﴿ ويوم أبعثُ حياً ﴾ فيعلمهم أنه وإياهم يبعثون إلى القيامة ، موقف الحسرة والندامة ولو كانا إلهين ، لكان لهما إرادتان ووقع الخلف بينهما ، وترى الحكمة غير فاشية وعلى وحدانيته مشاهدته . قال : فلما سمع القسُّ هذا القول من الحكم بن هشام قال : متَّكم أنفسكم بالأباطيل وعَرَّقتكم في بحر الأضاليل وقلتم قولاً وتنسبوه إلى الله عز وجل . فقال الحكم بن هشام : الله يعلم من هو تائه في تيه المحال ، متَّبِع الكفر والضلال مشركٌ بالملك المتعال ، الذي لا سماء تُظَلُّه ولا أرض تُقَلُّه ، ولا نهار يَكُنُّه ، ولا ضياءُ يُظْهره ولا ظلام يستره ، ولا يقهره سلطان ، ولا يغيِّرُه زمان ولا ينوبه الحدثان ، كلُّ يوم هو في شأن ، أمالكم بصائر ؟ أما منكم من ينظر ويعتبر في قدرة القادر ، أما منكم من يعظ نفسه بذهاب النهار ؟ وإقبال الليل أما آن لكم أن تُنْزَّهُوه^(١) ؟ . أما آن لكم أن توحِّدوه ؟ أما سمعتم أن الذي

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٩٩/٢ .

تعبدونه وتوحدونه وتعظمونه ، يعني المسيح قد أقرَّ بالعبودية ؟ وذلَّ لعزِّ الربوبية . وقال : إني عبد الله ولقد بشرُ بنييَّا قبل مبعثه وعرفَ بني اسرائيل بقربه من الحق وكرامته ؟ أما سمعتم بمعجزاته ؟ أما ظهر لكم من دلالاته ؟ أما انشقَّ له القمر أما كلمهُ الضَّبُّ والشَّجر ؟ أما خاطبه البعير والحجر ؟ أما هو أطيبُ بيت في مُضَر^(١) ؟

قال الواقدي رحمه الله : فلما سمع القسُّ كلام الحكم بن هشام قال لأصحاب رسول الله ﷺ : أما والله ما في دينكم مراء ، وإنكم على الحق الواضح ولقد كنت أسلمت على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بيت المقدس ثم هربتُ إلى هذه البلاد وكان عليها ابن عمِّ لي ، فلما مات وُلِّيتُ الأمر بعده ورجعتُ إلى ديني الأول . فإن أنا رجعت إلى دينكم ، أيقبلني ربي على ما ارتكبت من المعاصي^(٢) ؟ فقال له الحكم بن هشام رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : « بأي شيء يكون ابن آدم فرحاً ؟ فقال قائل : بالأهل - فسكت ﷺ . فقال آخرُ : بقدوم الغائب على أهله . فسكت وسكت المسلمون فقال ﷺ : « لا يكون ابن آدم أشدَّ فرحاً منه إذا كان في مفازةً ومعه راحلته وعليها زاده وماؤه وحَدَوَاهُ ومنافعة ، فإذا كان في بعض المفازة اشتد عليه الحر فأوى إلى ظل فتزل عن راحلته وتوسد ذراعه فنام ثم انتبه وقد ذهب راحلته ، وعليها طعامه وشرابه وغذاؤه ومنافعه فانطلق في طلبها يميناً وشمالاً فلم يجدها ، فرجع إلى موضع راحلته ليموت فيه وقد أيقن بالهلاك فنام ثم انتبه فوجد راحلته كما هي ، وإذا هو براحلته عليها ماؤه وزاده وحدواه ومنافعه فأخذ عظاماً . ثم قال النبي ﷺ ، لله أشد فرحاً بتوبه عبده المؤمن من ذلك الرجل بتلك الراحلة » فلما سمع إسلاغورس كلامَ الحكم بن

(١) مضَر : هو مضَر بن نزار من ولد اسماعيل ابن ابراهيم عليهما السلام ، ومضَر شعب تنتسب إليه قبيلة قريش وغيرها / انظر : اللباب في تهذيب الأنساب ٣ / ٢٢٢ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢ / ٩٩ .

هشام دمعت عيناه وأخذهم إلى دار الإمارة ، فقال : بان الحق وظهر ثم أسلم وحسن إسلامه ودعا بغلمانه ومن يلوذ به فرضوا لأنفسهم ما رضي لنفسه ، ثم أحضر كل من في البلدة من المحتشمين وأخبرهم بإسلامه ، وقال لهم : إني أريد لكم ما أريد لنفسي ودين هؤلاء القوم يعلو ولا يعلى عليه ، فمن آمن منكم آمن ، ومن أبى فلنفسه ظلم ؟ وهؤلاء القوم قد نزلوا على آمد ، ولا بد لهم من ديار بكر جميعاً ، ومن خالف عليهم وعصى نهبوا بلده واستعبدوا أهله . وإن انتم سلمتم إلى هؤلاء أمتتكم على أنفسكم وبلادكم . فقالوا : أيها الصاحب أخرنا إلى ثلاثة أيام حتى نُدبَرَ أمراً .

قال الواقدي : فتركهم وانصرفوا من عنده . فلما كان من الليل مشى بعضهم إلى بعض وتحالفوا أن لا يُسلموا للعرب أبداً ، ولو هلكوا عن آخرهم ، وأضمرُوا أيضاً أن يقتلوا أصحاب رسول الله ﷺ . قال : فلما كان بعد ثلاثة أيام^(١) جمعهم البطريق فلم يجبه إلا القليل ، وأتته العين الصافية بما أضمر القوم وتحالفوا عليه فقبض على من قدم إلى دار إمارته ، وسمع أهل المدينة ، فدخلوا تحت السلاح وزحفوا إلى دار إمارته بأجمعهم فقاتل البطريق وغلمانه قتالاً شديداً ، ودافعوا عن أنفسهم ؛ فلما جن الليل خرج أصحاب رسول الله ﷺ من باب السر ، وقال لهم البطريق : انطلقوا إلى أصحابكم وحدّثوهم بأمرنا لعلهم ينصرونا فقال الحكم : نحن نفعل ذلك إن شاء الله تعالى . ثم ودّعوه وساروا فلما وصلوا إلى تل هنالك يسمى تل^(٢) الراهب سمعوا قعقة اللّجم ودوي الخيل ، فوقف الحكم بن هشام رحمه الله ومن

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ١٠٠/٢ .

وذكر ابن الأثير أن المسلمين قاتلوا أهل ميفارقين حتى طلبوا الصلح فصالحوهم على صلح الرها / الكامل في التاريخ ٥٣٤/٢ .

(٢) تل الراهب : هو موضع على نهر دجلة تحت ميفارقين يصب عنده وادي الرزم ولعله تل قافان القريب من ميفارقين / مراصد الاطلاع ١٠١٥/٣ .

معه ، وإذا خمسمائة فارس من العرب يقدمهم ضبّة ابن^(١) عديّ الضبيّ من بني ضبّة^(٢) وهو حليف لرسول الله ﷺ ، وكان السبب في قدومه ، أن عياض بن غنم رضي الله عنه . صلّى وزدّه ونام فرأى رسول الله ﷺ ، وهو يقص عليه قصة ميافارقين ، وما جرى له لصاحبها ويأمره بأن يُسير له كتيبة من المسلمين لنصرته ، فاستيقظ من نومه وجرّد من ساعته ضبة بن عدي ومعه خمسمائة فارس .

قال : انطلقوا إلى ميافارقين ، وانصروا صاحبها فإنه مؤمن بالله مُصدّق برسول الله ﷺ ، واعلموا أن الله تعالى يطوي لكم البعيد^(٣) ، ويُسهّل عليكم كلّ صعب شديد . فخرجوا من العسكر ، وقد مضى من الليل الثلث الأول . وطوى الله لهم البعيد ببركة رسول الله ﷺ . فالتقوا بالحكم بن هشام وأصحابه بالليل فسمي بتلّ الضبيّين^(٤) . فقال الحكم من تقدّم من بعدما سلّم عليهم . قال ضبة : بعثنا الأمير عياض بن غنم بأمر رسول الله ﷺ . قال : فعادوا وقصدوا باب السّر ، وطرقوه ، وإذا بالبطريق يقول : مرحباً بكم ، لبّيكم لبّيكم ، فقام وفتح الباب . فقالوا : من اعلمك بقدومنا . قال : المصطفى رأيتُه وأنا قد نمت من ضيق صدري ، بقتال أهل مدينتي فرأيت شخصه الكريم

-
- (١) ضبّة بن عدي الضبيّ : ضبم الضبي ، التاريخ الكبير للبخاري ٢/٢/٣٤٢ .
(٢) بنو ضبة : وينسبون إلى ضبة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر . وهم قبيلة كبيرة . وشاركت هذه القبيلة في فتوح الشام وفي وقعة الجمل بالعراق إلى جانب عائشة . / اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٢٦١ .
(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/١٠٠ / والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٥٣٤ .
ونجد في رواية الواقدي أن ضبة الضبي وعشيرته دخلوا ميافارقين منجدين لبطريقها اسلاغورس وفتحوا المدينة عنوة بالسيف . في حين أن المدينة فتحت صلحاً عند ابن الأعمش في فتوحة ، وفتحها هو مالك بن الأشتر / الفتوح لابن الأعمش ١/٢٥٨ .
(٤) تلّ الضبيّين : هو تلّ الراهب ويطلق عليه أيضاً تلّ فاقان وسمي باسم الضبيين الذي بعثهم عياض بن غنم إلى ميافارقين لفتحها / مراصد الاطلاع ٣/١٠١٥ .

وهو يبشرني بقدمكم فاستيقظت أنتظر قدومكم حتى من الله عليّ بكم .

قال الراوي : فلما حصلوا في دار الإمارة ، لبسوا وتدرّعوا وخرجوا إلى باب الدار إلى رحبة هناك واسعة ، كان يقف فيها خيل البطارقة لخدمة صاحبهم . فلما كان من الغد زحف أهل المدينة لقتال صاحبهم ، فوجدوا الخمسمائة فارس أصحاب رسول الله ﷺ . جند من حديد ، وصاح ضبه بن عدي والحكم بن هشام : يا أعداء الله وأعداء رسوله حلّ بكم البوار ، وأحاطت بكم الأقدار من أصحاب محمد المختار ﷺ ، ووضعوا السيوف فيهم فولوا إلى منازلهم^(١) ، وتحصّنوا بديارهم ، لما نظروا إلى ما لا طاقة لهم بدفاعه . وعلموا أنهم قد أخطأوا على أنفسهم فصاحوا (لاغون ، لاغون) فأمتنهم ضبة ونادى مناديه من خرج إلينا فهو آمن ولكم ذمام الله وذمام رسوله . قال : فوثقوا بقولهم وخرجوا إليهم . فقال لهم ضبة بن عدي : قد أمتناكم على أنفسكم ولسنا نأخذ منكم شيئا إلا السلاح .

فأتوا بأسلحتهم وسلّموها لأصحاب رسول الله ﷺ . وقالوا : إذا أمتتمونا وفيتم لنا بعهدكم لنا ، وإننا لا نريد بدينكم بدلا . ثم أسلموا إلا القليل وكانت بيعتهم معظمة فقسم المسلمون البيعة بينهم وأخذ النصارى الجانب الشرقي ، وأخذ المسلمون الجانب الغربي . وأقام فيها ضبة بعد الفتح ثلاثة أيام ، وترك فيها الحكم بن هشام لأجل عمارة الجامع والمساجد ومعه أصحابه العشرة . يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام .

ورجع ضبة إلى عياض بن غنم ، وحذّثه بما كان من أمر ميافارقين . وكيف عفا عنهم ولم يأخذ منهم إلا السلاح . فقال عياض : لقد وفقك الله يا ابن عدي . ولقد احتوت محبتنا في قلوب أهل هذه البلدة بصنيعك لهم .

(١) فتوح الشام للواقدي ١٠٠/٢ .
والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤/٢ .

فتح مدينة آمد

قال الواقدي رحمه الله : بلغني أنهم أقاموا عليها^(١) خمسة أشهر ، وكان خالد رضي الله عنه كما ذكرنا من ناحية باب الماء وكان كل يوم يركب في جيشه وهو جيش الزحف يدور بالمدينة^(٢) ، فإذا جاء الليل ينصرف إلى نحو الباب ، ويصلي بأصحابه ويدخل قبته ليفطر وكان غلامه هماماً يخبز له ثلاثة أقراص من شعير ويعزلها في القبة ، فإذا فرغ خالد من صلاة المغرب ، تنقّل بركعات بين العشاءين وهي صلاة الغفلة ، ثم يدخل يطلب إفطاره ، فلم يصبه فأقام على ذلك ثلاثة أيام متوالية ، فسأل غلامه هماماً فحدثه بالأمر أنه كل ليلة يعزل له ثلاثة أقراص من شعير . فقال له خالد إني لم أجد شيئاً غير ثمرات عندي أتبلغ بها وإلا كنت ضعفت لقلة الأكل وقد قال الله تعالى : ﴿ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ﴾^(٣) فقال : والله يا مولاي ما عندي خبز . فلما كان من الليلة الرابعة . ترك همام زاد خالد في القبة على رسم العادة . وجلس بالبعد لينظر من يأكله . وإذا بكلب قد أقبل من نحو المدينة ، ودخل القبة وأخذ الزاد وخرج به في فمه ، فقام همام فتبعه وإذا به قد دخل المدينة من موضع يخرج منه الماء المتسرب من جانب السور .

قال : فتركه همام وعاد . فلما فرغ خالد من صلاته . قال له همام : يا مولاي جرى من الأمر كذا وكذا . فقال خالد : يا همام أرني الموضع . قال : فإراه الموضع فقال خالد : الله أكبر فتح الله ونصر . ثم عاد إلى عسكره ودعا بأصحابه وقال لهم : جرى من الأمر كذا وكذا^(٤) ، وقد عوّلت أن أدخل

-
- (١) أقاموا على حصن مدينة آمد .
(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٠/٢ /والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٤/٢ /والفتوح ، / لابن الأعمش الكوفي ٢٥٨/١ .
(٣) سورة الأنبياء . الآية ٨ .
(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠١/٢ .

المدينة من مَسْرَب الماء وأريد منكم مائة رجل يَهْبُونَ أَنْفُسَهُمْ لله ولرسوله ، ويعلمون أن الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار وفاء لمن أخذ منها ، ودار رجاء لمن تزوّد منها ، ودار نجاة لمن فهم عنها . الدنيا مهبط وحي الله ، ومُصَلَّى ملائكته ومسجد أحبّابه ومتجر أوليائه ، فأنجحوا تربحوا الرحمة ، وتفوزوا بالجنة رحمتنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم ، فمن أراد الزاد من هذه الدار الفانية إلى يوم حشره ، فليبادر إلى التجارة الرَّابحة ولا يغرّه طول الأجل ، فيخلد إلى التقصير في العمل ، ألا وإني قد بعث نفسي من الله عز وجل . ثم قرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾^(١) فمن باع فليبادر ولا يخاف مما يحاذر ، فالموعد بيننا عَرَصَات القيامة ، وموقف الحسرة والندامة ، فأتبعوا سلفكم الطاهر ، وما كانوا عليه من الحق الظاهر والدين الباهر ، قوموا على بركة الله وعونه . ثم انتخب مائة رجل من قومه وتركهم يلبسون السلاح ، ثم ركب وسار إلى عياض بن غنم ، فأعلمه بما قد عزم عليه من الدخول في السَّرْب . وقال له : كن على أهبة إذا سمعت التكبير . فقال له : أعانك الله وظفرك ، سر على بركة الله وعونه^(٢) .

قال : فودعه خالد ورجع إلى أصحابه ، فوجدهم قد أخذوا على أنفسهم ، فسار أمامهم وهم رجاله ، إلى أن أتوا إلى باب السَّرْب ، وذلك عندما تهوّر الليل ، وأمر الله عز وجل سلطان النوم فاستولى على من كان على السور من الحرس لأن الله تعالى إذا أراد أمراً هياً أسبابه ، فأول من دخل في السَّرْب خالد رضي الله عنه ، وتبعه عامر بن الأخوص^(٣) ، وحذيفة بن^(٤)

(١) سورة التوبة . آية ١١١ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠١/٢ .

(٣) عامر بن الأخوص : انظر فتوح الشام للواقدي ١٠١/٢ .

(٤) حذيفة بن ثابت : انظر أسد الغابة ٣٨٨/١ .

ثابت ، وعمرانُ ابن بشر وسَلَامَة^(١) بن يَعْسُوب وماجدُ بن طُلُحَة^(٢) ، والمثنى بن عاصم^(٣) ، وسالم بن عدي^(٤) ، ومالك^(٥) بن حَفْص ، وخطابُ بن جابر^(٦) ، وأَفْلَحُ بن سَاعِدَة^(٧) ، ومثل هؤلاء السادة رضي الله عنهم أجمعين . ما منهم إلا من تسرب ، ومن كان منهم جسيماً لم يقدر على العبور لضيق الموضع رجع متأسفاً على الشهادة ، ويدخل غيره حتى حصل في المدينة ثلاثون رجلاً ولم يصحبهم ، من العُدَّة غير السُّيُوف والخناجر ، وكان كل واحدٍ منهم يُناوِلُ درعه أو يبيضته أو سيفه لمن دخل قبله ، فلما تكامل القوم تدرَّعُوا واختزَمُوا وكَبَّرُوا تكبيرة واحدة ، فارتجَّت لهم المدينة ، واستيقظ الراقد وثار القاعد ، ولزموا مطالع السور ولم يدعوا أحداً ينزل ، وأخذتهم الحجارة من كل مكان ، وتوكلَّ عَشْرَة من أصحاب خالد^(٨) بالباب فكسروه ، وأزالوا الأقفال وقطعوا السلاسل^(٩) وفتحوا الباب ، وكان عياض بن غنم لَمَّا فارقه خالد جاء ووقف على الباب ، وإذا به قد فتحه أصحاب خالد فدخلوا قبل استيقاظ أهل البلد ، وإذا بأهل البلد يهرعون إلى نحو السور ، والمسلمون لا قُوهم وكان الليل قد غَسَقَ ، والظلامُ قد اتَّسَقَ والقُتَامُ قد أَطْبَقَ ، وقد بَعُدَ انفلاقُ الفلق والنجومُ كأنها محدقة إلى المخلوقين ، والرجال تتضارب بسيف المحترقين ، فهذا قد قام من مرقده ، والسيف متطير ناعم يده أو رأسه عن

-
- (١) سلامة بن يعسوب : انظر فتوح الشام للواقدي ١٠١/٢ .
(٢) ماجد بن طلحة : انظر فتوح الشام للواقدي ١٠١/٢ .
(٣) المثنى بن عاصم : انظر فتوح الشام للواقدي ١٠١/٢ .
(٤) سالم بن عدي : انظر أسد الغابة ٢٤٨/٢ .
(٥) مالك بن حفص : لم أعثر له على ترجمة .
(٦) خطاب بن جابر : لم أعثر له على ترجمة .
(٧) أفلح بن ساعدة : انظر الاصابة ٥٧/١ .
(٨) خالد بن الوليد : انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٩٤/٧ وأعلام النبلاء ١٠٣/١ .
(٩) انظر : فتوح الشام للواقدي ١٠١/٢ .

جَسَدِهِ ، وهذا قد قام عن أولاده ، والسيف قد نزل من عاتقه إلى فؤاده ،
وخالد يَكُرُّ ، وعياض يرتجز ويقول : انقطعت والله بهم الأسباب ، وجار
عليهم القضاء الغلاب ، وأحاط بهم العذاب ، دونكم وكَفَرَةُ الْكِتَابِ ، اضرَبُوا
الْقُلُلَ ، واستعينُوا بِالرَّبِّ عِزَّ وَجَلٍّ ، ولا تستشعروا الْمَلَلَ واخْشَوْا الزَّلَلَ
واستعملُوا السُّيُوفَ وبادِرُوا الْخُنُوفَ ، هذا خالد قد سرح ، وفي ميدان الحرب
قد مرَّح ، ولقِيتال الكفار فرح . قال : ولم تزل الأقبال تُجرح والأبطال تُطرح ،
والصُّدُور تُشرح ، والتُّحُور تذيب والعواتق تُقطع والشُّجْعان تُصرع والأنوف
تُجذع ، والصُّوارم في الرقاب ترتع والسيف لا يرفع والقلب يجزع والجبان
يفزع ، والقوارع تفرع والأقدار تمنع ، والعينُ من مخافة الأجل تدمع ،
والأضلاع من رجفات الأكباد تتضلع ، والرؤوس من وجل النفوس تتصدع
والمرهفات في حُنْدُسٍ معسكر غَسَقٍ مُخْلَوْلِكَ اللَّيْلِ تلمع ، فلا شافع يشفع ،
ولا مانع يمنع ، ولا دافع يدفع ولا داع يسمع ، ولا قلبُ يرقُّ ولا يخشع ،
حتى رأيت اللَّيْلَ على الرحيل أزمع والصَّبَّاحُ قد عَوَّلَ أن يطلع ، وخالد يصيح
صياح الشَّمْعَمَعِ^(١) ، حتى طوى الليل مطارقَ الدُّجَى ، ووقعت العين على
العين عند انتشار رايات الضياء ونظر أهل (آمد) إلى ما حلَّ بهم ونزل عليهم
فأقبلوا إلى دار الإمارة يطلبون الملكة مريم . فلم يجدوا لها خبراً ولا وقفوا لها
على أثر ، قال : وكان السبب في ذلك أنها لما علمت أن أصحاب النبي ﷺ
حَصَلُوا معها في المدينة وعلمت أنها لا تخلص من أيديهم ، فأخذت مآلها
وخيَلَهَا وِبْغَالَهَا ونزلت بهم في سرب مصنوع في بيعة مرقوما^(٢) . وهو سرب
عظيم تحت المَدِينَةِ إلى باب^(٣) الجبل فخرجت من صَوْبِ بلاد الرُّوم .

(١) الشَّمْعَمَع : هو الطَّرِبُ .

(٢) بيعة مرقوما : وهي بيعة آمد الكبرى وفيها سرداب ينتهي إلى بلاد الروم / الأعلام
الخطيرة ٢/٢٥٩ .

(٣) باب الجبل : هو أحد أبواب آمد / الأعلام الخطيرة ٣/ ٢٥٤ ، ٣٠٥ .

قال الواقدي رحمه الله : ولما علم أهل آمد بهروب الملكة ، أذعنوا بالنداء ونادوا (لاغون ، لاغون) فأمر عياض برفع السيف ، وأمر أهل المدينة بالاجتماع إليه .

فقال لهم : ارموا سلاحكم ، فرموا سلاحهم بين يدي عياض بن غنم رضي الله عنه وكان ذلك الجمعُ في ميدان المدينة فلما اجتمعوا إليه قال لهم^(١) : إن الله سبحانه وتعالى قد نصرنا عليكم وظفرنا بكم ، ولولا أن الله تعالى جعل نبينا نبي الرحمة ، وأسكن الرحمة في قلوب المؤمنين ، لأفنيتمكم بالسيف عن آخركم ولكن قد أمرنا ربنا بكظم الغيظ والعفو . فقال تعالى : ﴿ والكاذمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٣٤] وقد أصبحتم الآن في قبضتنا ، وأموالكم وأولادكم حلال لنا ، فمن أسلم منكم تركناه ، وأعطيناه من ماله ما يقوم بأوده وأهله ، ومن أبى منكم حكمنا عليه بما أردنا . فقام إلى عياض شيوخ القوم وكبرائهم وقالوا : أيها الأمير إنما نصركم الله بحسن صبركم ، وصدق نيتكم والعدل ، والنصفة في الأحكام وطيب المعاشرة . وآلان نحن أصبحنا في قبضتكم وتحت قهركم فاصنعوا معنا ما الله يُجَازِيكُمْ به يوم القيامة .

قال الراوي رحمه الله : وكان بآمد رأسُ جالوت اليهودي ، وكان عالماً في دين اليهودية والنصرانية ، ويزعم أنه من أولاد داود عليه السلام . وكانت بنو إسرائيل يقصدونه ويُعظّمونه ويأتونه بالهدايا والتُّحف . ولما دخل عياض آمد . وجمع أهلها إلى الميدان ، وتكلم المشايخ بما تكلموا قام هو وتكلّم في وسط القوم ، وكان اسمه ميثا بن حُنيّنا ، فتقدم إلى عياض وسلّم عليه وعرفه بمكانه ، وأنهُ مقدم بني إسرائيل من ولد داود عليه السلام ، وقال : إن الله

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠١/٢ .
وابن الأعمش الكوفي / الفتوح ٢٥٨/١ .

سبحانه وتعالى أوحى إلى داود عليه السلام^(١) في الزبور ، « يا داود اسمع مني والحق أقول : من لقيني وهو خائف منِّي أَمِنْتُهُ عِقَابِي يا داود اسمع مني والحق أقول : من لقيني بحسنة واحدة أدخلته جنتي . قال داود وما الحسنة . قال : فرَّج عن مكروب ولو بثمره واحدة . يا داود إني أنا الله لا إله إلا أنا ملك الملوك عليهم رحمة ، وإيَّما قوم كانوا على المعصية ، جَعَلْتُ الملوك عليهم نقمة ، فلا تُشْغِلُوا أَنْفُسَكُمْ بِسَبِّ الملوك ، وتوبوا إِلَيَّ أَعْطُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكُمْ » وقد تبنا إلى الله من مخالفاتكم وعصيانكم ، وندمنا على ما كان منَّا إليكم من غلق الأبواب في وجوهكم واستحقارنا لكم ومع ذلك فإن الله تعالى أعطاكم النصر علينا وظفركم بنا ، وأنتم أصحاب نبي الرحمة وقد قال الله تعالى : خَلَقْتُ الرحمة وأسكنتها في قلوب المؤمنين وقد فَضَّلَكُمْ الله علينا وعلى سائر الأمم ، وقد أنزل في صحف إبراهيم وموسى يقول : « إِنِّي أبعث في آخر الزمان نبياً أمياً ، أجعل أمته أفضل الأمم وأسكنت الرحمة في قلوبهم وبهم أباهي ملائكتي يوم القيامة ، أبعثهم عُزْراً محجلين من آثار الوضوء » .

وإن داود عليه السلام لما أصاب الذَّنْبَ وتفرَّق عنه الوحش والطير ، خرج يوماً إلى فلاة من الأرض ، وقال : إلهي ما هذه الوحشة التي بيني وبينك وكنت إذا تَلَوْتُ الزُّبُورَ سكن الماء الجاري عن جريه ، وأنس الوحش إلى محرابي ، وأظلَّنِي الطَّيْرُ^(١) ؟

قال : يا داود تلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية ، يا داود أطعنا فأطعناك وعصيتنا فأمهلناك ، وإن رجعت إلى ما كان منك إلينا قبلنا . فقال : إلهي بحق النبي العربي الذي تبعته في آخر الزمان ، إلَّا غفرت لي .

فأجاب الله دعوته وقبل توبته . فلما سمع عياض رضي الله عنه كلامه . قال : إن الله عَفُوٌّ يحب العفو وقد عفونا عنكم . قال أهل المدينة : فإذا عفوت

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٢/٢ .

عَنَّا فنحن إذا نرجع إلى دينك ، فأسلم أكثرهم ، وضرب الجزية على من لم
يسلم ، من العام القابل وأخذ سلاحهم .

وحملوا له شطر أموالهم فقبلها ممن أسلم ، وممن بقي على دينه ، وبنى
الجامع على ثلث بيعتهم الكبرى وهي توما ، وأقام فيها اثني عشر يوماً ، وولى
عليها صمصعة^(١) بن صوحان العبدي ومعه خمسمائة فارس من العرب .
وارتحل عياض إلى الحصون .

٣ - فتح الحصون وهي :

الجبابرة^(٢) وآكل^(٣) واليمانية^(٤) . فنقذ معاذاً إلى اليمانية ، فأسلم أهلها ،
ونقذ النعمان بن المقرن إلى آكل فأسلم أهلها ، ونقذ حذيفة إلى نُورِس^(٥) .
فأسلم أهلها فسميت اليمانية ، إذ فتحت على يد حذيفة بن اليمان . ومضى
عياض إلى حاني^(٦) ففتحها أيضاً صلحاً . ونزل إليه أهل جبل جور^(٧) ،

-
- (١) صمصعة بن صوحان العبدي ، انظر فتوح الشام ١٠٢/٢ وكذلك رواية داود .
 - (٢) قلعة الجبابرة : إحدى قلاع ديار بكر الحصينة / الأعلام الخطيرة ٢٤٦/٣ .
 - (٣) قلعة أكل : قلعة حصينة عالية تقع في شمال ديار بكر وتتبع لماردين ، بناها زعيم قبيلة بني كلاب مرداس ابن ادريس / معجم البلدان ١/ ٢١٠ الأعلام الخطيرة ٢٤٦/٣ .
 - (٤) قلعة اليمانية : قلعة هامة فتحها حذيفة بن اليمان فسميت باسمه / الأعلام الخطيرة ٢٤٨/٣ .
 - (٥) قلعة نُورِس : قلعة هامة فتحها حذيفة بن اليمان فسميت فيما بعد باليمانية / الأعلام الخطيرة ٢٤٨/٣ .
 - (٦) حاني : قلعة هامة في ديار بكر / الأعلام الخطيرة ٢٤٧/٣ .
 - (٧) جبل جور : أحد الحصون المانعة في ديار بكر ، الأعلام الخطيرة ٢٥١/٣ .

والسَّيَّوان^(١) ، وذو القرض^(٢) ، وأخذوا من المسلمين عهداً و صلحاً على ما اتَّفَقَ بينهم عليه .

وارتحل عنهم . حتى نزل على الهتَّاخ فأبى أهله أن يُسلِّموا ، وعَوَّلُوا على القتال ، ونصب أهل الحصن العَرَّادات والمنجنِقات لرمي المسلمين^(٣) .

٤ - فتح الهتَّاخ^(٤)

ونظر عياض إلى ذلك فعظم عليه وقال : هذا حصنٌ مانع ومتى تركناه ومضينا عنه أغاروا على البلاد ، وأذا قُوامن دخل في صلح المسلمين شراً وقد لَزِمْنَا من أهل الذمة وممَّن أسلم مَلَزَمٌ لا محيدَ عنه . قال خالد رضي الله عنه : فانزِلْ بنا عليه ولعل في العَرَضِيَّات ما لَمْ يَكُنْ في الحساب . فقال عياض : على الله توكلنا . قال الراوي : وزحف عياض لقتال أهل الهتَّاخ وعاد على المسلمين من النَّبل وحجارة المنجنِيق وأقام عياض ينتظر ما يفتح الله به من تدبيره في خلقه . قال الراوي رحمه الله : وكان صاحب الهتَّاخ شيطاناً مريداً ، وجَبَّاراً عنيداً واسمه يانِس ابن سُلَيْموس .

وكان قد تزوج بمَيْرُونة ابنة أرمويل بن كَلُوص صاحب (قَلْب)^(٥) والحصن^(٦) الجديد

(١) السَّيَّوان : أحد الحصون المانعة في ديار بكر ، قرب ماردين / الأعلام ٣/ ٤٣٥ ، ٤٤٠ .

(٢) ذو القرض : تصنيف ل حصن ذي القرنين في ديار بكر / الأعلام الخطيرة ٣/ ٢٥١ .

(٣) الهتَّاخ : قلعة حصينة قرب ميفارقين في ديار بكر ، انظر : اللؤلؤ المنشور ٥٢٠ / .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٢ .

(٥) قلب : أحد الحصون المنيعه في ديار بكر / الأعلام الخطيرة ٣/ ٢٥١ .

(٦) الحصن الجديد : أحد الحصون المنيعه في ديار بكر / الأعلام الخطيرة ٣/ ٢٥١ .

وشاقاً^(١) ودب^(٢) (الكلاب) وكانت قد زُفَّت عليه ودخل بها ، وأقامت عنده سنة وإنها مضت إلى زيارة أبيها وأُمها ، وأقامت عندهما شهراً ، فلما هَمَّت بالرجوع إلى الهتاخ إلى بعلها ، جاءها الخبر أن المسلمين قد نزلوا على الهتاخ فلم تبرح ، وكان يانس يُحِبُّها ولا يصبر عنها ساعة واحدة ، فلما رأى المسلمين قد نزلوا عليه علم أنه لا يقدر يجتمع بالجارية مبرونة ، واتفق رايه على الصُّلح حيلة ومكرأ على المسلمين ، حتى تحصل زوجته عنده ولا يُعطي طاعةً لأحد . فبعث إلى عياض يقول له : اعلم أنك لو أقمت علينا مدة عمرك ما قدرت علينا^(٣) ، ولكن نصالحك سنة كاملة شمسية قمرية ، فإن أنت فتحت ما بقي من ديار بكر وديار ارمينية فنحن نرجع إلى طاعتكم ، وإن لم تقدرُوا على فتح البلاد ، فلا طاعة لكم علينا ، ونَقْدَ رسولاً بهذا الخطاب إلى عياض ، وكان الرسول من متنصرة العرب من ربيعة الفرس ، وكان مدبّر بلاد الهتاخ وجماعته وبني عمه ، وكان اسمه مُرْهَفُ بن واقد ، وكان قلبه لبني عمه العرب أكثر مما هو إلى الروم ، فلما أوصل الرسالة إلى عياض أجابه إلى الصلح لثلا يطول أمره على الهتاخ ، ويطلب البلاد الآهلة بالخلق والجيوش ، فلما هَمَّ مُرْهَفُ بالرجوع قال العليج قد اتَّفَقَ رأيُه على كذا وكذا ، فإن كنت تصالحه على أنك ترحل وتكمن لزوجته في الطريق ، وتأخذها ومن معها فافعل فإنه يُسَلِّمُ إليك . فقال عياض : ما كُنَّا نقول قولاً ولا نفي به . ولعل الله ينظر إلى صدق نياتنا فيفتح لنا .

قال : حدثني عبد الملك بن عبد الله بن مالك السعدي ، قال : أخبرنا موسى بن أبي القاسم بن عبد ربه قال : حدثني الأشعث بن مالك عن أبي يحيى

(١) شاقا : أحد الحصون المنيعه في ديار بكر / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٢٥١ .

(٢) دب الكلاب : بلدة تقع عند مخرج نهر جلاب في ديار بكر وحالياً تقع في تركيا / معجم البلدان ٢/ ١٤٩ .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٢ .

عن أبي عازم الخولاني ، قال : حدثني جدي بشر بن عامر وكان ممن حضر فتوح ديار بكر وديار ربيعة ، قال : بينما مُرْهَفُ بْنُ وَاقِدٍ يُحَدِّثُ الْأَمِيرَ عِيَاضَ بِحَدِيثِ يَانَسَ بْنِ سَيْلَمُوسَ^(١) ، وَإِذَا يَغْبِرَةُ قَدْ أَقْبَلَتْ . فَقَالَ عِيَاضُ لِمَيْسِرَةَ بْنِ مَسْرُوقٍ^(٢) : اركب وانظر لنا ما تحت هذه الغبرة ، فركب ميسرة في رجال من المهاجرين والأنصار ، وغاب هو ومن معه غير بعيد وإذا بهم قد عادوا وميسرة يقول : أبشر أيها الأمير بالفتح . قال : ما الخبر يا ابن مسروق قال : أيها الأمير هذا قَيْسُ بْنُ هُبَيْرَةَ^(٣) المازني قد أغار على هذه الأرض ، وقد أتى بالأموال والرجال والغنائم والنساء والأطفال والجواري والأسارى . قال : فظهر البشر على أسارى وجهه رضي الله عنه ، وبقي يتطاول إلى قدوم قيس بن هبيرة ، وإذا هو قد أقبل وترجل وسلّم على عياض وعلى المسلمين . وعرض عليه الأموال وما جاء به . ومرهف بن واقد المتنصر وافف يتأملهم وينظر إليهم ، إلى أن قدمت جارية رومية ، تخجل الشمس من بهائها وعليها زِيٌّ الملوك فأطرق المسلمون إلى الأرض ، واستعملوا الأدب مع الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾^(٤) فلما نظر إليها مرهف قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ . دينكم حقّ وقولكم صدق . فعندها قال عياض : ما لها أيها الرجل قال : هذه والله امرأة يانس صاحب الهتّاخ قد طرحها الله على أيديكم . فسجد عياض لله شكراً لله تعالى^(٥) ، فلما رفع رأسه قرا : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٢/٢ .

(٢) ميسرة بن مسروق العبسي : البلاذري فتوح البلدان ص ١٦٨ / وابن سعد طبقات ٢٩٥/١ .

(٣) قيس بن هبيرة المازني : انظر أسد الغابة ٢٢٩/٤ .

(٤) سورة النور الآية ٣٠ .

(٥) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٣/٢ .

يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴿١﴾ .

قال الواقدي رحمه الله : وكانت ميرونة قد خرجت من حصن قلب^(٢) إلى زيارة أهل لها بالحصن الجديد ومعها جماعة من بنات البطارقة في صحبتها مُرافقة لها ، فاتفق أن قيس بن هبيرة أغار على تلك الأرض لأمرٍ يريد أن يُتممه الله عز وجل فأخذها ومن معها وأتى بالجميع إلى عياض بن غنم رضي الله عنه .

قال الراوي : وأسلم مرهف بن واقد ، فقال له عياض : اتق الله وكن منه على حذر وإياك أن تغترّ بإمهاله لك ، فإن الله من عادته أنه لا يعجلَ على من عصاه ، وكن شاكراً في السرِّ والعلانية ، وعظ نفسك بما رأيت في يومك هذا من لطف الله بنا وتيسيره لنا وما قد شملنا من بركة نبينا ﷺ ، ومن ليس له واعظ من نفسه فليس تنفعه الموعظة .

قال الواقدي رحمه الله^(٣) :

وليس لمن لا يعدل النفس رادعُ وإن قالَ في يومٍ فأكثرَ عاذل إذا ما أراد المرءُ لم يكُ طاهراً فهيهات لا يُثقيه بالماء غاسلُ ثم قال : أيها الناس قال ربكم عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾^(٤) . وقال : اصبروا عند المصائب وصابروا على الصلوات ، ورابطوا أعداء الله في سبيل الله^(٥) ، واعلموا أنَّ أصول الشر ثلاثة وفروعه ستة ، فأما أصوله الثلاثة : الحرصُ

(١) سورة الطلاق . الآية ٢ / .

(٢) حصن قلب : من حصون ديار بكر الحصينة / فتوح الشام ١٠٦/٢ ، وشرف نامه ٢٦٢/١ .

(٣) البيتان في فتوح الشام للواقدي ١٠٦/٢ .

(٤) سورة آل عمران . الآية ٢٠٠ / .

(٥) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٣/٢ .

والكِبَرُ والحسد ؛ فالحرصُ أخرج آدم من الجنة ، وبالحسد قتل ابن آدم أخاه ،
والكِبَرُ منع إبليس ان يسجد لآدم .

وفروعه الستة : حُبُّ الدنيا ، وحُبُّ الرئاسة ، وحُبُّ النساء ، وحُبُّ
الشَّيْبِ وحُبُّ الراحة ، وحُبُّ المال . ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« أوحى ^(١) الله تعالى إلى داود عليه السلام ، يا داود تُريدُ وأريد ، فإن تركتَ
ما تُريدَ لِمَا أريدُ أعطيتك ما تريد ، وإن لم تترك ما تريد أتعبتُكَ فيما تريد
ولا يكون إلا ما أريد » . وإنما ضربت لكم هذه الأمثال ، لتتقوا الله حقَّ
تقَّاته . ثم تلا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تَقَاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم
مسلمون ﴾ ^(٢) . ثم التفت إلى مُرهف بن واقد وقال : ارجع إلى صاحب هذا
الحصن واكتب إسلامك وأخبره بما رأيت من أسر أهله ، واستعمل النصيحة
للمسلمين ، فإنما أساس ديننا النصيحة ، بعضنا لبعضٍ ولمن هو من أهل
ملَّتنا ، ولمن يريد أن يتبع شريعتنا ، ومن غشنا فليس منا . وقل له : إن أراد
الصلح عليه أن يُسلمَ لنا هذه القلعة ومهما أراد امتثلناه . قال : فرجع مرهف
إلى يانس ، وحَدَّثه بما رأى وعائِنَ من أسر ميرونة . قال : فعظم عليه وكبر
لديه ^(٣) ، وقال لِمُرْهَفٍ : ما الَّذي رأيت من الرأي ؟ فقال له مُرهَفٌ : اعلم
أيها الصاحب أن هؤلاء القوم ، ما قالوا قولاً إلا وفَّوا به ، وبذلك نصرهم
الحق ، وأرى لك من الرأي أن تسلِّمَ الحصن إلى القوم ، ويُسلمُوا لك زوجتك
وجميع مالك ومهما أردت ، وأنا الضَّامن لك بذلك .

فقال يانس لمرهف : انزل إليهم واثني منهم رجالٍ يحلفون لي على
ما أريد وأشترط ولا تأتني منهم إلا بمن يُقبِلُ قوله ، ويُعرفُ فضلُهُ ، وأريد
منهم عشرة حتى أستوثق لنفسي منهم ، ولعلَّ الرجل الذي شاع ذكرُهُ بالشَّجاعة

(١) انظر الحديث في : كنز العمال ٣/ ٦٢١٥ .

(٢) سورة آل عمران . الآية ١٠٢ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٣ .

وهو الذي فتح الشام يعني خالد بن الوليد منهم . وإنما أراد الملعون ذلك حتى يقبض عليهم . فقال مرهف : سأفعل ذلك وأجهدُ إلا إن امتنع القوم .

فقال : ولقد بلغني أن اللعين أراد أن يحصلَ العشرةُ عنده ، ثم يمسكهم رهائن إلى أن يسلمُوا له زوجته . فقال : فنزل مُرهفٌ إلى عياض وحدثه بما قال له العليج . فقال له عياض : يا بن واقد إنه يريد أن يخذعنا ، ونحن جُرثومةُ الخداع والمكر والحيل ، وإنِّي أرجو أنَّ وبَالَ خديعتِهِ ترجعُ عليه ومقبلُهُ إليه . ثم قرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(١) فقال خالد : دعنا أيها الأمير حتى نصعدَ إليه والله الموفق . فقال عياض : اغزِم على بركة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فنهض خالد^(٢) والمِقْدَادُ ، وعَمَّارُ^(٣) وسعيد^(٤) بن زيد ، وعمرو بن معدي كرب^(٥) ، والمسيب بن نجبة^(٦) ، وقيس بن هبيرة وميسرة بن مسروق ، وضرار بن الأزور وعبد الرحمن^(٧) بن أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين ، وساروا ومرهف يقدمهم إلى أن أتوا باب القلعة ، وقد رتبت الغلمان في دهاليز القلعة ، وأمرهم أن يأخذوا لأمة حريهم ، ففعلوا ذلك إلا خالداً وضراراً وعبد الرحمن ، قالوا : وما كنا نسلّم لغيرنا عزّاً ، إن أردنا أن ندخل إليه بُعدتنا ، وإلا رجعنا من حيث جئنا .

(١) سورة يونس الآية ٨١ / .

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٩٤/٧ ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١٠٣/١ .

(٣) عمار بن ياسر : الطبقات لابن سعد ٢٥٤/٣ وأسد الغابة ٤٣/٤ .

(٤) سعيد بن زيد : انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٤٦/٢ ، وذيول تاريخ الطبري ص ٥١٣ .

(٥) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٣/٢ / .

(٦) المسيب بن نجبة : بن ربيعة الفزاري ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢١٦/٦ / .

(٧) عبد الرحمن بن أبي بكر : السيرة النبوية لابن هشام ص ٥٣٨ ومختصر تاريخ دمشق ١٨٩/١٨ / .

فدخل مرهف وقال : أيها الأمير ما سبقت لهؤلاء القوم سابقة أن يغدروا ولا يمكروا ، وأيضاً إن منهم ثلاثة بالعدة ، ما الذي يقدرُونَ عليه ويصلُونَ إليه ؟ دعهم يدخلُونَ كيف شاءوا ، فلو أنهم نار ما أحرقوا ، وأيضاً فلا تريهم الجزع فيطمعوا . فقال : وحق المسيح لقد صدقت . دعهم يدخلوا كلهم بعددهم ، حتى يعلموا أننا لا نخاف منهم ولا نرهب ، وأيضاً لا تنفر قلوبهم منا ، فلا يقعون في قبضتنا .

قال : فخرج مرهف وقال للحجاب والغلمان : رُدُّوا عليهم لأمة حربهم ، فإننا نبغي الصلح ولا نبغي المعاندة . قال : فردوا عليهم لأمة حربهم وأسلحتهم .

قال : وتوسَّطُوا القلعة وإذا بيانس على كرسي تكبَّره ، فلما وقعت عين يانس على أصحاب رسول الله ﷺ وقع رعبهم في قلبه لأنه من خاف الله ، خاف منه كلُّ شيء ، فجعل يصعقُ لهم وقد وصَّى غلمانه وقال^(١) : إذا رأيتموني قد قربت من القوم كي أصافحهم ، فدُونُكُمْ وَهُمْ . ونظر خالد إلى القوم فعلم ما عندهم ، فلما همَّ البَطْرِيقُ أن يتقدم قال له خالد : مكانك أيها البطريق فنحن قومٌ لا نُؤْتِي من حيلة ولا مكر ، لأننا قهرنا الملوك وأبناءهم بهذا السيف الذي لا يَنْبُو في الحرب ولا يَكِلُ يومَ الضرب . ثم دعا بأصحابه وانتضى سيفه وزعق بيانس زعقةً أدهش بها من في الحصن ، وضرب يانس على عاتقه ، فأطلع السيف من علائقه . ولما نظر أصحاب خالد إلى فعله ضرب كلُّ واحد منهم يده على قائم سيفه ، ووثبوا على غلمان يانس ووضعوا السيف فيهم .

قال : فتكاثر عليهم العدو وتزايد ، واشتعلت الهيجاء وخاب الرجاء ونَحَرَ النجاء وامتلاً الهُتَاخَ بِالزَّعَقَاتِ ، وحمل كلُّ بطريق وطِمْراخ ، وكثُرَتِ

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ١٠٣/٢ .

البطارقة عن أنيابها ، وقاتلت الشيوخ مع نسائها ، وتفرقت الأحباء عن أحبابها ، وقاتل خالد والمقداد ، وساعدهما الثمانية الأنجاد وعَظُمَ الجَلاد ، وتبدلت الأحياء وذابت من الخوف الأكباد وأيقنت النفوس بالبعد ؛ فله ذرهم فلقد أبلو بلاء حسناً ، وأتبعوا جادة الجهاد مسناً وسنناً ، فأفصحوا في الحرب جناناً ولساناً ، ونادوا : لسنا ممن يفزع من المدد الكثير ولا من الجمع الخطير ، بل نتكل على مولانا نعم المولى ونعم النصير ^(١) .

قال الراوي : ودخل إليهم أهل الرِّبض وانحرف عليهم العَرَضُ ، وفاتهم الغرض وفاجأهم المرض وما من العشرة إلا من للموت تعرَّض ، وانكَلَّ على الله وفوض ، وقاتل أعداء الله وحرَّض ، وأراد الجمع وانطَرَشَ السمع ، والعشرة يكرُّون كرَّ السَّبَّاح ، والأعداء أمامهم كالضَّبَّاح ، وقد كسر خالد القنا وافتخر بدينه ، واشترى الجنة بنفسه من الله وعامله وباع ، وظهر صبره وارتفع قَدْرُهُ وسُمعَ شعرُهُ . وهو ينشد ويقول ^(٢) : [البحر الطويل]

سَيَعْلَمُ هَذَا الْجَمْعُ أَنِّي غَضَنْفَرٌ أَيْدُ الْأَعَادِي بِالْحُسَامِ الْيَمَانِيَا
وَأَلْقَاهُمْ وَاللَّهُ تَخْوَةٌ وَأَخْمِي عَنِ الْإِسْلَامِ مَا دَمَتْ كَالِيَا
وَأَمْلِكُ هَذَا الْحِصْنَ بِالسَّيْفِ عَنُوةً وَأَضْرِبُ أَعْنَاقَ اللَّثَامِ الْأَعَادِيَا

قال الراوي : وكان في ربض الحصن قوم من أعمال الهتاخ ، وهم أهل أَقْشَاطٍ وَبُوشَاطٍ وكان قد جمعهم يانس وألقاهم في الرِّبض ليقاتلوا أصحاب رسول الله ﷺ فلما كان من أمر خالد وقتله ليانس كما ذكرنا اجتمع الروم والأرمن والنصارى على أصحاب رسول الله ﷺ ، ودخلوا إلى الحصن في جملة من دخل ، فنظروا إلى صبرهم وقتالهم وحسن نزالهم فانتَحَوْا وقال بعضهم لبعض : أنتم تعلمون أن العرب ما يَسْكُتون عن أصحابهم وقد ملكوا

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٣/٢ .

(٢) انظر : فتوح الشام للواقدي ١٠٤/٢ .

البلاد^(٢) ، ولا أحد يُقاومهم ، ومن ملَكُوا مثلَ آمد ، كيف يبقى بين أيديهم الهتاخ أو غيره ؟ ولكن دونكم قاتلوا معهم واتخذوا عند العرب يدًا تشكرون عليها .

قال : فأجابوا إلى ذلك وكانوا زهاء ثمانين رجلاً ، فجردوا سيوفهم ورجعوا عن حرب خالد ومن معه وضربوا من كان بالحصن بالشيوف ، وبادأوهم بالحتوف فلم يكن لهم غير الهرب ، وحلَّ بهم العطب .

وسمع عياض رضي الله عنه الصباح فقال : أما والله إنَّ خالدًا ومن معه قد فازوا في القلعة . ثم قال : دونكم وإياهم فبادرَ أبو الهول راجلاً وأصحابه الأربعمئة ، فتسلقوا في الجبال فوجدوا من خرج من القلعة وهم منهزمون ، فبادروا إليهم وصاحوا بهم ، ووضعوا السيف فيهم فما نجا منهم أحد ، وما وصلوا إلى باب القلعة إلا وخالد قد ملكها ، واحتوى على كل ما فيها وصعد إليها عياض بن غنم رضي الله عنه ، وأخذ كل ما فيها من مال ورجال ، وولى عليها مولاه سالم ، وسلم إليه مائة رجل ، وكتب لأهل أَقْشَاط^(١) وَبُوشَاط^(٢) كتاباً لا يَزِنُوا^(٣) وزناً براءةً أبداً . وشهد في الكتاب خالد والمقداد وعمار ومعاذ وشرحبيل وضرار وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم فبينما هم على ذلك لا يغير عليهم أحد ، أطلق عياض بن غنم ما أتى به قيس من الأسرى . وارتحل عياض يريد ميّافارقين^(٤) . فالتقاء في الطريق أهل تلك الجبال ، وأهل الجديدة^(٥) وقلب وباتاساه^(٦) ودُبُّ الكلاب ، فأعطاهم

(١) أَقْشَاط : قرية من كورة الهتاخ قريبة من الحصن / الواقدي ٢ / ١٠٤ .

(٢) بوشاط : قرية من كورة الهتاخ قريبة من الحصن / الواقدي ٢ / ١٠٤ .

(٣) لا يزنوا : أي لا يودوا جزية لا نقدًا ولا وزنًا .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ٢ / ١٠٤ .

(٥) الجديدة : هكذا وردت بالأصل . ولكنها حصن الجديد الهام من حصون ديار بكر / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٥١ .

(٦) باتاساه : هي أحد قلاع ديار بكر الحصينة / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٥١ .

الأمان وردَّهم إلى مواضعهم وفرض عليهم الجزية ، وخرج كُلُّ من في ميَّافارقين للقاء عياض بن غنم رضي الله عنه ، ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسَلَّمُوا عليهم ودَعَوْا لهم وشكروهم على حُسن سياستهم وعدلهم ، ونزل من صَوْب الميدان في لَحْفِ الجبل ، وأقام عليها عشرة أيام ، ثم جمع أصحاب رسول الله ﷺ واستشارهم في أمره وقال : إني قد عوَّلت على المسير إلى ديار أرمينية^(١) وإلى أَرْزَن^(٢) الروم . فأشيروا عليَّ رحمكم الله في أيِّ طريق نسلك وبمن نبدأ . فقال رجل من المعاهدين ممن هو أعرف الناس بتلك البلاد : أيها الأمير أتأذن لنا ، في الكلام . فقال : من له رأي منكم فيتكلم . فقال : أيها الأمير ، اعلم أنك إن قصدت إلى أرض أرمينية اتسعت أمامك البلاد ، ورُبَّما طال أمرك فيها .

٥ - فتح حصن لغوب

واعلم أنه بالقرب منك بيوم واحد بالجبل حصن منيع الجنب ، واسع الرحاب يقال له : حصن لَغُوب ، وقد غلب عليه اسم صاحبه ، وهو نَاطِلُون بن كيفا بن عَيْرُثُوس ، وله جيش عرمرم يزيد على ثلاثة آلاف فارس ، وتحت يده معاقل كثيرة ، وربما أنْ تَرَحَّ ركابُك من ها هنا ، تَوَلَّعَ بالبلاد وشنَّ الغارة عليها صباحاً ومساءً وأذاق أهلها شراً^(٣) ، ومن الرأي لو وجَّهْتَ إليه جيشاً ، فلعلَّ الله تعالى يفتح على يدك ، فإن أنت فتحت الحصن ورجَّعَ بحكم المسلمين ، مضيت حيث تريد ، تكون طيِّب القلب ممن تخلف من أصحابك في هذه البلاد . فقال عياض بن غنم رضي الله عنه لأصحابه : ما تقولون فيما

(١) أرمينية : انظر دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٣٣٣ ، ومراصد الاطلاع ١/ ٦٠ .

(٢) أَرْزَن الروم : سماها العرب بهذا الاسم (أرض الروم) وتقع في بلاد قاليقلا / بلدان الخلافة الشرقية ١٤٩ / .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٤ .

تكلم به هؤلاء القوم : فقال خالدٌ : أيها الأمير لقد تكلموا بالحق ونَطَقُوا بالصدق والرسول ﷺ قد قال : « الحكمة ضالة المؤمن »^(١) فعول على هذا الرأي أيها الأمير ، كان الله لنا ولك ونصرنا وإياك . ثم انصرفوا من عنده وبيات ليلته يفكر في من يُنْفِذ إلى الحصن . فوقع على أن يُنْفِذ إلى الحصن عبد الله يوقنا .

فدعا به وقال : يا عبد الله قد اتَّفَق رأيي على أن أنْفِذك إلى الحصن فما الذي ترى ؟

فقال : أصلح الله الأمير ، قد بلغني أن الحصن منيع . وربما إن نزلنا عليه طال الأمر ونَفَذَت المدة ، ولم ندر ما يكون بعد ذلك ، ولكن أَهَبْ نفسي لله ولرسوله وتأخذ من بني عمي جماعة ونترى بزِّي الفلاحين ، ونأخذ نساءنا وأولادنا ونرْكَبُهُمْ على البقر وندخل في جملة الحافلين ، فإن حصلنا في الحصن ملكناه إن شاء الله تعالى . فقال عياض بن غنم رضي الله عنه : اعلم يا عبد الله أنَّ أَمْرَكَ اشتهر عند جميع النصرانية^(٢) ، ونخاف أن تسير أنت ومن معك فيقبضوك ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تُلْقُوا^(٣) بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ وإنما نقاتلُ أَوْفَق ، كان الله معك ولك . فقال يوقنا : أيها الأمير إذا أبيت ذلك ، فأمرني أن أَشُنَّ الغارة على بلاد القوم . فقال عياض : قد أذنت لك ذلك . فخرج يوقنا ومعه ألف من قومه ، وساروا ليغيروا على أَرْزَن واسْعَرَدُ^(٤)

(١) انظر الحديث في : كنز العمال / ١٦ / ٤٤٠٨٨ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٤ / ٢ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٥ .

(٤) اسعرد : مدينة تقع شمال دجلة وتبعد عن ميفارقين مسيرة يوم ونصف جنوبها / تقويم البلدان ٢٨٩ / .

وباهمرد^(١) وباتاسا^(٢) وحيزان^(٣) والمعدن^(٤) .

قال الواقدي : وكان من قضاء الله وقدره ، أن صاحب اسعد وحيزان والمعدن وباهمرد وباتاسا وطنزا^(٥) ، كان اسمه خرشلوا بن باكير ، وكان بينه وبين نطالون بن كيفا حرب عوار . يغير بعضهما على بعض وقد خرّبوا البلاد بينهما ، وانتشرت الأخبار بقدم أصحاب رسول الله ﷺ ، وأنهم على ميافارقين ، فالتجأ أهل تلك الأرض إلى الحصن ، وعلم خرشلوا صاحب اسعد والمعدن وحيزان وباهمرد وطبزا وباتاسا أنه لا طاقة له بالعرب فاتخذ هدية سنّية ومضى بنفسه يريد نطالون حتى يصطَلح معه ، ويكونا يداً واحدة على قتال أصحاب رسول الله ﷺ ، فبينما هو سائر والهدية صُحِبَتْهُ ، وقد نزل على قرية اسمها ارعنز^(٦) وعلق على خيوله ، وعوّل على أن يسري إلى الحصن ليلاً ، فبينما هو ينتظر الليل وأن تَأْكُلُ خيولهم عليها ، وإذا قد كَبَسَهُمْ يَوْقُنًا وأصحابه^(٧) وقد أحاطوا بالقرية وأخذوا كلّ من فيها وأسروا البطريق ومن معه ولم يبرح يوقنًا من القرية تلك الليلة . قال : فلما كان من الغد عُرِضَ عليه أهل القرية والأسارى ، فقال لهم : إن الله سبحانه وتعالى قد نصرنا عليكم ، واعلموا أنني كُنْتُ ملكاً من الروم وملكْتُ الشّام وقُدْتُ الجيوش والعساكر ، وأمرْتُ ونهيت وعَبَذْتُ الصّليب وقَرَّبْتُ القُربان ، فلما أتى الله بهؤلاء القوم

(١) باهمرد : أحد قلاع ديار بكر الحصينة / زبدة الحلب ٢ / ٢٧٦ .

(٢) باتاسا : أحد قلاع ديار بكر الحصينة / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٥١ .

(٣) حيزان : مدينة غنية بالمياه والبساتين في ديار بكر تقع قرب اسعدت / الأعلام ٣ / ٣٤٩ .

(٤) المعدن : إحدى مدن وقلاع ديار بكر / الأعلام الخطيرة ٣ / ٢٥٠ .

(٥) طنزا : مدينة في ديار بكر بجزيرة ابن عمر واسم قلعتها كهلوك / الأعلام الخطيرة ٣ / ٣٤٩ .

(٦) ارعنز : إحدى القرى القريبة من حصن لغوب / فتوح الشام للواقدي ٢ / ١٠٥ .

(٧) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢ / ١٠٥ .

وأخبرتهم وما هم عليه وبان لي الحق معهم تبعتهم وقلت بقولهم وقاتلت معهم ، ولقد كنّا بالشام تفرغُ منّا الملوك : كسرى وقیصر والجرامقة^(١) والدّيلم^(٢) والترك ، ولنا أكثر الأرض وما كنّا نلتفت إلى العرب ، ولا نَعُدُّهم حتى خرجوا علينا وأذاقونا شراً ، وذهبت شجاعتنا في أيديهم وملكوا معاقلنا وحُصوننا ، واحتوا على ملكنا ونصرهم علينا ربُّ السّماء لأنهم يشيرون إليه بالوحدانية ، وقد فرغوا إليه بالكُليّة فإن آمنتم به ووحدتموه كان لكم الرّيح في الدنيا والآخرة وسأطلقُ سراحكم وإن أبيتم ذلك قتلتكم عن آخركم . فقالوا : اتركنا يومنا هذا إلى اللّيل ندبّر فيما أمرتنا به . قال : فتركهم ثم خلا بحرُشَلْوا البطريق وحده في السّر وقال : يا هذا اعمل في خلاص نفسك ورقبتك من النار ، وأسلم وإلا فافد نفسك بشيء . قال بماذا ؟ قال يوقنا : بلغني أنّ بينك وبين صاحب الحصن وقائع^(٣) .

قال البطريق : لقد صدقك الذي أخبرك . قال وما السّبب الموجب لعداوتك معه .

قال : فقال لي : إنه طلب أن يتزوج بابتي وبعث إليّ هديّة ، فرددتها إليه ، فصار عدوّي وصرتُ أعاديّه ، وإنما قدمت إليه في هذه المدة حتى أكون

(١) الجرامقة : هم قوم من الأعاجم سكنوا الموصل في أوائل الإسلام . وقيل بأنهم من أصل آرامي وكانوا في عيلام في منطقة تعرف بالجرمق ببلاد فارس ، وعادوا إلى بلاد آشور فعرفوا بالجرامقة وكان سكنهم بمدينة الموصل في خلافة عمر بن الخطاب / القاموس المحيط مادة جرامقة / والعرب واليهود في التاريخ ص ٢٦٧ / .

(٢) الديلم : شعب سكن الجبال التي تقع جنوب بحر قزوين والتي تعرف بهذا الاسم . وكانوا من الوثنيين حتى الفتح الإسلامي . واستخدمهم الخلفاء والولاة كجنود ومرزقة . وإقليم الديلم يجاور أذربيجان من الغرب وطبرستان وجيلان في الشرق . يعتمد على مياه الأمطار لخلوه من الأنهار وطبيعة جبلية / انظر : القاموس الإسلامي ٤٢٢/٢ / والأعلاق الخطيرة ٣/ ٣٢٨ / .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٥/٢ .

أنا وإياه يداً واحدة على قتالكم ، فخرجت أنت فأسرني . فقال له يوقنا : إني أريد لك من الخير ما أريد لنفسي ، وليس أخرجك على أن تتخلي عن دينك ، ولكن تعاهدني أن لا تغدر ، وأخلي سبيلك وتمضي إلى صاحب الحصن وترمي نفسك بين يديه ، وتقول له : أيها الصاحب قد ندمتُ على ما كان مني إذ رددتُكَ عن زواج ابنتي ، وإني قد أخذتها وزينتها وسُقتُ معها أموالها ، على أن أهدبها لك ، فلما كنت في موضع كذا وكذا ، خرج قوم من العرب وأخذوا ابنتي والمال ، ونجوتُ بنفسي وأتيت إليك ، لتأخذ بثأري وتُنقِذَ ابنتي من العرب . فإنه إذا سمع ذلك دعاه الطمع واستخرجه الأمل ، أن يَخرجَ إلينا ولعلَّ الله سبحانه وتعالى أن يظفرنا به ، فإن ملكناه يكون الحصن لنا إن شاء الله تعالى ، ويكون مُجازاتُكَ أن تبقى في بلدك آمناً ومطمئناً ، واعلم أن ذمامي هو ذمام العرب مهما قلت امتثلوه وفعلوه . قال : فلما سمع البطريق ما قال يوقنا . قال : أنا أفعل ذلك ولكني أخاف من المسيح أن يغضب عليّ إذا خَمرتُ على أهل دينه ^(١) .

فقال يوقنا : أنا أتحمَلُ هذه الأوزار عنك ، ودع عيسى بن مريم يطالبني بها يوم القيامة . فقال البطريق : إذا كان هذا الذي ذكرت فأنا أفعله وليس يصعب عليّ ولكن أخاف إن فعلتُ الذي أمرني به أن لا ينزل إليّ من الحصن ورُبُّما يبعث معي بعض أصحابه فلا تحصل على طائل من عدوك . فقال يوقنا : فما التدبير ؟ فقال البطريق : الرأي غير هذا ؟ قال وما هو ؟ قال : تبعث من أسرت منّا ومن أهل هذه القرية (ارْعَزْ) إلى أصحابك وتسير جريداً بالخيّل وأنا معك ، ما نُصَبِّحُ إلا ونحن على الحصن ، فإذا أشرفنا عليه تعطيني جوادي ولأمة حربي ، وأسير على فرسي في حال العجلة فإنني أجده في ميدانه في أرباب دولته ، فإذا وقعت عيني عليه ترَجَلْتُ عن ظهر جوادي ، وحثوت

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ١٠٥/٢ .

التراب وأصبح به . فإذا استخبرني حدثته بما حدثتني به . فإذا قال : وأين هم ؟ أقول على فرسخ من بلدك . فإذا سمع قولي لم يمكنه التأخر عن نُصرتي ، ولا بد أن يُسرع إليكم ؛ واعلم أن أكثر جنده قد فرّقهم على المعازل والحصون وما عنده في ركابه ألف فارس .

فلما سمع قوله يوقنًا وثق به وبعث الأسارى إلى عياض . فلما وصلوا إليه قال لهم : إن نحن أطلقناكم وأحسنًا إليكم أتعرفون لنا ذلك ؟ قالوا : نعم . فأطلق سبيلهم حتى يسمع من يليهم فينزل إلى طاعته . وأما يوقنًا رحمه الله فإنه سار جريدة في ألف فارس باقي ليلته^(*) ، فما برق ضياء الصُّبح إلا وقد أشرفوا على الحصن ، ولاح لهم من بعيد فعندها أطلقوا البطريق وسلموا له جواده ، وتركوا الكتاف على يده الواحدة وكأنه قد أفلت يده الأخرى ، وساق على شوط واحد إلى الحصن ، وإذا بالقضاء المقدّر أنه وجد نطالون بن كيفا قد بعث إلى اسعرد ألف فارس وألف راجل مُعدة .

وكان السبب في ذلك أن قومًا من أصحاب البطريق (خَرشَلُوا) ، ومن أهل أرغنز لما كبسهم يوقنًا ، قد أقبلوا إليه وحدثوه ، بما تم عليهم فعبّر لعلّه يستخلصهم من يد يوقنًا . فلما قدم البطريق ورأى صاحب الحصن ، ترجّل بين يديه وحلّ الكتاف على يده الواحدة وصقع له وحدثه بما جرى وبكى بين يديه . قال : فرقّ له ولحاله ، وقال له : كيف تخلصت ؟ فقال له : تركتهم حتى ناموا وما زلت أعالج الكتاف حتى تخلصت يدي الواحدة كما ترى ثم سلّلت هذه الفرس فركبته ، وأحس القوم بي فركبوا في إثري وها هم بالقرب منّا . قال : فلما سمع نطالون بن كيفا قوله أمر بعض غلمانه فأزالوا الكتاف عنه ، وركب من وقته وسار يطلبهم فلم يكن إلا ساعة حتى التقت الفئتان وأشرف بعضهم على بعض . وقال يوقنًا لأصحابه : هذا الذي أردتم من أمر الجهاد ، قد قرّبه الله إليكم^(١) ، دونكم والقوم . فلم يمهلوهم وحمل بعضهم على بعض

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٦/٢ .

واستعملوا العجلة فتطاعنوا بالرماح وعجلوا ، وفشت الجراحات في الفئتين واقتتلوا ، وصبر يوقنا على الخطب العظيم والأمر الجسيم ، واستعانوا بالرحمن الرحيم ، ووقع عليهم الصائح ، ونشرت أجنحتها النوايب واستخدموا القواضب ، واستعان أصحاب يوقنا بإله المشارق والمغارب . فبينما هم قد أشرفوا على المعاطب ، إذ أشرفت عليهم غُرُرُ الخيل كأنها الليل ، فتأملوا إليها وأحدقوا نحوها وإذا بهم يتسابقون ونحوهم يسرعون ، فتأملهم يوقنا وإذا بهم أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثة آلاف فارس يقدّمهم خالد بن الوليد رضي الله عنه . وكان السبب في قدومهم أن عياض بن غنم خاف على يوقنا وبني عمه ، فأرسل خالدًا في إثرهم ، فوجدهم في القتال فأطلق عنان جواده وشرّع سنانه وقال : يا أهل الإيمان ويا حملة القرآن دونكم وعبدة الصُّلبان ، ومن يجعل مع الله ثان ، ارفعوا أصواتكم بكلام ربكم ، واجعلوا على الله اعتمادكم ، واعلموا أن القرآن لا تنظفي مصابيحہ ، وشهاب لا يُخمد غُرَى زنده ، وحبل لا ينقطع أركانه ، وقسط لا يحيف سلطانه ، وحصن غرى لا يضعف بنيانه ، وجند لا تنهزم أنصاره ، وخبر لا تفنى عجائبه ، وبحر لا يدرك غرائبه ، ومعدن لا تنقطع كنوزه^(١) ، ومقل ينبع من الهلكة جاره ، اتكّلوا على الملك الجليل . فنعم النَّاصرُ والوكيل .

قال الرَّاوي : فَضَجُوا بقراءة القرآن ، وذكروا الواحد المثان وداروا بالقوم واستنصروا بمن لا تأخذه سنة ولا نوم ، ونظر يوقنا إلى النُّصرة قد أتت وغرر الخيل قد أقبلت فعظم نشاطه ، وكثر في الحرب انبساطه والتقى ناطلون بن كيفا فعرفه بزيه ، فتطاعنا طعاناً شديداً ، وتضاربا ضراباً شافياً ، إلا أن يوقنا طعن صاحبه فأرداه على الأرض ؛ ولقد صنع فيهم خالدٌ وأصحابه ما تصنع النار في الحطب ، وأبادهم بضرب كاللَّهَب . ولما قتل يوقنا صاحب الحصن ، قطع

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ١٠٦/٢ .

رأسه وألقاه على رأس سنانه وقال : على من تقاتلون وقد قتلنا صاحبكم ؟ فلما رأوا رأسه وألوا الأدبار ، ومات أكثرهم غرقاً في النهر ووَلَّى أكثرهم نحو الجبال والتلال .

قال الرّأوي : ووقع الصائحُ في الحصن أن نطالون قد قتل وكثير من أصحابه ، فصاح الصائح وناح النائح ، وجُرَّت الشُّعور وأيقنوا بالويل والثبور .

قال الواقدي رحمه الله : وكان لناطلون زوجة عاقلة لبيبة صابرة صاحبة رأي وتدبير . فلما رأت ما حلَّ بأهل الحصن وقد قتل زوجها . ومن كان معه قد تفرَّق شملُهم بالهزيمة والقتل والغرق ، فأيقنت بزوال مُلكها وخراب بيتها ، فجمعت مشايخ الحصن من الطَّرامِخة^(١) والدهاقنة^(٢) والأَقَسَّة والرهبان^(٣) وقالت لهم : اعلموا أن الملك قد قتل ، وتفرق شمل عسكره ومن كان معه وقد وصلكم ما صنع هؤلاء العرب مع ملوك النصرانية ، وبني ماء المعمودية وكيف ملكوا الشَّام وأرض مصر وديار بكر وأرض ربيعة ، وقد دانت لهم الأمور وانتشر شرعهم وعلا ذكركم ، ودخل في دينهم الملوك والبطارقة فما نزلوا على حصنٍ إلا وملكوه ولا وافوا جيشاً إلى هزموه ، وآلآن فقد حصلوا بساحتكم ونزلوا بأوطانكم ، فما ترون من الرأي ؟ فقالوا : أيتها الملكة ما تكلمت بشيء إلا وقد عرفناه والأمر بعد هذا إليك . قالت : اعلموا أن صاحبكم قد قتل ، وأن العسكر قد انهزم ، ولم يبق في الحصن جيش ولا من

(١) الطرامِخة : الأعيان والوجهاء في المدينة ، وهي مرتبة رومانية كانت موجودة عند الفتح الإسلامي .

(٢) الدهاقنة : مفردا دهقان . وهي كلمة فارسية تعني : صاحب القرية مالك الأرض ، وتأتي أيضاً . بمعنى من يحفظ السنن والروايات الايرانية / انظر : المعجم الذهبي ص ٢٨٥ . د . محمد التونجي .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ١٠٦/٢ .

يَذْبُ عَنْكُمْ ، وَالصَّوَابُ أَنْكُمْ تَحْقِنُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَصُونُوا حَرِيمَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ،
وَتَدْخُلُونَ فِيهَا دَخْلَ فِيهِ أَهْلُ الْبِلَادِ ، وَتَصَالِحُوا هَؤُلَاءِ الْعَرَبَ ، فَتَأْمِنُوا عَلَى
أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ وَمَالِكُمْ ، وَتَعِيشُوا فِي ظِلِّ دَوْلَةِ الْعَرَبِ .

قال القوم : هذا هو الرأي . قالت : لينطلق منكم رجال إلى هؤلاء العرب
وَاعْتَقِبُوا لَنَا مِنْهُمْ صِلْحاً . قال : فخرج من عندها ثلاثون رجلاً وساروا حتى
قَطَعُوا الشَّطْرَ إِلَى عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ . فلما رَأَاهُم الْمُسْلِمُونَ عَلِمُوا أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ
الْحَصَنِ اسْتَقْبَلُوهُمْ ، وَرَحَبُوا بِهِمْ وَمَشَوْا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِلَى قَبَةِ خَالِدٍ ، وَإِذَا هُوَ
جَالِسٌ عَلَى التَّرَابِ وَأَصْحَابُهُ حَوْلَهُ يُكْثِرُونَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ^(١) ، وَلَيْسَ لَهُمْ
حَاجِبٌ وَلَا بَوَّابٌ . فَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ خَالِدٌ : ﴿ وَإِذَا حَيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا
بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء : ٨٦] . فَتَقَدَّمَ كِبَرَاءُ أَهْلَ الْحَصَنِ مِنْ أَهْلِ
التَّحْدِثِ وَالْعِلْمِ فِي دِينِهِمْ وَقَالُوا : أَيُّكُمْ الْأَمِيرُ حَتَّى نَخَاطِبَهُ ؟ قَالُوا : لَيْسَ فِينَا
أَمِيرٌ ، وَلَا مَنْ يَلْحَظُ أَخَاهُ بَعِينَ الدُّلِّ ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ شَمَلَنَا وَنَحْنُ عِبَادُ اللَّهِ ،
أَكْرَمَنَا عَلَى اللَّهِ اتَّقَانَا ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ ^(٢) وَإِنَّا قَوْمٌ
نَطْلُبُ الْآخِرَةَ ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ^(٣) وقال نبيُّنا ﷺ : « كُلُّ
شَيْءٍ فَضْلٌ إِلَّا ظِلٌّ بَيْتٍ وَحُرُوفُ الْخُبْزِ وَثَوْبٌ يُوَارِي بِهِ ابْنُ آدَمَ عَوْرَتَهُ » ^(٤)
وقال ﷺ : « لَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَتَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ
انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ تَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ » ^(٥) .
وكان ﷺ يقول : « أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ١٠٦/٢ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٣) سورة الحجرات الآية ١٠ .

(٤) انظر الحديث في : كنز العمال ٧١٣١/٣ ، ٧١٣٢ .

(٥) انظر الحديث في : كنز العمال ٤٤١٥٨/١٦ .

بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام»^(١) فنحن نتبع ما كان عليه نبيُّنا .

قال : فلما سمع القوم ذلك قالوا بأجمعهم : والله ما نُصرتُم إلا باتِّباع الحق وقول الصدق في دينكم ، وإنَّا نريد منكم أن تحملونا على العادة ونشركونا فيما دخل فيه أهل البلد . فقال خالد : كم تبدلون لنا في صلحكم ؟ قالوا : مهما أردتم امتثلناه . فقال خالد : إنَّا لا نريد إلا ما يرضى به أهل الذمة^(٢) ، حيث تطيب قلوبهم ومن لا يرحم لا يُرحم ، ولقد سمعت نبيِّنا ﷺ يقول وهو الصادق المصدَّق : «^(٣) لا تُنزع الرحمة إلا من قلب شقي » وقال : « ارحموا^(٤) تُرحموا واغفروا يغفر لكم » .

ولقد جاء رجل من أعراب المدينة فقال : يا رسول الله إني لأجدُ العنزُ فأرحمها . قال له : « إن^(٥) رحمتها يرحمك الله » ولقد دخل ﷺ يعود إنساناً وامراً تنسجُ رداء عندها صبيٌّ لها ، فأحياناً تضربُ بخفِّها ، وأحياناً تقبلُ على صبيها ففعلت ذلك مراراً . فقال رسول الله ﷺ : « أترون هذه ترحمُ صبيها فقالوا : نعم : فقال : إن الله تبارك وتعالى أرحمُ بعباده من هذه بصبيها »^(٦) .

قال الراوي : فلما سمع القوم ذلك تهلَّلت وجوههم فرحاً وقالوا : لقد جئتم بحق ، وما نرى إلا أن دينكم الحق ، ثم أسلموا وعادوا إلى قومهم ، واجتمعوا إلى كنيستهم وحدَّثوهم بما كان منهم ومن حسن سيرة أصحاب رسول الله ﷺ . فقالوا : ما كنَّا بالذي نرفع أنفسنا عنكم ، لأنكم أهلُ الرأي والتدبير ، وقد رضيْنَا ما رضيتم لأنفسكم . ثم أسلمُوا إلا القليل منهم .

(١) انظر الحديث في : كنز العمال ٤٣٤٤٧/١٥ ، ٤٣٥٠١ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٦/٢ .

(٣) انظر الحديث في : كنز العمال ٥٩٧٣/٣ .

(٤) انظر الحديث في : كنز العمال ٥٩٧٦/٣ .

(٥) انظر الحديث في : كنز العمال ٦٩٧٨/٣ ، ٦٩٨٦ .

(٦) انظر الحديث في : كنز العمال ١٠٤٠٢/٤ .

وسمعت الملكة بذلك فطاب قلبها ، وبعثت العلوقة والإقامة إلى خالد ، وأمرته أن يعبر إلى جانبها ، ونصبت لهم الجسر فعبر خالد ومن معه الشعب ونزلوا بالبيعة بحيث أنها تشرف عليهم ، وتنظر إليهم فرأت قوماً قد طلقوا الدنيا وطلبوا الآخرة^(١) ، ليس فيهم من يشتم أو يخالف ، قد اشتغلوا بالذكر وتوشحوا بالصبر ، ونظروا في عيوبهم وأقبلوا على ميرونة وقالوا : هؤلاء زهدوا عن كل مرغوب ، وتجاؤا عن كل مطلوب ونزّهوا قلوبهم اشتغالا عن كل محبوب ، فأخلصهم لمحبتهم واصطفاهم لمخاطبته أحلّهم بحظيرة القدس ، وجعل قلوبهم أضوا من الشمس ، فضّلهم على كثير من الإنس تفضيلا ، ورفعهم بما خصّهم به جملة وتفصيلا ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾^(٢) : [البحر البسيط]

لله قومٌ إذا ما الليل جنّهم قاموا من الفَرش لا يهدون عبّادا^(٣)
ويركّبون مطايا لاتملّ بهم ويسمعون مُنادي الصُّبح قد نادى
فالأرض تبكي عليهم حين فقدهم كأنهم خلّقوا للأرض أو تادا
قال الراوي^(٤) : فلما نظرت إلى حُسن عبادتهم ، نزلت إليهم وسلّمت عليهم وأسلمت على أيديهم . فقال خالد رضي الله عنه : تَقَبَّلَ الله منك ورضي عنا وعنك فالزّمي قلعتك ولا سبيل لأحدٍ عليك . قال : ونظرها يوقنا رحمه الله ، فقال لخالد : ودِدْتُ لو كانت هذه لي أهلاً ، فإنني سمعتُ أمين الأمة أبا عبيدة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مسكينٌ مسكينٌ رجلٌ لا امرأة له ومسكينةٌ مسكينةٌ امرأة لا بعل لها »^(٥) .

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٦/٢ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .

(٣) انظر الأبيات في فتوح الشام للواقدي ١٠٧/٢ .

(٤) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٧/٢ .

(٥) انظر الحديث في : كنز العمال ٤٤٤٥٥/١٦ .

قال فنقد خالد إليها وشاورها في الأمر فأجابت إلى ذلك . فقال خالد رضي الله عنه حتى تتمَّ عِدَّتُكَ أربعة أشهر وعشرًا . فقالت : مبارك إن شاء الله تعالى . وبعث خالد رضي الله عنه إلى عياض يخبره بالأمر وبما جرى . فبعث إليه الجواب : أن لا تترك شيئاً من بلاد الحصن إلا تنزل عليه .

٦ - فتح أسعرد وبهمرد

قال : فعول خالد بالعُبُور إلى جانب (أسعرد وطئزه وبهمرد) وإذا قد ورد عليه من أهل طنز وطور عبدين يطلبون الصلح وأن يكونوا طوعاً للمسلمين . قال خالد : من أسلم منكم كان له مالنا وعليه ما علينا ومن بقي على دينه فعليه الجزية من العام القادم . فأجابوا إلى ذلك فكتب لهم عهداً .

وعبر إلى طنزه وبهمرد واسعرد وحيزان والمعدن وارزن ففتحوها صلحاً على ما تقدم ورضوا به ، وانقضت عِدَّةُ صاحبة الحصن وهي مُوجَّاثُوسَة ابنة صِرْفَتَاس وتزوجها يوقثاً رحمه الله . قال : ولحق بعياض بن غنم فوجده على سَوَقَارِيَا^(١) ، وهي مدينة جالوت ، فلما نظر خالد رضي الله عنه إليه ، سلم الناس بعضهم على بعض فأقاموا خمسة أيام ، وعولوا على أن يسيروا إلى بذليس^(٢) واخْلَاط . وإذا قد جاءهم الخبرُ أن طارون ابنة سَطِينُوس ، وهي زوجة الغلام الذي تقدم ذكره ، وفتح كفرتوثا وكان من أمرها أنها هربت إلى أبيها ورجعت إلى دينها^(٣) .

(١) سواقاريا : بلدة وحصن قريبة من آمد بين ديار بكر وأرمينية / الأعلام الخطيرة ٥١٢/٣ .

(٢) انظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير / ٥٣٥/٢ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٧/٢ .

قال الراوي : فصعب عليهم ذلك .

حدثني محمد بن يونس ، قال حدثني عبد الله بن موسى قال : حدثني اسماعيل بن قيس عن جرير بن حصين ، عن هؤلاء السادة . أن طارون لم تنتصر ولا عادت عن الإسلام ، وإنما مضت إلى أبيها لتدبر الحيلة عليه وتسلم أخلاط بلده للمسلمين ، لأنها أرادت أن تصنع مثل ما صنع بعلها بكفرتوثا ، فاتفق رأيها وبعلمها على ذلك . فقال لها : أمّا أنا فما أتبعك لأنني أفرع من أبيك أن يقبض علي ويُسَلِّمني إلى أهلي فينتقمون مني . فقالت : الزم مكانك فلست محتاجة إليك ، ثم إنَّها لما عولت على المسير ، دعت غلمانها إليها في حال السر . وقالت : إني قد عولت على أمر وأخاف أن أبوح به إليكم . فقالوا : أيها السيدة ما على العبد إلا طاعة مولاه ، فأوقفينا على شرك . فقالت : اعلموا أنّي قد كرهتُ المقام بين هؤلاء العرب ، وأيضاً قد اشتد شوقي إلى أهلي ووطني . وقد عولتُ على المسير ، وأقول : إني أريد أن أسير معكم إلى الصيد في الجبال ، ثم إذا جنَّ اللَّيْلُ طلبنا أهلنا وأرضنا ، فلما سمعوا قولها ، صَعَّقُوا بين يديها ، وقالوا : أيها الملكة نحن بين يديك متى أردت . فقالت : إني لستُ أكرهكم على ما لا تريدون فمن كان في قلبه المُقَام ، ومالَ بِكُلِّيَّتِهِ إلى دين الإسلام فَلْيَقُمْ غير مَلُوم ، ومن أراد وطنه ومال قلبه وهَمَّتْهُ إلى دينه الأول^(١) واشتاق إلى أهله فَلْيَعِزِّمْ على بركة المسيح ، فإنني الليلة معولة على المسير ، وحق ما أسير إليه ، إن بلغني أن أحدكم فشا سرِّي إلى بوغور أو لأحد من العرب ، لأجعلنَّ عتبي عليه ضرب عنقه . فقالوا : أيها الملكة ليس فينا من يبوح بسرِّك ، فإننا عبيدك وغلمان أبيك ، وتربية نعمتك ، وكيف نقابل الإحسان بالإساءة ؟ .

فقالت : فمن كان عازماً على المسير معي فليشدَّ عليه ويلحقني إلى

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٧/٢ .

حرزم^(١) . قال : فأجابوها إلى ذلك . فلما جن الليل ودّعت بوغور ،
وخرجت بآلة الصيد ومضت .

وقد تبعها من غلمانها اثنا عشر غلاماً . كانوا لا يريدون الإسلام ، وأيضاً
قلوبهم عند أوطانهم وتخلف غلمانها كلهم بكفرتوثا ، وكانوا مائتي غلام ، قد
رسخ الإسلام في قلوبهم ، أحبّوا أصحاب رسول الله ﷺ ، لحسن سيرتهم
وعدلهم .

قال : ومضت تجدّ السير إلى أن توغلت في البلاد ، وجعلت تكمن نهاراً
وتسير ليلاً ، إلى أن تركت أرزن^(٢) وراء ظهرها ، وأشرفت على بدليس^(٣) ،
فتزل صاحبها إليها بالإقامة والنزل . فتسلمت ذلك منه وأقامت على بدليس
يوماً .

(١) حرزم : تقع بين ماردین ودينسر من أعمال الجزيرة وأكثر أهلها أرمن ونصارى وفيها
نهر ويساتين وهي حالياً في تركيا . / انظر : معجم البلدان ٢ / ٢٤٠ والأعلاق الخطيرة
٣ / ٥١٤ .

(٢) أرزن : مدينة مشهورة قرب خلّاط في أرمينية وبها قلعة حصينة / انظر : دائرة المعارف
الإسلامية ٢ / ٥٧٤ .

(٣) بدليس : مدينة بنواحي أرمينية قرب خلّاط ، وهي ذات مياه ويساتين / معجم البلدان
١ / ٣٥٨ .

الفصل الرابع

فتح بلاد أرمينية

١ - فتح بدليس وأرزن

وكان من قضاء الله وقدره أن عياض بن غنم لما نزل على سوقاريا ولحق به خالد رضي الله عنه ويوقنا ومن معه ، فرح بسلامتهم ، وحدثوه بما جرى ، فسجد لله تعالى شكرياً ، ثم بعث يوقنا رسولاً إلى صاحب بدليس . وكانت أرزن وقف وانظر وبدليس وغيرها من القلاع لبطريق اسمه سرورند بن بولش^(١) ، وإنَّ يوقنا مضى بالرسالة إليه في مائة من قومه ، فوافوا بدليس والجارية طارون هناك ، فلما رأى خيامها وزَّيَّها عرفها وكان لها سرادق من الديباج المدكَّر الأزرق وحَوائِفه من الذهب الأحمر . قال : فلما ورد إلى بدليس رسولاً إلى البطريق سرورند . كان البطريق عند طارون يودِّعُها ، فلما علم أن يوقنا أقبل إليه في الرسالة صَعَدَ إلى قلعته حتى يسمع ما أتى به يوقنا . قال : ولما علمت طارون بقدوم يوقنا ركبت إليه وسلَّمت عليه وأخذته إلى جانب وقالت له : يا عَمُّ لا تظن أنني هاربة وإلى الرُّوم طالبة ، وإنما أريد النصيحة لله تعالى ولرسوله وقد اتفق رأيي على أن أغدَرَ بأبي وأقتله وأسلَّم معاقله للمسلمين ، وأرجو من الله في ذلك الثواب والجنة ، ولكن يا عم أشر

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/١٠٧ .
والكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٢/٥٣٥ .

عليّ بما أصنع ، فأنت تعلم أن هذا الدّرب الذي بين بدليس وأخلاط^(١) عليه قلعة « قف وأنظر » وإذا أرادت العرب القدوم ، فليس لهم طريق ، فما الذي ترى ؟ وأخاف إن حصلت عند أبي ، لا أقدر على الرجوع إلى بعلي ولا إلى المسلمين . فقال لها يوقنا : اعلمي أنك إذا سرت في هذه النية ، إن الله جلّ جلاله يطلع على نيتك ، ويصنع لك الخير ويعينك ولكن امضي على ما أنت عليه ، فإنّي إن شاء الله لا بد ما آتي بالرسالة إليه من الأمير عياض^(٢) ، وها أنا أستكثر من الرجال ، وإذا حصّلت هناك ، كان لنا تدير نصل به إلى ما نريد . ثم علّمها ما تصنع وودّعته وعادت إلى غلمانها . وقالت : إن هذا اللّعين العديم العقل ما برح يُعذّلني أن أعود إلى دينهم وما عوّلت عليه من الرجوع إلى دين المسيح ، ولولا أنني أخاف ممّن معه ، ومن صاحب هذه المدينة أن يُعيّنه علينا لكُنْتُ قبضت عليه . ثم إنها سارت تجدّ السّير ، وقد بعثت بعض غلمانها يُيسّر أباها بقدمها . فارتجّت المدينة وركب أبوها ويطارقه ، وساروا بالموكب والكتائب والتقاها عند تطوانه^(٣) ، فلما نظرت إلى مواكب أبيها ترجّلت وترجّل أبوها ، وترجّل غلمانها ومن كان من البطارقة ، وصعقوا بين يديها ، وأقبل أبوها عليها يُقبّلها . وقال لها : يا بنية كيف كان أمرك ؟ فقالت : إنّ بوغور نصب عليّ وأخذني وقصد إلى عسكر العرب وأسلم ، فلم

(١) أخلاط : ويقال لها أيضا خلاط : مدينة تقع على الحدود ما بين بلاد المسلمين والأرمن ويتكلم أهلها ثلاث لغات العربية والفارسية والأرمنية . وهي في طرف بحيرة (وان) الغربي وتعتبر من أهم مدن أرمينية مبنية على سهل منبسط وفيها مياه وبساتين وحصن منيع ويخترقها نهر عظيم . فتحها عياض بن غنم فصالحه بطريقها على الجزية ومال يؤديه ورجع عياض إلى الجزيرة / معجم البلدان ١/ ٣٨٠ ، ٣٨١ . سفرنامه ٣٩ ، بلدان الخلافة الشرقية ٢١٨ / والأعلاق الخطيرة ٣/ ٥٤٠ ، ٥٦٤ / .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ٢/ ١٠٧ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٥٣٥ / .

(٣) تطوانه : أحد الحصون المشهورة في الطريق إلى خلاط . / الأعلاق الخطيرة ٣/ ٥٦٤ / .

يكن لي بد أن أرجع عن دينهم خيفة منهم ، إلى أن دخلوا ديار بكر ، فوجدتُ خلسةً فهربتُ إليك . قال : فَصَلِّبْ على وجهها وهنأها بالسلامة ، وركبَ وركبتُ وسارت الملوكة من حولها ، إلى أن دخلا دار مملكتها ، والتقتها الجوّاري والخدم بين يدي أمّها ، وتراموا عليها ويكّوا ويكّكتُ ، وأخرجت الصّدقات والنذور للبيع والكنائس ، وباتت تُحدّثهم بما مرّ لها وبحديث الملك شهرِيّاض وأخذ رأس العين .

فقال أبوها : يا بنية كيف تَرَيْنَهُم في دينهم^(١) ؟ قالت : أيها الملك إن القوم يتظاهرون بالدين والعدل ويطلبون الآخرة ، وهم بخلاف ذلك ، وإنما لهم ناموسُ الدين والعدل ، لكي يرجع الناسُ إليهم ، وبالله دينُ المسيح أفضلُ وقد نذرت أني متى خلّصني الرب من العرب ، لا أقرب قرباناً ولا أكل لحماً ولا أشرب خمراً ولا أنغمس في ماء المعمودية ، إلى أن أتعبّد في بيعة يوحنا الدّيلمّي شهرين كاملين ، فإذا أنا طهرتُ من دينهم فحيثُ أقربُ القربان وأقبلُ الصّلبان . ففرح أبوها بقولها . ولما كان من الغد ركبت إلى البيعة وأخلى لها موضعاً برسمها ، وأقبلت تتصدّق على فقراء دينهم ، وتُوري الثّسك والعبادة وأقامت تنتظر ما وعدّها يوقناً بالرسالة .

قال : حدثني أبو محمد الفقيه الزاهد القُبلاعي رحمه الله قراءةً مني عليه ، وهو ينظر في أصل كتابه في البطحاء قال : أخبرنا عبد الله بن محمد البصري بالبصرة . قال : حدثني أبو الحسن أحمد بن الفضل إمام المسجد الجامع بالأهواز^(٢) قال : حدثني أحمد بن محمد بن الفضل الأهوازي قال : أخبرنا علي بن عبد الحميد قال : حدثنا عَفَّانُ بن حكيم قال : حدّثنا مبارك بن فضالة عن أبي عُمر بن الجَوْنِي ، عن قيس بن هبيرة المازني ، قال : كنت فيمن

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٨/٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٥/٢ .
(٢) الأهواز : كورة هامة وكبيرة تقع بين العراق وبلاد فارس . فتحها المسلمون من أهل البصرة بقيادة عتبة ابن غزوان . / معجم البلدان ١/٢٨٥ .

صحب يوقنا رحمه الله حين سار بالرسالة إلى صاحب بدليس وذلك أنه لما تحدثت معه طارون ومضت أنفذ صاحب بدليس إليه^(١) فاستحضره وأنا في صحبتته ، فلما أتيناوه وهو على سرير تكبره فسلمنا عليه وجلسنا فقال يوقنا : إن أمير جيوش المسلمين بأرض ربيعة وديار بكر عياض بن غنم ، صاحب رسول الله ﷺ بعثنا إليك يدعوك إلى توحيد الله وتصديق رسالة نبيه ﷺ ولك ما لنا وعليك ما علينا ، واعتبر بمن سلف من الملوك أصحاب الأقاليم والعزم ، قد أصبحوا هالكين وفي الحفر جاثمين ، وما نفعهم سلطانهم ولا رد عنهم المنون أعوانهم ، وقد ظهر دين الإسلام واضمحلت الأديان ومضى العر والإمكان ، وذلت الصلبان ، وفلت الأقسمة والرهبان ، وذلت الشمامسة والقربان ، ولا بقي أحد إلا وهلك ، ولا سلطان إلا ارتبك ، وقد جئنا إليك لتدخل فيما دخلت فيه الملوك ، وأجاب إليه كل غني وصعلوك ، وما بقي في هذه الدائرة سواك ، فما الجواب ؟ فقال : أيها السيد اعلم أي كنت أريد أن أرسل رسولا إلى أمير العرب في طلب الصلح ، يأخذ مني شيئا وأبقى على ديني ، فما أريد بدين المسيح بدلا ، ومن أراد من أهل بلدي أن يرجع إلى دين القوم فلست أمنعه من ذلك .

قال يوقنا : كم تريد أن يطيب قلبك أن تدفع للقوم في صلحك عن بدليس وأرزن وما تحت يدك من البلاد ؟ فإني إذا أمضيت الصلح أمضته العرب . فقال : أيها السيد أعطيهم عن البلاد التي تحت يدي كلها مائة ألف دينار . وخمسمائة زرد^(٢) وألف قوس^(٣) ، وألف ثوب من الديباج وخمسمائة ليس ، وألف شهري ولا يزحزحني عن ملكي حتى أموت ، ولا يتركون عندي أحدا من قبلهم إلا رجلا أو رجلين حتى يعلموا من يصبوا إلى دينهم وشرائع ملتهم ،

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٨/٢ ، والكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٥٣٥/٢ .

(٢) الزرد : يقصد بها الدروع .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٨/٢ ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٥٣٥/٢ .

ويكون أمري نافذاً في أهل بلدي ، كما كنت أول مرة إلا من رجع إلى دينهم فلا حكم لي عليه . فقال يوقنا : قد أمضينا صلحك ، وأتممنا عهدك قال : ومن يحلف لي ؟ قال قيسُ بن هبيرة : أنا أعطيك عهد الله وعهد رسوله على ما ذكرت . وأعطاه يده على ذلك ، وهادته بالمهادنة ، فأجابه إلى ذلك ، وكتب قيس إلى عياض يخبره بما استقر عليه الحال . فلما وصل كتاب من قيس إلى عياض رحل من شوقارياً ، إلى أن نزل ببديس ، فوجد البطريق قد أخرج ما وقع عليه الصلح والإقامة ، وغير ذلك . فلما قدم عياض وجد (سُورُود) قد نزل وتلقاهم بجيشه ، وأحسن التحية ، ومشى في ركاب المسلمين ، حتى نزلوا في مرج هناك . فلما استقروا قدّموا الأموال وكتبوا له بذلك عهداً . ونظر المسلمون من أهل اليمن وبادية العرب إلى الأرمنيات والرؤميّات وحُسينهنَّ وجَمالهنَّ ، فمالت همهم إليهنَّ واشتغلوا بهنَّ عن الجهاد ، وتسروا أكثرهنَّ ، فلما نظر عياض رضي الله عنه إلى ما فعلوا صعب عليه وكبر لديه ، فأمر مواليه أن يأتوا بهم إليه ، فافترقوا^(١) في طلبهم فمَن أذنب منهم ذنباً أمَرَ به ، فأخذ منه حقَّ الله وقال : « أَكْفَرُ بعد إيمان أم ضلالة بعد برهان . أبهذا أمِرتُم ، أم لهذا خلقتُم ؟ أَمَا سمعْتُم ما قال من أمره بين الكاف والنون ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »^(٢) والله لقد كنت عند رسول الله ﷺ في المسجد حال خُلوة إذ دخل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه فسلم ثم جلس ، فقال له النبي ﷺ : « أركعت »^(٣) فقال : لا قال : قم فاركع ركعتين فإن لكل شيء تحية ، وتحية المسجد ركعتين ، فقام فركع ثم جلس . فقال : إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة . قال : يا أبا ذر خيرٌ موضع من شاء استكثر ومن شاء استقلل . قال : أي الأعمال أفضل ؟

(١) انظر فتح الشام للواقدي ١٠٨/٢ .

(٢) سورة الحجرات . الآية ١٣ .

(٣) انظر الحديث في : كنز العمال ٧/٢١٧٣٢ .

فقال : الإيمان . فقال : وما الإيمان . قال : الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله . قال : فأَيُّ المسلمين أسلم ؟ قال : من سلم الناس من لسانه ويده . قال : فأَيُّ المؤمنين أكمل ؟ قال : أكملهم أحسنهم خلقاً . قال : فأَيُّ الليل أفضل ؟ قال : جوف الليل الفائز . قال : فأَيُّ الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت . قال : فأَيُّ الصدقة أفضل ؟ . قال : جَهْدٌ من مُقِلٍّ إلى فقير من يُسِرِّ . قال : فأَيُّ المجاهدين أفضل ؟ قال : من عقر جواده وأهريق دمه . قال : فأَيُّ آية أنزل الله عليك أعظم ؟ . قال : آية الكرسي . ثم قال : يا أبا ذرٍ ما السموات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كحلقةٍ في أرضٍ فلاةٍ ، وفضل العرش على الكرسي ، كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة . قال : فكم عدد الأنبياء ؟ قال : مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي ، جمٌّ غفير يعني كثيراً طيباً . قال : فكم المرسلون منهم ؟ قال ثلثمائة وثلاثة عشر . قال : كم كتاب أنزل الله عز وجل ؟ . قال : مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل على شيت خمسين وعلى إدريس ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، وعلى موسى عشرَ صحائف من قبل أن يُنزل التوراة ، ثم أنزل الله التوراة والزبور والانجيل والفرقان . قال : فمن كان أول الأنبياء مكملاً ؟ . ثم قال : يا أبا ذرٍ أربعة أنبياء سُرِيَانِيُون آدم وشيت وأخنوخ وهو إدريس ونوح . وأوّلُ من خطَّ بالقلم إدريس . وأربعة من العرب : هود وصالح وشعيب ونبِيُّكم ﷺ . قال : يا رسول الله من كان أوّل المرسلين من أنبياء بني إسرائيل ؟ قال : موسى قال : فمن كان آخرهم قال : عيسى وفيما بينهما ألف نبي . قال : فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالاً كُلُّها مثل : أيها الملكُ المغرورُ المبتلى إني لم أُخَوِّك في دار الدنيا على أن تجمع الدنيا بعضها إلى بعض إنما خَوِّلتك لتردَّ عني دعوة المظلوم ،^(١) فإني لا أردّها ، ولو كانت من كافرٍ ، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن لا يغفلَ عن أربع

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٨/٢ .

ساعات ؛ ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يتفكّر في صنع ربّه وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلو فيها بحاجته فيما يحلّ ويجمل . فإن في هذه الساعات عوناً على الطاعات وإجماماً للقلوب ، وحقيقاً على العاقل أن لا يظنّ إلا في ثلاث ، زاد في معاد ومرة في معاش ، ولذّة في غير تحریم ؛ وحقيق على العاقل أن يحفظ لسانه ، ويعرف أهل زمانه ويقبل على شأنه .

قال : يا رسول الله ﷺ : وما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال : كانت عبراً وأمثالاً كلّها : عجب لمن أيقن بالقدر كيف يحزن ؟ وعجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح . وعجب لمن أيقن بالنار كيف يفرح ؟ وعجب لمن رأى الدُّنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئن إليها حالاً بعد حال وعاماً بعد عام ؟ قال : يا رسول الله أفي أيدينا شيء مما أنزل الله عليك من صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام ؟ قال : اقرأ ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ [الأعلى ١٤] إلى آخر السُّورة قال : أوصني . قال : أوصيك بتقوى الله فإنه جماعُ الأمر كلّهُ قال : زدني . قال : عليك بتلاوة القرآن واذكر الله تعالى كثيراً فإن ذكره نورٌ لك في السماء ، ونور لك في الأرض ^(١) . قال : زدني . قال : عليك بطول الصّمت فإنه مطردةٌ للشياطين وعونٌ على أمر دينك ودُنياك . قال : زدني . قال : لا تأخذك في الله لومةً لائم . قال : زدني . قال : حبّ المساكين وجالسهم . قال : زدني . قال : إياك وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ويذهب ماء الوجه . قال : زدني . قال : عليك بالجهاد فإنه رُهبانيّة أمتي . قال : زدني . قال : يا أبا ذرٍ ليسعك بيتك وإليك على نفسك ، كفى بالمرء عيباً أن يكون فيه ثلاث خصال ، أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه وأن يُعيب الناس بما يعلم من نفسه ، وأن يؤذي جليسه . يا أبا ذرٍ لا زينَ كالورع ، ولا ورع كالزُّهد ، ولا زهد كحسن الخلق ، وإياك والخمر فإنه جماعُ الإثم ورأس البلايا ومُكمنُ الشر ، وباب المعاصي إياك وإياك :

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٩/٢ .

قال : عياض بن غنم وإنما ذكركم بوصية نبيكم كي تعلموا صدقها وتعملوا بها ولا تفسدوا جهادكم بمعاصيكم^(١). وبعد هذا عزيمة من الله تعالى ورسوله ومن خليفته في الأرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه . إن بلغني أن رجلاً منكم ارتكب معصية أو شرب خمرًا لأجعلن رأسه غمدًا لسيفي هذا . ثم قرأ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ، والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾^(٢) . قال : فتأبوا على يديه ، وصافحوه ودعا لهم وقال : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

٢ - فتح أرمينية وأخلاق وقف وأنظر

قال الراوي : ولما كان من الليل دخل إليه يوقنًا في حال الخفاء من الجواسيس وحده بأمر طارون ، وأنها قد وهبت نفسها لله تعالى ومضت لتنظر كيف تعمل حيلة في تسليم المدينة للمسلمين وقد وعدت أنها أن أسير إليها لأعينها على ذلك .

قال عياض رضي الله عنه : على ما ذكرت ، فيجب علينا أن نطلع عليه خالدًا والصحابة .

فقال يوقنًا : افعل ما فيه الصواب . قال : فاستحضر عياض لخالد ومعاذ وقيس والمسيب^(٣) بن نجبة ، وعمرو بن معدي كرب وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين وحدثهم بالحديث . وقال : ما ترون من الرأي ؟ فقال خالد : أصلح الله الأمير ، إذا كان الأمر على ما ذكرت ؟ فابعث

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٩/٢ .

(٢) سورة المائدة الآية ٩٠ .

(٣) المسيب بن نجبة : ابن سعد ، طبقات ٢٩٢/٤ و٢١٦/٦ .

يوقنًا رسولًا ونحن معه ، فإذا حصلنا هناك رأينا الأمر وجوهاً ، والحاضر يرى ما لا يرى الغائب . قال عياض : فعولوا على بركة الله وعونه ، وامضوا رسلًا إلى صاحب أخلاط^(١) .

قال الراوي : فشَدُّوا على أنفسهم وساروا صحبه يوقنًا ، وهم خمسة وثلاثون من الصحابة وعشرون من غلمان يوقنًا ، وساروا مُجذِّين إلى أن أتوا إلى أخلاط ونظرت إليهم الأرمن والروم فعرفوا أنهم رسلٌ من العرب ، فأعلموا الملك يوسطينوس^(٢) بقُدوم أصحاب رسول الله ﷺ فأمر بإحضارهم إلى مجلسه فخرجت البطارقة والحجاب إلى باب روما^(٣) وهو باب بدليس ، فوجدوهم هناك قياماً على خيولهم ، فقالوا لهم : إن الملك قد أمر بحضوركم إلى عنده . قال : فَمَضُوا إلى باب دار الإمارة فأوقفوهم هناك ، ودخلوا ليستأذنوا لهم فأذن لهم ، فدخلوا فلما توسَّطُوا الدهليز أراد الغلمان أن يُزِيلُوا سُيوفهم عن عواتقهم . فقال خالد : إِبَّا قَوْمٌ لَا نَسْلُمُ عَزَّنَا لغيرنا ، فإن الله تعالى بعث نبيَّنَا ﷺ بالسيف ، وقد قَلَدْنَا إِيَّاه فَلَسْنَا نزيل ما خصَّنَا الله به ورسوله . فدخل الحُجَّاب إلى الملك وحدَّثُوهُ بما دخل منهم . وقالوا : ما يدخلون إلا بسيوفهم . فقال الملك : فكأنا أمرنا بخلع سُيوفهم وسلاحهم خيفةً منهم وإنما هو ناموس الملوك ، وإذا أَبَوْا ذلك فدعوهم ، وما اختاروا لأنفسهم . قال : فخرج الحُجَّاب ودخلوا بهم إليه فلما وقعت أعينهم عليه سلَّمُوا بتحية الإسلام ، وجلسوا على الأرض كأنهم السَّباع ، وكلُّ منهم قد جعل يده على قائم سيفه ، وكان الملك يوسطينوس قد بلغه ما هم عليه من الدِّين والزُّهد في الدنيا فأوصى أصحابه أن لا يزعموا عليهم ولا يأمرهم

(١) أخلاط : انظر ص ٢٠٢ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٩/٢ ، والكامل لابن الأثير ٢/٥٣٥ .

(٣) باب روما : باب بدليس أحد أبواب خلاط / الأعلام الخطيرة ٣/٥٥٣ .

بالشُّجود ، فإنهم لا يجيبون إلى^(١) ذلك ، وربما يكون إخرافاً بناموس الملك ، فلما استقر بهم الجلوس تكلم ترجمان الملك^(٢) . وقال : يا هؤلاء لَمْ أَتَيْتُمْ إلينا وقدمتم علينا ؟ . فقال يوقنا : أمير جيوش المسلمين بأرض ربيعة^(٣) ويدليس بعثنا رُسُلاً إليكم ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتدخلون فيما دخل فيه كافة الناس . أو تؤدوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون . قال : فأعلم الترجمان بما قال يوقنا .

قال : حدَّثنا محمد بن أحمد بن النضر الأزدي . قال : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثني زائدة بن قدامة . وربما أنه لم يكن ترجمان بين يوقنا وبين صاحب خلاط ، وإنَّما كان المتكلم بالرُّومية يوقنا وهو لسان القوم .

قال الحسين بن حميد بن الربيع . حدَّثنا مالك بن إسماعيل التَّهْدي ، قال : حدَّثنا عبد السلام بن حرب . قال : كان الترجمان بينهم حاجبه لأنَّ نَسْطُورِس كان أرمنياً لا يتكلم إلا بلسان الأرمن . قال الراوي : وكان يوقنا روميّاً وأحدهما لا يُحسن بلسان الآخر وهذا هو الأصح .

قال الراوي : فلما بَلَغَ الحاجب الرسالة من يوقنا للملك صعب عليه وغضب ، وقال : وحقُّ ديني وحقُّ الإنجيل ، وما فيه من التحريم والتحليل ، لا أطعناهم ولا دخلنا في ملَّتْهم أو نموت عن آخرنا ، وإن الذين لَقَوْا هؤلاء العرب لم يكونوا من رجالنا ولا من جنسنا ، ولسنا مثل جيش الرُّوم ، بل لنا الشَّدة والبأسُ والقوة والمراسُ ونحن نرمي عن الأقواس بالنشَّاب^(٣) ، والعرب

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٩/٢ .

(٢) أرض ربيعة : بلاد واسعة في الجزيرة ، وقصبة مدنها نصيبين ومن مدنها وآمد ودارا ورأس العين وكثير من القرى والقلاع / الأعلام الخطيرة ٥/٣ ، المسالك والممالك ص ٩٥ ، معجم البلدان ١٠٢/٣ .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ١٠٩/٢ .

تسمّيه قاطعُ الأسباب ، وها أنا أبعث إلى صاحبِ خَوَى^(١) وسلواس^(٢) . وهو (البرَنْجَمُ بن قالا) ، ونستنصرُ عليهم باشلاغُورس ابن ميخائيل ملك^(٣) الكرج ، ونردُّهم على أعقابهم ونستخلصُ البلادَ من أيديهم ، وليس لهم عندنا غيرُ هذا . قال : فَبَلَغَ الترجمان ليوقنًا ما تكلم به الملك . فعند ذلك قال يوقنا لترجمان الملك : قل لصاحبك يأذن لنا في الإنصراف لِنُعلم الأمير بالجواب . قال : فحدّث الترجمان الملك بما قال يوقنًا . قال : قد أذنتُ لهم في ذلك ، ولكن يأتون عندنا الليلة وغداً ينصرفوا . ثم أمر بهم إلى موضع ينزلوا فيه . فخرجوا من عنده إلى الموضع الذي أعدَّوه لهم ونزلوا فيه ينتظرون ما يكون من أمر الجارية طارون . قال : فلما خرجت الصُّحابة من عند الملك ، ركب من ساعته إلى بيعة يوحنا وجاء إلى ابنته ، فقال : يا بنية إن العرب قد وجَّهوا إلينا رجالاً رسلًا منهم ، وقالوا : كذا وكذا وأجبَّتهم بكذا وكذا . فما ترين من الرأي ؟ فقالت : أيها الملك وأين هم ؟ قال : عَوَّقتهم هذه الليلة حتى أشاورَكَ في الأمر . فقالت : أريد أن أرى هؤلاء القوم ، وأنظر من هم من المسلمين ، فإنه لا يخفى عليَّ منهم أحدٌ ، فإن كانوا من وجوه العرب والأمراء فدعني أتحدث معهم ، واسأَلُهُمْ وسوف أُطِيب قلوبهم أنَّكَ تدخلُ في صلحهم وأطمعهم في ذلك^(٤) . فإذا اطمأثوا، إلى ذلك ، أمرتُكَ بالقبض عليهم ، وأتركهم في دار الإمارة ، حتى لا يكون لهم خلاص ، فإذا قبضت عليهم ، نفَّذ إلى صاحبهم أنَّكَ متى تقدمت إلينا مرحلةً واحدةً نفَّذت برؤوسهم إليك ، فإذا سمع بذلك لم يتقدم ويقع الصُّلحُ على أن تسلَّم إليهم أصحابهم ، وينصرفوا

(١) خوى : إحدى نواحي الجزيرة ، تبعد عن تكريت مسيرة يومين ومثلها عن مدينة ماردين انظر مدينة ماردين ص ٣٣٢ / وفتوح الشام للواقدي ١١٢ / ٢ .

(٢) سلواس : إحدى قلاع أرمينية الهامة / فتح الشام للواقدي ١١٢ / ٢ .

(٣) الكرج : قوم يسكنون جبل القيق وبلد السرير / معجم البلدان ٤٤٦ / ٤ .

(٤) انظر : فتوح الشام للواقدي ١٠٩ / ٢ .

عنك وعن قتالك وليس رأيي أوفق من هذا . قال : يا بنية المسيح يطوّلُ عمرَكَ ويرفع قدرَكَ ، قومي بنا إليهم وأشرفي عليهم ودعي هذه البيعة والزمي البيعة التي لنا في دارنا ، فإنّك كلما أقمت ها هنا كان إخراجاً بنا ، وإن كان مقصودك العبادة ، فالعبادة حيث كنت . فلما سمعت قوله قالت : لست أبرح من ها هنا أو يأمرني بترك هذه الأرض . قال : فبعث الملك بعض حجابيه فأتاه بالبترك . فلما جاءه قام إليه الملك وعظمه وأجلسه إلى جانبه وحدّثه بقصة ابنته . فقال لها البترك : أنا أذنّت لك أن تتعبدتي حيث شئت ، وقد استوهبت ذنوبك من المسيح وغفرت لك . قال : فقبلت يده وأعلى وجهه ودعت له ، وقُدّم لها بعض مراكيب أبيها ، فركبت ، ومضت إلى الدار التي نزل فيها أصحاب رسول الله ﷺ ، ولم يدخل سواها وابوها . فلما نظرت إلى يوقنا فرحت واستبشرت . وقالت : أيها السّيد إن أبي جاهلٌ بأموركم^(١) ، وحقّ ديني ما رأيت منكم إلا خيراً ، وسوف أجاريكم على ذلك . ولولا محبة الوطن والمسيح ما كنت فارقتكم ساعة واحدة . ثم خرجت ومضت مع أبيها إلى قصرة . وقالت : أبشرك بما يسرك ، إن هؤلاء القوم هم وجوه عسكر المسلمين ، والذي عليه زيّ الروم هو يوقنا بطريق حلب الذي طرده المسيح عن بابه ، والرأي أن تطلبهم إلى هذه الدار ثم نقبض عليهم من حيث لا يقف أحد على سرّنا .

قال : ففرح بقولها وبعث حجابيه ، فأتوا بأصحاب رسول الله ﷺ ويوقنا وأنزلوهم في بعض الحُجر .

قال الواقدي رحمه الله : وكان أصحاب عمل أبيها من البطارقة والمقدّمين ، من أهل القلاع والحصون ، قد أتوا بأجمعهم يُهتّون الملك برجوع ابنته وسلامتها ، وعوّدها إلى دين المسيح . قال : ولما كان بعد ثلاثة

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١١٠/٢ .

أيام قالت طارون لأبيها : من الصَّواب أنه إذا كانت هذه الليلة نسير أنا وأنت ونجلس عند القوم ، ونأكل معهم ونؤنسهم هكذا ليلتين أو ثلاثاً حتى يطمئنوا إلينا ، وبعد ذلك نقول لهم : أريد أن أُشاوَرَ أرباب دولتي في أمركم ، فإما نصالح أو نؤدي الجزية أو نقاتل ثم نبعث لهم طعاماً مبنجاً فإذا حكم عليهم النوم قبضنا عليهم وفعلنا ما أشرت به عليك . قال : ففرح أبوها بقولها ، فلما جنَّ الليل جاءت مع أبيها وتحدثت معهم ساعةً واحدة ثم انصرفا جميعاً فلما كان من الغد خرج أبوها وقعد على سريره ^(١) ، ودارت به أرباب دولته ، وأقبلت طارون إلى يوقنا . فقالت : إذا جئت الليلة مع أبي فدونكم وإياه ، ولا تهملوه فإنه اتفق رأيهُ على كذا وكذا . فشكروها على فعلها .

ومضت عنهم فلما كان من الليل جاءت إليهم مع أبيها ، فتقدمت كأنها تحجبه وأشارت أن لا تعجلوا عليه بالقتل وامسكوه . قال : ثم تحدثوا ساعة وخرج الملك وطارون معه ، فلما استقرت في حجرته الخاص . قال لها : يا بنية أما ما ذكرت من أمر القبض على العرب في هاتين الليلتين أو ثلاث فليس بالصَّواب ، وذلك أنني أريد أن أجمع الملوك والولاة وكل من هو تحت يدي ، من سائر البلاد في البيعة المكرمة وهي بيعة يوحنا ، وأولئك على سائر بلادهم ونأخذ لك عليهم عهداً ، واستحلفهم أن لا يخامروا عليك ، وأعطيتهم المال والرجال والعُدَّة نُقُوِّهم ونبعث الأموال والخزائن والذخائر إلى قلعة يَرْقِيوس ^(٢) فإنها أَمْنُ قلاع الأرض وأحصنها .

قال الراوي رحمه الله : وهذه القلعة التي ذكر وسطَ بحيرة أرجيش ^(٣)

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١١٠/٢ .

(٢) قلعة يرقويس : قلعة منيعة حصينة مبنية في وسط بحيرة أرجيش / فتوح الشام للواقدي ١١٠/٢ .

(٣) بحيرة أرجيش : تقع في بلاد أرمينية قرب مدينة خلاط / فتوح الشام للواقدي ١١٠/٢ .

لا سبيل لأحد عليها ، ثم إني إذا وَلَّيْتُكَ أَطْلَقْتُ هَؤُلَاءِ الْعَرَبَ ، ثُمَّ أَقَاتِلْهُمْ فَإِنْ هَزَمْتَهُمْ كَانَ الْمَرَادُ ، وَإِنْ هَزَمُونِي كَانَ لِي أَسْوَةٌ بِالْمُلُوكِ وَبِمَنْ قَتَلُوهُ ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَى الْمَلِكِ دَرْفَشِيلَ بْنِ لَازِزٍ صَاحِبِ أَرْزُنْ^(١) الرُّومِ أَنْ يَقْدُمَ إِلَيَّ . بِجِيُوشِهِ جَمِيعاً وَوَعَدْتَهُ بِزَوَاجِ أُخْتِكَ (مَارُونَ) فَمَا تَرَيْنِ مِنَ الرَّأْيِ ؟ قَالَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ فَإِذَا عَزِمْتَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ، فَلَا تَتْرِكْ هَؤُلَاءِ الْعَرَبَ حَتَّى تَجْتَمِعَ الْعَسَاكِرُ كُلُّهَا وَيَقْدُمَ الْمَلِكُ دَرْفَشِيلُ كَمَا ذَكَرْتَ بِجِيُوشِهِ ، وَلَا يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَطْلُقِ الْعَرَبَ ، فَإِذَا سَارُوا مِنْ عِنْدِكَ إِلَى أَصْحَابِهِمْ ، أَسِيرَ بِالْجِيُوشِ فِي إِثْرِهِمْ وَاكْبَسَ عَلَيْهِمْ جِيْشَهُمْ .

قال : يَا بَنِيَّةُ لَيْسَ هَذَا رَأْيًا جَيِّدًا أَنْ نَتْرُكَهُمْ مِنْ أَيْدِينَا ، بَلْ نَبْعَثْ إِلَى صَاحِبِهِمْ نَقُولَ لَهُ : إِنَّهُمْ مُكْرَمُونَ عِنْدَنَا ، وَقَدْ اتَّفَقَ أَنْ نَجْتَمِعَ يَوْمَ عِيدِنَا ، وَنَدَبِّرَ أَمْرَنَا ، فِيمَا نَصَالِحُكُمْ بِأَدَاءِ الْجِزْيَةِ وَإِمَا نَقَاتِلُكُمْ وَيَنْصُرُ اللَّهُ مِنْ يَشَاءُ . وَنَأْمُرُهُمْ أَنْ يَتَقَدَّمُوا إِلَيْنَا إِلَى مَرْجٍ وَسَطَانَ^(٢) ، فَهُوَ مَرْجٌ وَاسِعٌ لِلْقَاءِ ، أَوْ نَأْمُرَ الْعَسَاكِرَ أَنْ تَضْرِبَ مَعَهُمْ مَصَافًا وَنَدُورَ مِنْ حَوْلِهِمْ وَالْبِلَادَ بِلَادَنَا وَنُخْبِرَ بِهَا مِنْهُمْ وَنَسُدَّ عَلَيْهِمُ الدُّرُوبَ فَمَا يَنْجُو مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ نَسِيرُ بِالْجِيُوشِ وَنَأْخُذُ دِيَارَ بَكْرِ وَأَرْضَ رِبِيعَةٍ ، فَلَا يَبْقَى فِيهَا مَلِكٌ سَوَانَا . فَقَالَتْ طَارُونُ : أَفْعَلْ مَا تَشَاءُ فَأَنَا بِحُكْمِكَ ثُمَّ تَرَكْتَهُ وَانْصَرَفْتُ إِلَى مَوْضِعٍ مِنْهَا . فَلَمَّا عَلِمَتْ أَنَّ أَبَاهَا قَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ تَسَلَّلَتْ وَأَتَتْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَدَّثَتْهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ رَأْيُهُ .

قال خالد رضي الله عنه : إِنْ اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى يَهْيَى أُمُورَنَا مِنْ غَيْرِ

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ١١٠/٢ .

(٢) مرج ووسطان : سهل فسيح في أرمينية بالقرب من مدينة ووسطان التي تقع على حافة بحيرة أرغيش (وان) . وفيه دارت معركة هامة بين المسلمين والروم وحكام أخلاط . / تقويم البلدان ٣٩٦ ، ٣٩٧ / .

تعب ، وإنه سبحانه وتعالى إذا أراد أمراً هياً أسبابه^(١) .

فقال يوقنا : وكيف ذلك يا صاحب رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، إن أمورنا بحمد الله منوطة بالتَّصَرُّ ، وقد كفانا الله بكرمه أمر ديننا ودنيانا وعاقبة الصبر محمودة والعجلة بالخذلان مردودة ، ومن صبر قَدِرُ ومن تأتَّى ظفر ، واعلموا أن هذا الرجل قد عوَّل أن يجمع ملوك هذه الأرض وجيوشها ، ويُعوِّل على لقائنا ؛ والصواب أنَّنا نصبر حتى يجتمعوا ، ويأتي صاحب أرزن الروم ؛ فإذا اجتمعوا كان لنا تدبير على أخذ القوم إن شاء الله تعالى . فقالت طارون : والله لقد صدقت يا صاحب رسول الله ﷺ ، وعليَّ إن شاء الله تعالى أن أجعل الملك في أيديكم ، فإن أبي لا يقدر أن يُؤلِّني إلا في البيعة بمحضر من أصحاب القلاع والحصون والولاة ويأخذ العهد عليهم ، ولنا بعد ذلك تدبير ندبره ، وإن أتى صاحب أرزن الروم فهو تمام السعادة ، ولعلَّنا نقبض على الكلِّ ويسير العبد الصالح بزي صاحب أرزن الروم فهو تمام السعادة فلعله يملكها إن شاء الله تعالى . ونكون قد أظفرنا الله تعالى بالأرب ، وأنزلنا بأعدائنا العطب .

قال : ثم انصرفت من عندهم .

قال : حدثني صالح بن عمران قال : حدثني هارون بن معروف عن عبد الرحمن بن عوف بن الحسن عن حمَّته . قالوا جميعاً : أو من قال منهم : إنه لما اتفق رأي يوسطينوس الملك^(٢) صاحب أخلاط وبلاد أرمينية على ما ذكرنا ، وإنه لما أصبح بعث إلى سائر عُمَّاله وولاة الحُصُون ليحضروهم عنده فجاءوا جميعهم ، ولم يتخلف منهم أحدٌ ، وجاء دَرَفْشِيل بن لاوز من أرزن الروم بعسكره ، وكان اجتماعهم في أيام عيدهم الكبير ، وزُيِّنَت البيعة وأسبَلَت

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ١١٠/٢ ، ١١١ .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ١١١/٢ .

سُتُورِهَا وَعُلِّقَتْ قَنَادِيلُهَا ، وَجَاءَت الْأَقْسَّةُ وَالرَّهْبَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَمَكَانٍ ، وَحَضَرُوا فِي الْبَيْعَةِ وَصَلُّوا وَقَرَّبُوا الْقَرْبَانَ ، فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ صَلَاتِهِمْ جَلَسَ الْمَلِكُ عَلَى سَرِيرِهِ وَابْتَنَتْ إِلَى جَانِبِهِ ، قَالَ لِلْمَلُوكِ وَالْبَطَارِقَةِ : اْعْلَمُوا أَنِّي مَا جَمَعْتُكُمْ إِلَّا لِأَمْرٍ أَعْرَضُهُ عَلَيْكُمْ ، يَكُونُ فِيهِ ثَبَاتٌ لِمَلِكُكُمْ وَدِينُكُمْ ، وَقَدْ عَوَّلْتُ عَلَى أَنِّي أُؤَلِّي أَمْرَكُمْ إِلَى الْمَلِكَةِ طَارُونَ ، فَإِنَّهَا كَمَا عَلِمْتُمْ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْبِرَاعَةِ وَالتَّدْبِيرِ فِي الْحَرْبِ وَلِقَاءِ هَؤُلَاءِ الْعَرَبِ ، فَإِنْ قَضَى اللَّهُ بِأَمْرٍ تَكُونُ هِيَ مَلِكَةً أَمْرَكُمْ وَالْخَلِيفَةُ فِيكُمْ . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعُوا قَوْلَهُ ، قَامُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَصَعِقُوا لَهُ وَقَالُوا : نِعَمَ الرَّأْيِ رَأَيْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ فَأَنْجَزْ أَمْرَكَ . فَعِنْدَهَا وَثَبَ قَائِمًا وَأَزَالَ التَّاجَ عَنْ رَأْسِهِ ، وَأَلْقَاهُ عَلَى رَأْسِهَا وَمَسَكَ بِيَدِهَا ، وَوَقَفَ عَنْ يَمِينِهَا يَحْبِبُهَا ، وَوَقَفَ دَرَفْشِيلُ عَنْ يَسَارِهَا ، وَصَقَعَ لَهَا الْمُلُوكُ وَأَعْطَوْهَا الْبَيْعَةَ ، وَتَقَدَّمَتِ الْأَقْسَّةُ وَالرَّهْبَانُ وَأَخَذُوا عَلَيْهِمُ الْعُهُودَ وَالْمَوَائِقَ فَأَجَابُوا وَأَطَاعُوا ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ^(١) زَوَّجُوا (فَارُونَ) بُولَدَ دَرَفْشِيلَ صَاحِبَ أَرَزُنَ الرُّومِ ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنَ الْبَيْعَةِ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ وَأَكَلُوا السَّمَاطَ وَخُلِعَ عَلَيْهِمْ وَزُيِّنَتِ الْمَدِينَةُ ، ثُمَّ ضَرَبُوا خِيَامَهُمْ بِظَاهِرِ الْمَدِينَةِ وَعَوَّلُوا عَلَى لِقَاءِ الْعَرَبِ .

قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوْحٍ قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ . قَالَ : بَلَّغْنَا أَنَّ عِيَاضَ بْنَ غَنَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا وَجَّهَ خَالِدًا وَأَصْحَابَهُ إِلَى يُوسُطِينُوسَ مَلِكِ أَرْمِينِيَّةٍ وَأَخْلَاطَ ، وَاسْتَبْطَأَهُمْ سَاءَتْ بِهِ الظَّنُونُ فَارْتَحَلَ مِنْ بَدْلَيْسَ بِجِيُوشِهِ ، إِلَى أَنْ نَزَلَ بِمَرْجٍ وَسَطَانٍ مِنْ أَرْضِ أَرَزْنِ ، وَوَجَّهَ عِيُونَهُ إِلَى أَخْلَاطَ ، فَغَابُوا عَنْهُ أَيَّامًا ثُمَّ عَادُوا يُخْبِرُونَهُ ، أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ وَلَّى ابْنَتَهُ طَارُونَ فِي الْمَمْلَكَةِ ، وَعَقَدَ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهَا ، وَقَدْ بَايَعَهَا سَائِرُ الْمُلُوكِ ، وَقَدْ زُيِّنَتِ الْمَدِينَةُ لِأَجْلِ ذَلِكَ ، وَقَدْ قَدِمَ مِنْ أَرَزْنِ صَاحِبُ الرُّومِ وَزَوْجُ ابْنَتِهِ بَابْنَةَ صَاحِبِ أَخْلَاطَ أُخْتُ طَارُونَ وَالْقَوْمُ قَدْ عَوَّلُوا عَلَى لِقَائِكَ .

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١١١/٢ .

قال : فلما سمع عياض ذلك من عيونه . قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، غررنا بأصحابنا ورب الكعبة . قال المسلمون : وكيف ذلك يا صاحب رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم ، أصحابنا مضوا لأمرٍ يأملوه وقد انفسد عليهم ذلك . فقالوا له : اتق الله وتوكل عليه ، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ، وما كان الله سبحانه وتعالى يتخلى عن نصرته ، وقد توجهوا لإعزاز دينه ونصرة شرع نبيه ، فهو تعالى لا يخلف الميعاد^(١) قال جل جلاله : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾^(٢) وأنت تعلم أنه من أصبح وجب عليه أربعة أشياء : أولها أن لا يخاف إلا الله ، والثانية أن لا يرجو إلا الله ، والثالثة أن لا يطيع إلا الله تعالى ، والرابعة أن يتوكل على الله تعالى . فقال عياض : توكلنا على الله تعالى وفوضنا أمرنا إليه .

قال الواقدي رحمه الله : وهؤلاء يريدون وقد قضي ما يكون ، وذلك أن عياضاً أقام على وسطان عشرة أيام ، فمرض وأقبل الصحابة يعودونه . فقال : إذا أراد الله بعبده خيراً زاره ، ولقد كنت عند رسول الله ﷺ تحت شجرة ، وهو جالس على كساء فذكر الأسقام والأمراض وقال : « إن^(٣) المؤمن إذا أصابه الشقم ثم عوفي ، كان كفارة لما مضى من ذنوبه ، وموعظة فيما يستقبل ، وإن الكافر إذا أصابه الشقم ثم عوفي ، كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه ، فيما لا يدري لماذا أرسلوه » . فقال رجل ممن كان قاعداً : أما أنا فما أصابني سقم قط . فقال النبي ﷺ : « قم عتاً فلست منا »^(٤) فبينما نحن في الحديث إذ أتاه رجل معه أفراخ طائر قد ألحف^(٥) عليهن بكسائه . قال : يا رسول الله إني لما

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١١١/٢ .

(٢) سورة الروم الآية ٤٧ .

(٣) انظر الحديث في : كنز العمال ٦٦٨٦/٣ .

(٤) انظر الحديث في : كنز العمال ٤٦٦٩/٢ .

(٥) ألحف : تغطى بالثوب ، واللحاف : ما يلتحف به .

رأيتك مقبلاً مررت بِغَيْضَةِ ذات شجر ملتف ، فيها أصوات أفراخ طائر ، فجئت فأخذتُهنَّ في كسائي ، وأقبلتُ بهنَّ فاستدارت أمهنَّ على رأسي ، فكشفت لها فوَقعتُ أمُهنَّ بهنَّ وها هُنَّ معي^(١) . فقال رسول الله ﷺ : « ضَعْنُ فَوْضَعِهِنَّ فقال النبي ﷺ : لا تعجبوا لأمِّ أفراخٍ لأفراخِها فوالله إن الله أرحمُ بعبده المؤمن من أمِّ الفِراخِ بفراخِها ، فارجع بهنَّ فضعهنَّ في موضع ما أخذتُهنَّ » .

قال الواقدي رحمه الله : وعوفي عياض بن غنم رضي الله عنه ، فبينما نحن فرغنا من الحديث وإذا هو قد ركب مع وجوه أصحابه ، يسير وقلبه مشغول من جهة خالد وأصحابه ، وإذا قد أقبل سعيد بن زيد وهو ينادي : الرجال الرجال ، الوغى الوغى العجل العجل ؟ .

فأسرع إليه عياض رضي الله عنه وقال : ما بك يا ابن زيد ؟ قال : الحق خالداً ومن معه فقد وقَعُوا في بحرٍ لُجِّي ليس له ساحل . قال : فلما علم عياض بذلك عن القوم من سعيد امتقع لونه وتزعزع وقال : يا صاحب رسول الله وكيف ذلك ؟ . قال : أيها الأمير اعلم أن الجارية طارون ، لما ولَّاهَا أبوها وبارك فيها . استعجلت على الملك فقتلته ، وبعثت إلى الملوك بالليل على لسان أبيها وأحضرتهم فقتلتهم ، فاطلع على سرِّها أحد الغلمان ، فمضى إلى الولاية والبطارقة وحَدَّثَهم بما جرى ، فلبسوا السلاح ، فلما كانت بالأمس ركبت في جيش أبيها إلى الميدان ، وركبنا لركوبها فما أَحَسَّنا بالقوم إلا وقد حملوا علينا . وقالوا : أظننتم أن المسيح يغفل عن أمركم ولا يؤاخذكم بذنوبكم ، وقد أمكن الصليب منكم . ثم هُمُّوا بأخذنا فقاتلناهم قتالاً ما سَمِعَ بمثله^(٢) . وملأنا الأرض من قتلاهم ، فلما جنَّ اللَّيْلُ ، ووضعت الحرب أوزارها ، وانفصل الجيش مع دَرَقَشِيل بن لاوي صاحب أَرُزْن الروم ، وبقي مع الجارية نفر يسير من غلمانها وغلمان أبيها ، وقد فاضت عليهم التَّعم والخلع ، وبعثت

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١١١/٢ .

إلى الأرمن والروم تقول : إنما فعلت ما فعلت شفقةً عليكم وصوناً لحريمتكم ، لأنهم أرادوا أن يقبضوا على هؤلاء العرب ويقتلوهم ، وكان أصحابهم لا يتركون منكم مُخبراً ، فلما بلغهم رسالتها قال العقلاء منهم : لقد فعلتُ معنا الجميل . وقد أجابها من القوم خمسة آلاف فارس ، وقد تركتُ المصافَّ قائماً وجئتُ إليكم مُستنفراً . فلما سمع عياضٌ قول سعيد أمر الناس بالرحيل . وساروا عدواً أو خبيأً إلى أن أشرفوا على القوم والحرب قد قامت على ساقها . قال : فكبر عياض وكبر المسلمون وحملوا على القوم ، وعمل الحسام فقلق الهام وهشمت العظام واشتدَّ الزحام ، وصبر الكرام وذاقوا طعم الحِمَام بالطعن العتيق والضرب الوثيق ، وعملت الصوارم عمل الحريق ، وجرت الدماء على الأرض مثل الواابل على الشَّقِيق^(١) ، واجتمعت المواكب بعد افتراقها ، وقامت الحرب على ساقها ، وجرت دماء الأبطال على أطواقها ، وطارَت الرؤوس عن أعناقها ، وفاضت الدماء بإهراقها ، واسودَّت الأقطار من مطالع إشراقها ، وحجبت الشمسُ المبرزة بعد اشراقها ، ولقد قاتل خالد وأصحابه رضي الله عنهم قتالاً ما سمع بمثله^(٢) ، وفعل أصحابه كفعله ، واتبعوا في الجهاد جادة سبيله ، وسمعوا تحريضه على القتال وقوله ، واشتافت نفوسهم إلى لذيد وصله ، وقالوا : لعلَّ الله يَمُنُّ علينا بجميل فضله فقد وعدنا بذلك من له المنة وقال : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾^(٣) .

قال الراوي : ونزلت سيوف الصحابة على رؤوس الأرمن والروم ، مثل نزول الصواعق ، واشتدت عليهم الطرائق وحقت الحقائق ، ونزل عليهم البلاء من الخالق ، ونزل على المسلمين النَّصرُ من رب المغارب والمشارك ، فلم

(١) الشقيق : جمع شقائق وهي نوع من الورود الحمراء .

(٢) انظر فتوح الشام للواقدي ١١٢/٢ .

وانظر : الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ٥٣٥/٢ .

(٣) سورة التوبة الآية ١١١ .

يزالوا كذلك حتى انقشع الغبار وزال القطار^(١) ، وأقبل الليل يُؤب^(٢) النهار ، وقد كثر جرحى الصحابة من سهام الأرمن وهلكت خيولهم ، فلما انفصلوا افتقد بعضهم بعضاً ، ففقدوا مائة وعشرين رجلاً من بادية الأعراب ، وافتقد معاذ بن جبل ولده فلم يجده ولما جنَّ الليل دخل رجال من المسلمين لموضع الواقعة فوجدوا ابن معاذ وإذا هو يجود بنفسه ، وقد نالته الجراح فحملوه إلى رَحْل معاذ بن جبل ، فوضعوه على الأرض فقعده معاذ عند رأسه ، فقال عبد الرحمن بن غنم أخو عياض : فلما رأيته يجود بنفسه بكيت وانتحبت .

فقال : مه فوالله لقد سرَّني أن لا يسخط عليَّ ربي ولو أن لي مثل أُحُدٍ ذهباً وما يعلم الله بحسن رضائي ، فهذا أحبُّ إليَّ من كلِّ غزوة غزوتها مع رسول الله ﷺ^(٣) . فقال له ابنه : يا أبت قد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين . ستجدني إن شاء الله من الصابرين . ثم وجب الحق فأغمض عينيه . وقال معاذ لأهله : عجلُّوا جهازه ، وذلك حين أذن المؤذن لأذان الظهر فما انصرف أهل العسكر من صلاتهم إلا وقد كفن في درعه وهو مضمخ بدمائه . وجاء الناس من كل جانب ومكان من جوانب العسكر فوجدوه وقد دفن . فقالوا : رحمك الله ألا انتظرنا حتى نحضر جنازته ؟ قال : ليس ذلك من السنة ، وأن التأخير بالجنازة من أفعال الجاهلية ، وقد كنا نُنهي أن نبطن بموتانا في دفنهم في ساعات الليل والنهار . قال : فلما انتهى به إلى قبره قام وسطه فصلى عليه ، ثم دخل حفرته مع رجل أظنه شرحبيل . قال عبد الرحمن بن غنم : فقلت : أنا الثالث . قال : إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون ، ثم ذهب ليخرج من لَحْدِهِ فناولته يدي فأبى . قال : والله ما تركت ذلك لفضل قوة عندي ، غير أنني أخاف أن يظن الجاهلية أنه استرجاع مني ، ثم رجع إلى رحله

(١) القطار : غبار المعركة .

(٢) يؤب : يتلو .

(٣) انظر : فتوح الشام للواقدي ١١٢/٢ .

وأهله واستدعى يغسل فغسل رأسه ولحيته واندھن واكتحل ، ثم دعا ببردة فلبسها ، وخرج إلى خيمة عياض بن غنم رضي الله عنه وهو يكثر من الابتسام والتكبير^(١) . ليس به إلا ما يسليّه عن ذلك ثم قال : يا بني هنيئاً لك ما أبدلك الله به . قال عبد الرحمن : قلت : وما ذاك ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات^(٢) له ابنٌ وكان به ضنيناً وكان عليه عزيزاً فحسن عليه عزاءه ولم ير منه شيء في قضاء الله تعالى إلا غفر الله عز وجل له وللميت ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله وزوجه الله من الحور العين ، وإن كانت بنتاً زوجها الله من الشهداء^(٣) » . وأوجب الله للمصاب الصلاة والهدى والرحمة وكتب من الشاكرين ، وجاور أيوب عليه السلام في الجنة ، فيقول الميت ﴿ ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ [يس : ٢٧] وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيكم أصابته مصيبة فخرق جيباً خرق الله دينه ومن لطم خدّاً حرّم الله عليه النظر إلى وجهه الكريم يوم القيامة ، ومن دعا عليه ويلاً احتجب الله من دعائه ، ولم ينظر إليه في الموحدنين حياً ولا ميتاً ومن أقام عليه نائحاً كان حقاً على الله تعالى أن يسوق أصحاب المصيبة والنائحة ومن حضرهم على ذلك حتى يقذفهم في النار مع المنافقين في الدرك الأسفل ولم يجدوا لهم نصيراً » .

قال الراوي : فعزّاه عياض والمسلمون . فقال : قد فعلت ثم تلا : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾^(٣) . قال الواقدي رحمه الله : ولما كان من الغد ركب المسلمون يطلبون الجهاد ، وإذا بكتيبة من الخيل قد أقبلت بلا سلاح ، فلما قربوا من المسلمين ترجلوا وقصدوا الأمير فابتدر إليهم يوقئاً ، وقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن أصحاب أرزن الروم وهذا مقدّمنا ، وأشاروا

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١١٢/٢ .

(٢) انظر الحديث في : كنز العمال ٦٦١٤/٣ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

إلى شيخ حسن الوجه منهم ، فخطبه يوقنًا بالرومية وقال له : الله دلّني عليك وقد بثّ البارحة على نية القتال^(١) ، فرأيت المسيح بن مريم في نومي ، وهو يأمرني باتباع دينكم ، وقال : نبيّ هؤلاء العرب هو الذي بشرتُ به وبقدومه ومن رغب عنه فليس مني . قال : فلما سمع يوقنًا قوله ترجّل هو ومن كان معه ، ومشوا بين أيديهم إلى قبة عياض رضي الله عنه وحادثه بما جرى . فقام إليه عياض وصافحه وكذلك المسلمون . ثم حدّث عياضُ مثل ما حدّث يوقنًا ثم أسلم هو ومن معه ، ففرح المسلمون والجارية طارون بذلك ، وسلّمت إليه أختها ليسير بها إلى أرزن الروم ، ويسلّمها إلى ولده ، ونقّدوا معه عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ .

قال الراوي رحمه الله : والعشرة : رواحة بن عبد الله ، وسلامة بن عدي ، والمرقال بن الأكوع^(٢) ، ويحيى بن خويلد^(٣) وجريز ابن صاعد^(٤) ، وعبد الله بن سبرة^(٥) وسهل بن سعد^(٦) ، ومصعب بن ثابت^(٧) ، وحازم بن معمر^(٨) ، وأبو نمير ابن بشار .

قال الراوي : وودع درفشيل عياض بن غنم والمسلمين والعشرة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وسار حتى أتى إلى أرزن الروم . وخرج أهل المدينة إلى لقائهم فلما استقر بهم الجلوس ، عرّضَ درفشيل الاسلام عليهم وحدّثهم بما رأى في نومه .

(١) انظر : فتوح الشام للواقدي ١١٢/٢ .

(٢) المرقال بن الأكوع : لم أعثر له على ترجمة .

(٣) يحيى بن خويلد : هو يحيى بن خالد الصحابي . وخويلد تصحيف / ابن مسعود الطبقات ٤١٤/٥ .

(٤) جريز بن صاعد : انظر جمهرة النساب ٢٩٩ ، ٣٨٠ .

(٥) عبد الله بن سبرة : ابن سعد ، الطبقات ٥٨/٧ .

(٦) سهل بن سعد : ابن سعد ، الطبقات ٤٥٤/١ و ٣٧٦/٢ .

(٧) مصعب بن ثابت : ابن سعد ، الطبقات ٢٩٩/٥ .

(٨) حازم بن معمر : انظر أسد الغابة ٣٦٠/١ .

قال الراوي : فأسلم أكثرهم وأقبل العشرة أصحاب رسول الله ﷺ .
يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام^(١) .

قال : وسلّمت القلاع التي كانت لأخلاق والقلاع والمعاقل للمسلمين ،
فمن أهلها من أسلم ومنهم من أقام على الجزية من العام المقبل ، وبعث
عياض بن غنم رضي الله عنه إلى خوى وسلواس وما يلي تلك الأرض ، فأسلم
أهلها إلا القليل وبعث لهم رجالاً من المسلمين يعلمونهم الشرائع ثم إن عياضاً
رضي الله عنه أمّر طارون على أخلاق .

قال : حدثنا عبد الله . قال : حدثنا يزيد بن عبد الله . قال : حدثنا يزيد
بن موسى القرشي . قال : حدثنا أحمد بن منصور الحشمي . قال : حدثنا
عمرو بن قيس . عن عطية بن سعد ، قال : أخبرنا يوسف بن خالد قال :
حدثنا موسى بن سالم عن عقيل الجعدي عن أبي إسحق الهمداني . قالوا
جميعاً أو من قال منهم : أنه لما فتح الله ديار بكر وأرمينية وأخلاق على يدي
عياض بن غنم ، بعد فتوح أرض ربيعة أرسل عياض بن غنم في طلب الغلام
بوغور ، زوج طارون صاحب كفرتوثا ، فلما قدم قلده أرمينية له ولزوجته
طارون وأخذ عليهما موثقاً من الله تعالى أن يحكما بالعدل ، وأن يتبعا الشريعة
البيضاء . وأن يأمرأ بما أمر الله به ورسوله . ففعلوا ذلك . فلما ارتحل عياض
بن غنم رضي الله عنه من أرض أرمينية . بعد أن بعث أفلح^(٢) مولى
رسول الله ﷺ ، ومائة رجل إلى بلاد العراق . حتى يدعوا الناس إلى الإسلام
وواعدهم بالاجتماع على أرض نينوى^(٣) .

(١) انظر فتوح الشام للواقدي ١١٢ / ٢ . والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٥ / ٢ .

(٢) أفلح : مولى رسول الله ﷺ روى عنه أحاديث كثيرة . / الاصابة ٥٧ / ١ .

(٣) نينوى : انظر الصفحة ٢٣١ .

الفصل الخامس

فتح حصون ابن عمر وجبل مارون وشرق دجلة

قال : فانصرفوا بالرسالة ومضى عياض بن غنم سائراً على طريقه^(١) الذي ورد عليه إلى أرزن الروم ، وعَزَجَ منها إلى اسْعَرَدَ وأخذ طريقه على عقبة^(٢) بافيا إلى أن نزل بجبل مارون وهو جبل^(٣) فنك .

قال الواقدي رحمه الله : وكان الذي بناها السموءل^(٤) بن عَاديَا ، وذلك أنه كان يسكن قبل ذلك بالأبْلَقِ^(٥) الفرد ، من أرض تيماء^(٦) ، ولما جاء وزير كسرى ، وطلبه هرب منه إلى هذه الأرض وبنى له فيها هذا البلد فلما نزل عليها عياض دعاهم إلى الإسلام ، فأجاب العقلاء منهم ، ومن أبى أقرَّ عليه الجزية ، وكتب لهم عهداً ثم نزل على الشَّمْطَاءِ^(٧) وأسأوح^(٨) ، فأجاب أهلها وأن الذي

-
- (١) انظر : فتوح الشام للواقدي ١١٣/٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٥/٢ .
(٢) عقبة باقياً : تقع على الطريق من أرزن وقلعة فنك .
(٣) جبل فنك : قلعة قرب جزيرة ابن عمر / الأعلام ٢١٥/٣ .
(٤) السموءل بن عاديَا اليهودي : صاحب حصن الأبلق في ديار تيماء . / انظر معجم البلدان ٧٢/٢ .
(٥) الأبلق الفرد : حصن في أرض تيماء كان للسموءل بن عاديَا / معجم البلدان ٧٢/٢ .
(٦) تيماء : بلد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى وصالح أهل تيماء النبي ﷺ سنة ٩ هـ على الجزية / معجم البلدان ٧٢/٢ .
(٧) الشمطاء : أحد حصون الجزيرة / فتوح الشام للواقدي ١١٣/٢ .
(٨) أسأوح : أحد حصون الجزيرة / فتوح الشام للواقدي ١١٣/٢ .

بنى جزيرة ابن عمر رجل من بُرقعيد^(١) . يقال له : عبد العزيز بن عمر فسميت باسمه وكانت تسمى دجلة وزار عياض جبل الجودي وموضع سفينة نوح وكان ملكها يسكن عاديا ، ثم إن عياضاً نزل على ثمانين^(٢) ، وزار أهل تلك القلاع ، وكان يملكها الحر بن صالح ، وكان تحت يده من القلاع كواشي^(٣) والزعفران^(٤) ، وقلعة قفيز ودريش وقلناس وبلون وأنشان واسطون ، وإبدا ووجل والمنظورة وطماري وبان وكوكب ، والسندية والدير وبابشري وباكوكا ، وباشهر والشريفة^(٥) . قال فلما بلغ بلغت المراسلة إلى الحر بن صالح ، أجاب وأطاع وكان يسكن بعاديا فأقبل إلى عياض بن غنم رضي الله عنه ، فأسلم على يديه ، وكتب لأهل بلاده عهداً ، وأمره أن يدعو أهل بلاده للإسلام ، ثم ارتحل عياض بن غنم إلى الجانب الغربي ونزل على بلد كان فيها (بديع القبطي) فأجاب صلحاً على ما تقرر بينهم . وارتحل عياض إلى أن نزل بالإسماعيليات^(٦) .

-
- (١) برقعيد : بلدة من أعمال الموصل من جهة نصيبين . / معجم البلدان ١/ ٣٨٣ .
 - (٢) ثمانين : قرية في طرف جبل الجودي / الإشارات إلى معرفة الزيارات / ٦٩ .
 - (٣) كواشي : هي قلعة أروشت قرب جزيرة ابن عمر شرق دجلة على جبل الجودي وهي حصينة / مراصد الاطلاع ١/ ٥٤ .
 - (٤) الزعفران : دير كبير حصين تحت قلعة كواشي / مراصد الاطلاع ٣/ ١١٨ .
 - (٥) انظر قلاع : قفيز ، دريش ، قلناس ، بلون ، أنشان ، اسطون ، ايدا ، وجل المنظورة ، طماري ، بان ، كوكب ، السندية ، الدير ، بابشري ، باكوما ، باشهر ، الشريفة . / في فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٣ .
 - (٦) انظر : فتوح الشام للواقدي ٢/ ١١٣ .

الفصل السادس

فتح الموصل والاسماعيليات ونينوى

وبعث عمرو بن جند الكندي في مائة فارس ليُغيّرَ على الموصل^(١) وأعمالها لأن أهلها ما أجابوا عياضاً من قبل ، فمضى ابن جند الكندي ، وكان يقال له : عمرو^(٢) ابن كندة فأغار على الموصل وكان فيها يومئذ فئتان أحدهما يقال لها : الجرامقة^(٣) والأخرى الفُرسُ ، فلما وقع الصائح بغارة عمرو بن جند ، خرجوا إليه وقاتلوه وانتزعوا الغنيمة من يده ، وقاتل حتى قتل ، ودفن بالجانب الغربي منها . ولما بلغ الخبر إلى عياض ، رحل من الإسماعيليات^(٤) ونزل على الموصل وخرج أهلها إلى لقائه بالعدد والسلاح ، فكبر عليهم خالد بعسكر الزحف فحطمهم حطماً ولم يكن عليها يومئذ سورٌ يمنعُ ، فأخذها بالسيف .

قال : ونظر إلى نينوى^(٥) فإذا هي مدينة آهلة قد أخذت السهل فقال :

-
- (١) الموصل : مدينة هامة في شمال العراق ومنها تقصد أذربيجان وخراسان . تقع على ضفة دجلة الغربية / بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٥ ومعجم البلدان ٥ / ٢٢٣ .
 - (٢) عمرو بن جند الكندي : لم أشر على ترجمة له .
 - (٣) الجرامقة : انظر ص ١٨٩ والقاموس المحيط مادة : جرامقة .
 - (٤) الاسماعيليات : حصون قريبة من الموصل / فتوح الشام للواقدي ٢ / ١١٣ .
 - (٥) نينوى : مدينة آشورية قديمة اندثرت وبادت . تقع شرق دجلة وقرب الموصل / بلدان الخلافة الشرقية ١١٦ / .

ما هذه فقليل : هذه نَيْنَوَى . قال : ولعلّ هذه بلد يُونُس^(١) ابن مَتَّى عليه السلام . قالوا : نعم . قال الواقدي رحمه الله : وكان يملكها الملك الأَنْطَاق بن جَارُود ابن شَلِيشَان . قال : فكاتبه عياض بن غنم . فأبى إلا الكفر ، فَفَقَدَ إليه الحرُّ^(٢) بن صالح يقول له : لئن لم تجب هؤلاء القوم إلى ما يريدون ، وإلا أَذَفْتُكَ شَرًّا ولا أترك لك عيشاً صافياً . فكتب يقول : أصالحكم ستة أشهر حتى أرى ما يؤول من أمر كسرى ، فأجابه المسلمون إلى ذلك وصالحوه على موجهها ومَرْجُها وقلاعها^(٣) . وهي : أَشْب^(٤) وقوسه والشعباني وشموس ، والعقر ومكاس وسلطون ويشتايد وشارخ وأما غيرها فمُحَدَّث مثل قلعة قَرْج وسِرْقَال ويَاهُو وكَرْبَاخ والجُدَيْدَى وقلعة هلال وشهروان والشُقُورَة ، وهِنْدَوَار ، وبُورِيَا وبِنَا مَسْتَى وبَاخُوخَا ومدرا وباكيره وبِدْيَانَس وبِرت والطُوطَال وقَرْجَمَالَس وسُورجَارَس وهو قصر الحَيَّات . فصالحهم عياض رضي الله عنه على ستة أشهر ، وكتب عياض رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يعلمه بما فتح الله على يديه كتاباً يقول فيه : « بسم^(٥) الله الرحمن الرحيم من عياض بن غنم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيّه . أما بعد فالحمد لله الذي أيّد الإسلام بنصره ، ودَحَضَ الشُّركَ بقهره فَللَّه المِنَّةُ على ما أُولَى وَمَنَعَ من الفتح ، وأزال وكشف ودفع وصَرَف من دفع عظامم ، وأخفر

(١) يونس ابن متى : هو النبي يونس الوارد ذكره في القرآن الكريم .

(٢) الحر ابن صالح : لم أعثر له على ترجمة .

(٣) انظر فتوح الشام للواقدي ١١٣/٢ .

(٤) انظر قلاع : أشب ، قوسه والشعباني ، شمس ، والعقر ومكاس وسلطون ويشستايد ، وشارخ ، قرج ، سرقال ، ياهو ، كرباخ ، الجديدي ، هلال ، شهروان الشقورة ، هندوار ، بوريا ، بنامستي ، باخوخا ، مدرا ، باكيره ، بديانس ، برت الطوطال ، قرجمالس ، سورجارس . / في فتوح الشام للواقدي ١١٣/٢ .

(٥) انظر : فتوح الشام للواقدي ١١٣/٢ .

غنائم ، حمداً يزيد الآمال انفساحاً ، والصُّدُور انشراحاً ، فقد لانت الشدة بعد صلابتها ، ورقت الأنام بعد قساوتها ، ويسر الله زوال البأس من ترويق الكأس ، وإني أوردت الأعداء موارد المهالك ، وضيق عليهم المسالك ، فارتبكوا في ديارهم واشتبكوا في وثاقهم ، ولم يجدوا في الأرض فتقاً ، ولا في السماء رتقاً ، واشتد بهم الفرق ، وأزعجهم القلق وحل بهم العقاب ، وعاجلهم العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب ، وإنهم احتالوا واغتالوا وداهنوا وأظهروا التَّنصُّل من الآثام والرُّجُوع إلى الإسلام ، والتوبة من الظلم الرُّجُوع إلى السَّلم ، فأقررناهم على ذلك بعد أن أشرفوا على المهالك ، فمنهم من أسلم وباع ومنهم من قام تحت الذمة وتابع ، وقد نشر الله أعلامنا ، وأعز ديننا . وقهر أعداءنا وشحد سُيوفنا ، وأعلى كلمتنا وأظهر شريعتنا ، وقد صرف عنا شرهم وأخمد نارهم ، وأزال نُصرتهم وكفى البلاد والعباد معرتهم ، والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته «^(١) .

وبعث الكتاب وخمس ما تحصل من ديار بكر من المال مع شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله ﷺ ، وضم إليه مائة فارس ، وتسلم المال والكتاب ، وأمره بالمسير فسار شرحبيل إلى المدينة ، وبعد أيام وصل من العراق عامر بن مزينة^(٢) رسولاً من سعد بن أبي^(٣) وقاص يستنجد بعباض على كسرى بن هرمز وهذا ما كان من فتوح ديار بكر وديار مضر وبلاد ربيعة على التمام والكمال ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان ، وصلى الله على سيدنا محمد ولد عدنان وسلّم .

- انتهى -

-
- (١) فتوح الشام للواقدي ١١٣/٢ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣٣/٢ .
(٢) عامر ابن مزينة : عامر المزني ، أسد الغابة ٩٥/٣ .
(٣) سعد بن أبي وقاص : انظر : سير أعلام النبلاء ٩٢/١ .

فهرس الفهارس

| الصفحة | الفهرس |
|--------|------------------------------|
| ٢٤١ | فهرس الكتاب |
| ٢٤٣ | فهرس الآيات القرآنية |
| ٢٤٩ | فهرس الأحاديث الشريفة |
| ٢٥١ | فهرس الأعلام |
| ٢٦٣ | فهرس الأماكن والبلدان |
| ٢٧٠ | فهرس القبائل والطوائف والأمم |
| ٢٧٤ | فهرس الأشعار |
| ٢٧٥ | فهرس المصادر |

فهرس الكتاب

الصفحة

| | |
|-----------|--|
| ٥ | مقدمة التحقيق |
| ١٥ | ترجمة المؤلف |
| ٢٩ | - الفصل الأول : فتح أرض الخابور |
| ٣٢ | ١ - فتح الرقة |
| ٣٣ | ٢ - فتح القلعتين زبا وزلايا |
| ٥١ | ٣ - فتح قرقيسياء |
| ٧٥ | ٤ - فتح ماكسين والسمانية |
| ٧٧ | - الفصل الثاني : فتح ديار ريمة |
| ٧٧ | ١ - فتح قلعة ماردين |
| ١٠٠ | ٢ - فتح حران والرها |
| ١٠٤ | ٣ - فتح مدينة رأس العين (عين وردة) وملحقاتها |
| ١١٦ | أ - فتح كفرتونا |
| ١١٩ | ب - معركة مرج رعيان |
| ١٣٩ | ث - حصار رأس العين |
| ١٥٨ | ٤ - فتح دارا |
| ١٥٩ | ٥ - فتح بيرحاء وباعما ونصيبين |
| ١٦٣ | - الفصل الثالث : فتح ديار بكر |
| ١٨١ ، ١٦٣ | ١ - حصار مدينة آمد وفتحها |
| ١٧١ | ٢ - فتح ميفارقين |
| ١٨٧ | ٣ - فتح الحصون |
| ١٨٨ | ٤ - فتح الهناخ |
| ١٩٧ | ٥ - فتح حصن لغوب |
| ٢٠٨ | ٦ - فتح اسعرد وبهمرد |
| ٢١١ | - الفصل الرابع : فتح بلاد أرمينية |

الصفحة

- ٢١١ ١ - فتح بلبس وأرزن .
- ٢١٨ ٢ - فتح أرمينية وأحلاط وقف وانظر
- الفصل الخامس :
- ٢٣٤ - فتح حصون ابن عمر وجبل مارون وشرق دجلة
- الفصل السادس :
- ٢٣٦ - فتح الموصل والإسماعيليات ونيوى

فهرس الآيات القرآنية

| رقم الآية | الآية | رقم الصفحة |
|-----------|---|------------|
| | سورة البقرة (٢) | |
| ١٥٦ | الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله ... | ١٤٢ |
| ٢٤٩ | كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ... | ١٤٦ |
| ٢٥٩ | أنى يحيى هذه الله بعد موتها ... | ١٥٩ |
| ٢٥٩ | ليثت يوماً أو بعض يوم . قال : بل ليثت | ١٦٠ |
| ٢٥٦ | لا إكراه في الدين ... | ١٦٨ |
| ٣٤ | وكان من الكافرين | ١٧٣ |
| ١٩٥ | ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة | ١٩٨ |
| ٢٣٨ | حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى | ٩٤ |
| ١٩٧ | وتزودوا فإن خير الزاد التقوى | ١٢٦، ٥٧ |
| ٢٢٢ | إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين | ٢١٨ |
| | سورة آل عمران (٣) | |
| ١٦٩ | ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء | ١٤١، ٦٢ |
| ١١٠ | كنتم خير أمة أخرجت للناس | ١٤٥، ٦٠ |
| ١٧٥ | فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين | ١٧٣، ١٤٦ |
| ١٥٩ | وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله | ١٤٧ |
| ٢٠٠ | يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا | ١٩١ |
| ١٠٢ | يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته | ١٩٢ |
| ٦٧ | ما كان لإبراهيم يهودياً ولا نصرانياً | ١٣١ |
| ١٧ | الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ... | ٤١ |

| رقم الآية | الآية | رقم الصفحة |
|-----------|---|---------------|
| | سورة النساء (٤) | |
| ١١٠ | ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً | ٦٠ |
| ٧٨ | أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة | ١٤١ |
| ٤٧ | وكان أمر الله مفعولاً | ١٦٧ |
| ٨٦ | وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها | ٢٠٥ |
| | سورة المائدة (٥) | |
| ٩٠ | يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ... | ٢١٧ |
| ٣ | اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي | ١٣١ |
| ٥٤ | يحبهم ويحبونه ... | ١٥٣ |
| ١١٦ | وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس ... | ١٧٤ |
| | سورة الأنعام (٦) | |
| ١٤٧ | ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين | ٩٠ |
| | سورة الأعراف (٧) | |
| ١٤٣ | لمن تراني ... | ٦٠ |
| ٤٩ | ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون | ٦٢ |
| ٢٨ | إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده | ٦٥ |
| | سورة الأنفال (٨) | |
| ٤٠ | أنت نعم المولى ونعم النصير | ١١٩ |
| | سورة التوبة (٩) | |
| ١١١ | إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة | ٢٢٩، ١٨٢، ١١١ |
| ١٠٢ | وآخرون اعتزفوا بذنوبهم وخلفوا عملاً صالحاً | ١١٤ |
| ٧٣ | يا أيها النبي جاهد الكفار ... | ٥٩ |
| | سورة يونس (١٠) | |
| ٨١ | إن الله لا يصلح عمل المفسدين | ١٩٣، ٩٢ |

| رقم الآية | الآية | رقم الصفحة |
|-----------|---|------------|
| | سورة هود (١١) | |
| ٤٤ | وقيل بعداً للقوم الظالمين | ١٤٣ |
| ٨٣ | وما هي من الظالمين يبعد | ١٢١ |
| | سورة الرعد (١٣) | |
| ٢٤ | سلام عليكم بما صيرتم فنعمر عيسى النار | ١١٤ |
| | سورة إبراهيم (١٤) | |
| ٣٠ | قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار | ١٤٤ |
| | سورة الحجر (١٥) | |
| ٢ | وبما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين | ١٤٥ |
| | سورة النحل (١٦) | |
| ٥١ | لا تتخذوا إلهين اثنين | ١٣١ |
| | سورة الإسراء (١٧) | |
| ٧٩ | عسى أن يعطك ربك مقاماً محموداً | ٦٠ |
| | سورة الكهف (١٨) | |
| ١٠٧ | كانت لهم جنات الفردوس نزلاً | ١٢٦ |
| ٤٥ | فأصبح هشيماً تذروه الرياح | ١١٣ |
| | سورة مريم (١٩) | |
| ٣٩ | إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً | ١٧٥ |
| ٢٤ | فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريباً | ١٧٥ |
| ٣٣ | والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً | ١٧٥ |
| | سورة طه (٢٠) | |
| ٢٥ | رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري | ٦٠ |
| ٥ | ومن على العرش استوى | ٥٣ |
| ١٢ | وعصى آدم ربه فغوى | ١٧٤ |
| ١٢٢ | ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي | ١٧٤ |

| رقم الآية | الآية | رقم الصفحة |
|-----------|---|---------------|
| | سورة الأنبياء (٢١) | |
| ٨ | وما جعلناهم حسداً لا يأكلون الطعام | ٢٨١ |
| ١٠٥ | إن الأرض يرثها عبادي الصالحون | ٦٥ |
| | سورة الحج (٢٢) | |
| ٧٨ | وما جعل عليكم في الدين من حرج | ١٣١ |
| | سورة النور (٢٤) | |
| ٣٠ | قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم | ١٩٠ |
| | سورة الفرقان (٢٥) | |
| ٤٥ | ألم تر إلى ربك | ٦٠ |
| | سورة الشعراء (٢٦) | |
| ٢١٤ | وأُنذِر عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ | ١٣٠ |
| | سورة النمل (٢٧) | |
| ٥٣ | فتلك بيوتهم محالوا بما ظلموا ... | ١٥٣ |
| | سورة الروم (٣٠) | |
| ٤٧ | وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ... | ٢٢٧، ١٦٨، ١٢٣ |
| | سورة السجدة (٣٢) | |
| ١٣ | لأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ | ٥٩ |
| ٤ | ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع | ١٥٢ |
| | سورة الأحزاب (٣٣) | |
| ٢٣ | فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر | ٢٠٧، ١٢٧ |
| ٢١ | لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة | ٢٣١ |
| ٢٣ | من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ... | ٥٧ |
| | سورة مائدة (٣٤) | |
| ١١ | إني بما تعملون بصير ... | ١٢٠ |
| | سورة يس (٣٦) | |
| ٤٠ | ولا الليل سابق النهار | ١٢١ |

| رقم الآية | الآية | رقم الصفحة |
|-----------|--|------------|
| ٢٧ | يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين | ٢٣١ |
| ٥٩ | وامتازوا اليوم أيها المجرمون | ١٤٤ |
| | سورة الصافات (٣٧) | |
| ٢٤ | وقفوههم إنهم مسؤولون | ١٤٤ |
| | سورة الزمر (٣٩) | |
| ٢٢ | أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه | ١٧٣ |
| ٥٣ | قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله | ١٣١ |
| | سورة غافر (٤٠) | |
| ٤٤ | إن الله بصير بالعباد | ٥٣ |
| ١٦ | لمن الملك اليوم لله الواحد القهار | ١٤٣ |
| ١٧ | لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب | ١٤٥، ١٤٤ |
| | سورة فصلت (٤١) | |
| ٣٠ | إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا | ١١٩ |
| | سورة الحجرات (٤٩) | |
| ١٣ | وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم | ٢١٥ |
| ١٣ | إن أكرمكم عند الله أتقاكم | ٢٠٥ |
| ١٠ | إنما المؤمنون إخوة | ٢٠٥ |
| | سورة الفتح (٤٨) | |
| ٢٩ | محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار... | ٥٧ |
| ٢ | ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر | ٥٩ |
| | سورة النجم (٥٣) | |
| ٣ | وما ينطق عن الهوى | ٦٥ |
| ٩ | قاب قوسين أو أدنى | ٥٩ |
| | سورة الطلاق (٦٥) | |
| ٣ | من يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره | ١٦٥ |
| ٢ | ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه... | ١٩١ |

| رقم الآية | الآية | رقم الصفحة |
|-----------|---|------------|
| ٤ | إِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ | ٤٠ |
| | سورة المرسلات (٧٧) | |
| ٣٨ | هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعًاكُمْ وَالْأُولَيْنِ | ١٤٤ |
| | سورة النبا (٧٨) | |
| ١٧ | إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا | ٤٥ |
| | سورة النازعات (٧٩) | |
| ٣٦ | وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ | ١٤٣ |
| | سورة الأعلى (٧٨) | |
| ١٤ | قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ | ٢١٧ |
| | سورة الضحى (٩٣) | |
| ٥ | وَلَسَوْفَ يَجْعَلُكَ رَبُّكَ فَرِحَىٰ | ١٤٤ |
| ٢ | وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ | ١٢٩ |
| | سورة الشرح (٩٤) | |
| ١ | أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ... | ٦٠ |
| | سورة العلق (٩٦) | |
| ١٩ | وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ | ٩٥ |

فهرس الأحاديث الشريفة

الصفحة

الحديث

(أ)

- أتاني جبريل عليه السلام ، فقال لي : يا محمد قم فاصنع مثل ما أصنع ٩٥
 إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ١٦٠
 اتقوا الله والصلاة وما ملكت أيمانكم ٩٦
 أركعت ؟ قم فاركع ركعتين ، فإن لكل شيء تحية ٢١٥
 ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ٢٠٦
 افشوا السلام بينكم وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام ٢٠٦
 إن رحمتها يرحمك الله ٢٠٦
 إن الله تبارك وتعالى أرحم بعباده من هذه بصيها ٢٠٦
 إن المؤمن إذا أصابه السقم ثم عوفي كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه ٢٢٧
 أيكم أصابته مصيبة فحرق جيباً حرق الله دينه ومن لطم خدأ ٢٣١
 اللهم أعطني كتابي يميني ولا تعطه بشمالي ٩٦

(ج)

- جميع المفروضات افترضها الله تعالى في الأرض إلا الصلاة ٩٥

(ح)

- الحكمة ضالة المؤمن ١٩٨

(ص)

- الصلاة صلة بين العبد وربه فيها إجابة الدعاء ٩٤

(ض)

- ضعهن ، فوضعهن ... لا تعجبوا لأم أفراخ لأفراخها ٢٢٨

(ف)

- فرضت علي الصلاة مثني مثني ٩٦

(ق)

٢٢٧ قم عنا فلست منا

(ك)

٢٠٥ كل شيء فضل إلا ظل بيت ، وحروف الخبز وثوباً

(ل)

٢٠٥ لا تنظروا إلى من هو فوقكم فتزدروا نعمة الله عليكم

٢٠٦ لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي

(م)

٢٠٧ مسكين مسكين رجل لا امرأة له ومسكينة ...

٩٦ مثل الصلوات الخمس مثل نهر عذب على باب أحدكم

٩٦ من حافظ على الصلوات الخمس بفرائضها وركوعها وسجودها ...

(هـ)

٥٨ هلمني للصلاة والاستغفار وطلب رضى العزيز الغفار

(ي)

٥٨ يا أيها المكتحلة بكحل الوسنت الغافلة عن موارد الهبات

٥٩ يا حميراء تذكرت حال العصاة من أمتي

فهرس الأعلام

حرف الألف

- أبو غمر بن بشار ٢٣٢
- أبو الهول دامس ٦٧
- أبو معشر ٢٤، ٢٥
- أبو عبيدة بن الجراح ٥، ٦، ٧، ١١، ١٢، ٣٠، ٣١، ٣٢، ١٠٧، ١٣٣، ٢٠٧
- أبو يعلى العبدى ٢٩
- ابن الأثير ٧
- ابن حوقل ٩
- ابن خرداذبة ٩
- ابن خلطون ١٠
- ابن شداد ١٠
- ابن سيد الناس ١٥
- ابن علكان ١٥
- ابن الفقيه الممداني ٨
- ابن المديني ١٨
- ابن رواحة ١٣١، ١٣٦، ٣٧
- ابن شاعر الكتي ٢١
- ابن كثير ٢٣، ٢٤
- ابن النديم ٢١
- ابن الصماد الحنطلى ٢١
- الأنطاق بن جارود ٢٣٧، ١٠٧
- إبراهيم الحربي ١٦، ١٧
- إبراهيم ٢٨، ٦٠، ٢١٦، ٢١٧، ١٣٠، ١٤٤، ١٣١
- إبراهيم بن اليسع ١٧٢
- أبان بن عثمان ١٣٦
- أبو الحسن أحمد بن الفضل ٢١٣
- أبو بكر الصديق ٢٢، ٥٧
- أبو ذر الفقاري ٢١٦، ٢٦٥، ١٣٦
- أبو بكر الضعاني ١٦
- أبو بكر بن أبي شيبة ١٦
- أبو إسحاق الممداني ٢٣٣
- أبو سليمان ١٢
- أبو زغبة العبدى ٨٥
- أبو عبد الله ١٩
- أبو عازم الخولاني ١٩٠
- أبو عمر ابن الجوني ٢١٣
- أبو عدي بن زياد ٦
- أبو عبيد القاسم بن سلام ١٦
- أبو محمد الفقيه القبلاعي ٢١٣

- إبليس ١٧٣، ١٧٤، ١٩٢، ٣٨
- أحمد بن محمد بن الفضل الأهوازي ٢١٣
- أحمد بن عامر الحوفي ٨٥
- أحمد ابن حنبل ١٦
- أحمد الثالث ١٢
- اخنوخ ٢١٦
- آدم ٣٨، ٢١٦، ١٧٣، ١٧٤، ١٩٢
- أحمد بن منصور الحشمي ٢٢٣
- أدريس ٢١٦
- إسماعيل بن قيس ٢٠٩
- إسلاخورس ابن ميخائيل ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ٢٢١
- إسحق ٣٨
- إسمائيل بن إسحق ٢٢٦
- أشعيا ٤٣، ١٥٩
- أرماتوسة ٤٣، ٧١، ٧٤، ٧٠، ٧٢، ٧٣
- أسد بن حامد ٥٥
- أرماتوس ٦٤
- أرزون الأرمني ٦٣
- أرجوك ٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢
- أرسسيوس بن جارش ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٦
- ٩٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣
- اسليط بن الهز بربيط ١٠٧
- أسامة بن عامر الكتندي ١٦٢، ١٣٧
- اسطنبول ١٦٤
- أكشفاط ابن مارية ٣٥، ٣٦، ٤١، ٤٢
- ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥١، ٦٦
- ارميا ١٥٩
- أرسالوس ١٤٨، ١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦
- أمية بن أصبهان ١١٩
- أمية بن كعب ١٣٦
- أمية بن بشر ٥٤
- أكفاس بن نيقولا ٨٧
- أنس بن جلهم ٨٧
- أفلح بن ساعدة ١٨٣، ٢٢٣
- أيوب (النبي) ٢٣١
حرف الباء
- بخت نصر ١٥٩
- بديع القبطي ٢٣٥
- بشر بن عامر ١٩٠
- بشر بن مروان ٨٧
- بكار بن عويمر ٥٥
- بولس ٤٤
- بوغور ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢
- ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨
- ١٥١، ١٥٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢١٣
- ٢١٤، ٢٢٣
- يادي بن مرة ١١٥
- بكار الزبيري ١٩
- بقرش بن أكشفاط ١٤٠
- البرنجم بن قالا ٢٢١
- بطرس ١٦٣، ١٦٥
- البلافري ٨، ١٧، ٢٣
- البغدادى ٢٠
- البعاري ١٦
- بحيرا ٤٣

حرف التاء

- توتا ٦٣، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٣

- توتا بن لورك ٥٦

- تالب بن قيس ٥٥

حرف الثاء

- ثمود ١٤٤

- ثور بن يزيد ١٨

حرف الجيم

- جريز بن ناسب الضميري ١٣٨

- جميل بن سعيد اللوسي ١٤٠، ١٤١، ١٤٢

- جابر بن مسيرة القرشي ١٥٥

- الجراح بن سلامة الأشعري ١٥٥

- جبريل عليه السلام ١٦٠ - ٩٥

- جهضم بن كلب الأيادي ٣٣

- جبلة بن الأيهم ٥٠، ٩٩

- جالوت ٢٠٨

- جريز بن حصين ٢٠٩

- جريز بن صاعد ٢٣٢

- جابر بن ياسر ٥٤

- جراح بن والله ٥٥

- جلدحة بن عوف ٥٥

- جريز بن عبد الله البجلي ٨٢

- جرحيس بن شعون ٨٧

حرف الحاء

- حبيب بن قارب ٥٤

- الحصن بن وائل ٥٥

- حماد بن عاصم ٥٥

- حزام بن عبد الله ٦٤، ٤٩

- الحز بن صالح ٧٣، ١٠٧، ٢٣٥، ٢٣٧

- حبيب بن صهبان ٨٥

- حارثة بن مرة ٨٧

- حرفتاس بن داداس ١٠٦

- حذيفة بن اليمان ١٨٧

- الحسين بن حميد بن الربيع ٢٢٠

- حازم بن معمر ٢٣٢

- الحارث بن زرارة ١٧١

- الحكم بن هشام ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥،

١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠

- حذيفة بن ثابت ١٨٢

- الحسن ٢٢

- الحسين ٢٢

- حمزة بن عقيل ٣١

- الحارث بن خزيمة ١٣٥

- حامد بن مزينة ١٣٥

- حمن الزبيدي ٩

- حبيب بن مسلمة الفهري ٧

- حفصة ١٢

- الحسن بن عثمان الزبادي ١٦

- الحافظ الدرلوردي ١٦

- حزقيال بن بازيا ١٥٩

حرف الخاء

- محالد بن الوليد ١٣٥، ١٣٦، ١٢٥، ١٤٦،

١٦٦، ١٦٧، ٢٢٤، ٢٢٩، ١٢٦، ١٨١،

| | |
|--------------------------------|-------------------------------------|
| ١٨٢، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٤، ١٢٧، | - رودس ١٥١ |
| ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٦ | - الربيع بن سليمان ١٧١ |
| - الخليل (إبراهيم) ٤٤ | - رويم بن قادم البشكري ١٥٦، ١٢٧ |
| - الأخوص بن عامر المزني ٥١ | - رفاعه بن قيس ٢٩ |
| - خطاب بن جابر ٨٣ | - رواحة بن عبد الله ٢٣٢ |
| - خرشلو بن ياكور ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢ | - الرازقي بن غانم ١٧١ |
| - خزعة بن عامر ١٢٧ | - ربيعة بن هشام ١٠٤ |
| - خالد بن بشار بن عدي ١٢٧ | - ربيعة بن عامر ١٢٢ |
| - حضرم بن يعشور الغزاري ١١٥ | - رواحة بن قيس ٦٨، ٧٢ |
| - خالد بن جعفر بن مرة ٦٨ | - رودس بن كيلوك ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٩٩، |
| - الخطيب البغدادي ١٥، ١٦ | ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥ |
| - خويلد ٦٣ | |

حرف الزاي

- زاهر بن قدامح ٥٤
- الأزور بن رياش ٥٥
- زهبان بن رقيم ٧٥
- الزهري ٨، ٢٤، ١٦
- زهرة بن مالك ٨٧
- زعفرة ١٠٦
- زائدة بن قدامة ٢٢٠
- الزركلي ٢١
- زياد بن الأسود اليربوعي ٥١
- زفر بن سعيد ١٣٦
- زعورة ١٦٣

حرف السين

- سعيد بن زيد ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦،
- ١٤٣، ١٤٦، ١٦٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ١٠٥،
- ١٢٩

حرف الدال

- دامس أبو الهول ١٣٣، ١٣٦، ١٥٨، ١٩٦
- دانيال ٣٦
- داود ٣٨، ١٨٥، ١٩٢
- درفشيل بن لاوز ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٢
- دوروس بن نقولا ٦٤
- دين ٧٨، ١٢٤
- الدقيل بن ميسور ٨٣
- الدارقطني ١٦

حرف اللال

- ذو الأذعار بن قيس ٣١

حرف الراء

- رافع بن طاعن ١٣٥
- رفاعه بن ماجد ١٢٨
- رافع بن خالد الدوسي ١٤٢

- سعيد بن زرارة ١٣٦
- سراقه بن زهير ١٢٧، ١٥٦
- سلامة بن الأحوص ١٥٨
- سليمان بن داود ١٦٨، ١٦، ٣٨
- سعد بن أبي وقاص ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨،
٢٣٨
- سهيل بن عدي ٦، ٧، ٣٢، ٣٣، ٤٧،
٥١، ٥٢، ٥٣، ٦٣، ٦٩، ٧١، ٧٤، ٧٥،
٨١، ٨٤، ٨٨
- سفيان الثوري
- سيف بن معمر التميمي ٢٩، ٤٨
- سليمان بن عوف ٢٩
- ساعدة بن قس الأيادي ٣١
- سلطان بن سارية الثعلبي ٣٣
- سوار بن زيد الأسلمي ٥٢
- سهل بن إساف ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦،
٥٧، ٦٠، ٦١
- سالف بن عاصف ٥٤
- سالم بن عبد الله اللوسي ٥٤
- سهل بن سعد ٢٣٢
- سلامة بن عدي ٢٣٢
- السموءل بن عادي ٢٣٤
- سهل بن ثابت ١٧١
- سلامة بن يعسوب ١٨٣
- سالم بن عدي ١٨٣، ١٩٦
- سرورند بن بولس ٢١٥، ٢١١
- سنان بن غاصب ٥٥
- سراقه بن دارم العنزي ٨٢
- سلامة بن عامر ٦٨، ٧٢
- الأسود بن قيس الهلالي ٦٨
- الأسود بن جعفر ٧٢
- سهيل بن المجاهد بن سعيد ٧٦
- سوار بن كثير ٧٧
- سعدان بن صاحب ٨٥
- سمرة بن محفل ٨٧
- سالم بن ربيعة اللوسي ١٠٠
- سرورند بن دلوك ١٠٦، ١٠٧، ١١٢
- سعد بن غنيم ١١٥
- سعد بن جامع ٥٤
- سنحاريب ١٥٩، ١٦٠
حرف الشين
- شامس ١٠١، ١٠٢
- شقرا ١٠٦
- الشريد بن ساعد ٥٤
- الشريد بن عاصم ٦٤
- شامى بن ميخائيل ٦٤
- الأشجع بن وائل ٦٤، ٤٩
- شرحيل بن كعب ٦٧، ٧٢، ٧٥
- الأشعث بن مالك بن أبي يحيى ١٨٩
- شرحيل بن حسنة ١٩٦، ٢٣٠، ٢٣٨
١٤٦، ١٤٧
- شيت ٢١٦
- الأشعث بن هلال ٢٠
- الأشعث بن عويلم المزني ٣٥

- شريحوب بن كيوان ٣٨، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥١
- الأشعث بن قيس ٧
- شيخ الربوة ١٠
- شهباض ابن فريتون ٨، ١١، ٣٢، ٣٥، ٤٣، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٦
- ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢، ٢١٣
- شهراريش ١٤٨
- شعيب ٢١٦
- حرف الصاد**
- صارم بن الأشعث ١٧٢
- صالح ٢١٦
- صالح بن عمران ٢٢٥
- الصلت بن مازن بن ربيعة ١٣٩
- صفورة ١٦٣، ١٦٥
- صاعد بن عيش ٥٥
- صارم بن أويس ٥٥
- صاعد بن عوف ٦١
- صفوان بن عامر ٦٣
- الصلت بن مجالد ٧٥
- صمصة بن صوحان العبدي ١٨٧
- حرف الضاد**
- ضرار بن الأزور ٣١، ١١٥، ١٢٢، ١٣٦
- ١٩٣، ١٩٦
- ضرار بن راشد ٥٥
- ضبة بن عدي الضبي ١٧٩، ١٨٠
- حرف الطاء**
- طلحة بن يعسوب ١٧٢
- طارون ابنه سطينوس ٢١٨، ٢١٩، ٢١٤
- ٢١٨، ٢٢٧، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨
- ٢٣٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٣٣، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١٥٨
- طلحة ٢٩
- طلحة بن الأشج ٣١
- طريف بن سهم ٤٨
- طرياطس ١٦٠-١٦١، ١٦٢، ٦٣
- طيماس بن أساوس ١٦٤
- طاهر بن سيد المسوعي ٨٥
- طلحة بن مليحة العشاري ٨٥
- الطوري ١١، ٢٣، ٢٤
- طلحة بن مقل ٨٧
- طالب بن زياد ٨٧
- طالوت ١١٤، ١١٥
- طاعن بن عمرو ٥٥
- حرف العين**
- عامر بن الجراح ٣٠
- عامر بن فهر ٣١
- عاصم بن عبد الله ٣٥
- عامر بن مزينة ٢٣٨
- عامر بن الأخص ١٨٢، ١١٥
- عاصم بن رواحة ١٢٨، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤
- ١٣٥، ١٤٣، ١٤٧

- عاصم بن ماهر ١٣٦
- عامر بن سراقه ١٢٢
- عبد الله ١٣٢، ١٧٧، ٢٣٣
- عبد الله بن عمر ١٣٥
- عبد الرحمن بن أبي بكر ١١٥، ١٩٣، ١٣٥
- عبد الرحمن بن خالد الأشقر ١١٨، ١٩٦، ٢١٨، ١٢٢
- عبد الرحمن بن خالد الأشقر ١٣٥
- عبد الرحمن بن عامر ١٣٥
- عباد بن بشر ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧
- عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ١٣٥
- عامر بن بشر ١٦٣
- عمار بن ياسر ١٩٦، ١٩٣، ١٣٥، ٣١
- عمرو بن معدى كرب ١٢٩، ١٠٣، ١٣٥
- عثمان ١٩٣، ٢١٨
- عمار بن أوس ١٣٥
- عبد الله بن قرط ١٣٨
- عبد الله بن عثمان ١٣٨
- عثمان ١٦٢، ٢٣
- عمران بن بشر ١٨٣
- عبد الملك بن عبد الله بن مالك السعدي ١٨٩
- عبد الله بن موسى ٢٠٩
- عبد الله بن محمد البصري ٢١٣
- عبد السلام بن حرب ٢٢٠
- عبد الرحمن بن عوف ٢٢٥
- عبد الله بن روجا ٢٢٦
- عبد الله بن سيرة ٢٣٢
- عبد العزيز بن عمر ٢٣٥
- عبد الله يوقا ٣٥، ٣٦، ٤١، ٤٢، ٤٤
- ٤٥، ١١، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥١، ٦٨، ٧٠
- ٧٢، ٧٣، ٧٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣
- ١٠٤، ١٠٥، ١١٨، ١٢٨، ١٩٧، ٢٠٧
- ١٥١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٤
- ٢١٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٣٢
- ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٥
- ١٣٦، ١٣٩، ١٥٨
- عبد الله بن عتيان بن وائل بن صعصعة بن النجار
- ٦، ٧، ٣٥، ٤٧، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٦٣
- ٦٩، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٧
- ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨
- عيد العزيز حروفش ١٤
- عيد الله بن المبارك ١٧
- عرفجة بن مازن العامري ١٥٨
- عبد الله بن جعفر الطيار ١٥٨
- عباس النوري ٢١
- عمرو بن عبد الله الهملاني ٢٤
- عبد العزيز بن سالم ٢٩
- عدلان بن غني الحازمي ٢٩
- عبد الله بن مسلم ٣٥
- عقبة بن كامل ١٧١
- عبد المسيح ١٧٤
- عفان بن حكيم ٢١٣
- علي بن عبد الحميد ٢١٣
- عمرو بن قيس ٢٣٣
- عقيل الجعدي ٢٣٣

١٢٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢١٨ ،

٢٣٧

- عياض بن غنم الفهري ٦٠ ، ٧٠ ، ٨٠ ،

١٠ ، ١٢ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ،

٣٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨١ ،

٨٣ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ،

١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٥ ،

١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،

١٤٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،

١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ،

١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،

١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ،

٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،

٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،

٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،

- عيسى ابن مريم ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ،

٢٠١ ، ٢١٦ ، ٢٨٠ ، ٩٥

- عمرو بن العاص ٣٠

- عمرو بن ربيعة ٣١

- عزيز (نبي) ١٥٩ ، ١٦٠

- عمرو بن حنيد الكندي ٢٣٦

حرف الغين

الغريد بن عاصم ٤٩

حرف الفاء

- فياض بن زيد ٥٥

- فديح بن ماجد ٥٥

- عطية بن سعد ٢٣٣ ، ٧٥

- عدي بن سالم الهلالي ٨٣

- عبد الله بن ورقة ٨٧

- عبادة بن الصامت ٨٧

- عمر بن قادم ٨٧

- عدي بن قاسط ٨٧

- عدنان ٢٣٨

- علقمة بن زياد ٨٧

- عبد الله بن أسيد الخولاني ١٠٠

- عبد الله بن يحيى التنوخي ١٠٤

- عبد الله بن عطية ١٠٤

- عينة بن رافع ١١٥

- عمرو بن سالم ١١٩

- عبد الرحمن الأشتر ١٢٢

- عبد الله بن يانس ١٤٨

- عبد الرحمن بن غنم ٢٣٠ ، ٢٣١

- عطف بن نعيم ٥٤

- عثمان بن عفان ٥٧

- علي بن أبي طالب ٥٧

- عائشة ٥٨

- عبد الرحمن بن النعمان ٦٣

- عبد الرحمن بن مالك الأشتر ٦٨ ، ٧٢ ، ٦٩

- عمودا ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ٨٩ ،

٩٠ ، ٩٧ ، ١٦٢

- العطر بن قاسم الهمداني ٨٧

- عمر بن الخطيب ٦٥ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ١٠ ، ١١ ،

١٢ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٤ ، ٨٥ ،

- الفواد سزكين ١٢، ١٣

- الفريخ بن مقبله ٥٥

- المرتيمشوش ١٣٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٢٧،

١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ٥٨

- المقداد بن الأسود ١٣٥، ١٩٣، ٣١، ٣٤،

٧٢، ١١٥

- مرة بن خلان ١٣٥

- معقب بن أسيد ١٣٥

- مثنى بن سلمة ١٣٦

- معاذ بن جبل ١٣٦، ١٦٦، ١٨٧، ٢٣٠،

- المرقال بن سارية ١٣٦

- معمر بن الجوني النبهاني ١٤٢، ٢٩

- مارية ابنة أرسيموس ١٥١، ٧٧، ٨٦، ٨٩،

٩٠، ١١٠، ١٦٢، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٨٨،

٩٤، ٩٦، ٩٨

- ميشا بن عبد المسيح ١٥١، ٩٤، ٩٥، ٩٧،

٩٨، ١١٦، ١١٤، ١١٥، ٥٨

- مرطاون بن جرجس ١٦٣

- مريم ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٤، ١٧٥،

١٨٤

- محمد بن أحمد بن النضر الأزدي ٢٢٠

- معاوية بن عمرو ٢٢٠

- مالك بن إسماعيل النهدي ٢٢٠

- مارون ٢٢٤، ٢٢٦

- المرقال بن الأكرع ٢٣٢

- مصعب بن ثابت ٢٣٢

- موسى بن سالم ٢٣٣

حرف القاف

- القعقاع بن عمرو التميمي ٦، ٦٠، ٧

- قدامة بن جعفر ٩

- قسطنطين بن هرقل ١٢٨، ١٦٤، ٦٥

- قيصر ٦٥، ١٧٢، ٢٠٠

- قاطر بن عويلد ٥٥

- قدامة بن حنظلة ٥٥

- قارب ابن الأصم ٤٩، ٦٤

- قيس بن أبي حازم البجلي ٧٦

- قوما ٧٨

- قيس بن عجلان ٨٧

- قرياقس ٤٣، ٤٦، ٩٣

- القعقاع بن أسيد ١٧٢

- قيس بن هيرة المازني ١٩٠، ١٩١، ١٩٣،

١٩٦، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٨

حرف الكاف

- كسرى ٦٥، ٢٠٠، ٢٣٤، ١٥١، ١٧٢،

٢٣٨، ٢٣٧

- الكليم ٤٤

- كيوك ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤

- كلحرجي ١١٧، ١١٨

- كرن بن الأصغر ١٦٤

- الكامل بن بجر ٧٧

حرف الميم

- محمد (النسي) ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٨،

١٣٠، ١٣٢، ١٦٧، ٢٣٨، ١٧٤، ١٧٥،

١٧٦، ١٨٠، ٣٠، ٥٧، ٨٨، ٩٠، ٩٥

- ماجد بن طلحة ١٨٣
- مالك بن حفص ١٨٣
- المثنى بن عاصم ١٨٣
- موسى بن عبد ربه ١٨٩
- ميسرة بن مسروق ١٩٠، ١٩٣
- المسيب بن نجبة ١٩٣، ٢١٨
- معاذ بن جبل ١٩٦، ٢١٨
- مبارك بن فضالة ٢١٣
- موسى (الني) ٢١٦، ٢١٧، ٣٨
- محمد بن يونس ٢٠٩
- موجانوسة ابنة حرفتاس ٢٠٨
- مرهف بن واقد ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤
- مروة ابنة أرمويل ١٨٨، ١٨٩، ١٩٣، ٢٠٧
- موسى بن عامر ١٧١، ٢٩
- المأمون ٢٠، ٢١
- المهدي ٢٠
- محمد بن سماعة التميمي ٢١
- موسى بن عطية ٢٤، ٢٥
- معمر بن راشد ٢٤، ٢٥
- محمد بن عبد الله بن أبي شبرة ٢٤
- المهلب ٢٩
- مريخنا ٤٢
- محمد بن أبي النقيلي بن ميسور ٤٨
- ميسرة بن عاصم ٤٩
- محمد بن عمر الواقدي ٨٥
- مالك بن سعيد ٨٧
- مسمار بن سلعة ٨٧
- المرقال بن هاشم ٨٧
- مرقس ٩١
- موش ابن اسليط ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٣، ١١٥
- ماهان ١١٠
- معمر بن ماجد ١١٥
- مريم ١٢٠
- مرداس بن إدريس ١٨٧
- معمر ابن السليط ٥٤
- ماجد بن بشر
- المسيب بن خالد ٥٤
- ميلاس بن عامر ٥٥
- محكم بن قادح ٥٥
- ميسرة بن عامر ٦٤
- المقداد بن عمرو ٦٧
- مالك بن نوبة ٦٨
- المنذر بن عاصم ٧١
- مسلمة بن عبد الملك ٧٦
- المثنى بن عامر ٧٧
- محمد بن إسحق ٥، ١٠، ١٦، ١٨، ٢٣، ٢٤، ٣٥
- محمد بن عمر الواقدي ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٤٥، ٥١، ٥٥، ٥٧، ٦٠
- مروان ابن محمد الأموي ١٥
- محمد بن سعد ١٥، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٧

- محمد بن شجاع الثلجي ١٦
- محمد بن سلام الجمحي ١٦
- مصعب الزهيري ١٦، ١٧
- مجاهد بن موسى ١٦
- مالك بن أنس ١٨، ٢٤، ٢٥
حرف النون
- النعمان بن المنذر الغساني ٨، ٣١، ٦٧، ٦٩
١٣٥، ٧٠، ٧٢
- النسائي ١٦
- نجيح بن عبد الرحمن السندي ٢٥
- نوح (النبي) ٣٨، ٢١٦، ١٤٤
- نوفل بن مازن ٤٩، ٥٣، ٥٤، ٥٦
- نوفل بن عامر ٥٤
- نسطورس ٢٢٠
- نعمان بن عامر ١٧٢
- ناطلون بن كيفا ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤
- نوفل بن عبد الله بن يحيى ١٦٣
- نوفل بن عزعل ٥٥
- نوفل بن كثير ٦٧، ٧٢
- ناجك ٧٨
- نقيطا بن عيربوش ١٢٧
- ناسب بن وضاح الذيباني ١٢٦
- النعمان بن المقرن ١٨٧
- نجية بن سعيد الفاري ٨٢، ٨٣
حرف الهاء
- هلال بن مجيد ٨٧
- هريل مكين ٩٩
- هلال بن عامر ١١٥
- هرقل ٦٥، ٧٨، ١١٠، ١٦٨
- همام بن الحرث ٦٨، ٧٢، ١٨١، ٢٠٨
٢١١، ٢٢٨
- الهيثم ٦٨
- هود ١٤٤، ٢١٦
- هارون بن معروف ٢٢٥
- هبيرة بن مكشوح ٣٣
- هلال بن عاصم ٥٢
- هارون الرشيد ١٨، ١٩، ٢٠
حرف الواو
- وهبان بن هارون الصرغيني ٢٩
- ورقة بن الصامت الهذلي ٣٧، ٣٨، ٤١
- وهبان بن بشر الصرغيني ٨٥
- ورنك الأرمني ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٦
- الوليد بن عقبة بن أبي معيط ٦، ٧، ٦٤
حرف الهاء
- يوسف بن عبد الرزاق ٧٧
- يحيى بن سعيد المروزي ٨٥
- يوحنا المعمدان ٩١، ١٢٠، ١٦٣، ١٦٥
٣٢
- يزيد بن أبي سفيان ١٣٥
- يوسطينوس ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٦
- يعقوب بن إسحاق ١٦٤
- يونس بن عبد الحميد ١٧١
- يونس بن متى ٢٣٧
- يحيى بن خويلد ٣٣٢

- يزيد بن عبد الله ٢٣٣
- يزيد بن موسى القرشي ٢٣٣
- يوسف بن خالد ٢٣٣
- اليسع بن خلف ١٧١
- يانس بن شليموش ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
- ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥
- يحيى بن خالد الترمكي ١٨ ، ١٩
- ياقوت الحموي ٢١ ، ٢٢
- يونس بن عبد الأعلى ٢٩
- يزيد بن أبي حبيب ٣٥
- يعقوب (النهي) ٣٨
- يوريك الأرمني ٥٠ ، ٥١
- يحيى بن جبر ٥٢
- يزيد بن أبي سفيان ١١
- يزيد بن هارون ١٦
- يعقوب بن أبي شيبة ١٨
- يعقوبي ١٢

فهرس الأماكن والبلدان

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| أرزن السروم ١٩٧، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٦، | (أ) |
| ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤ | أرزن ٨٠، ٣٠، ١٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٤، |
| ارعز ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢ | ٢٢٦ |
| أساح ٢٣٤ | أرجلس ١٠٦ |
| أبيرون ١٠٨ | أرجيش ١٠٧ |
| أطرابلس ٣٦، ٤٢ | أخلاط ١٠٦، ١٠٨، ١١٠، ٢١٠، ٢١٢، |
| (ب) | ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٣٣ |
| بايل ١٥٩ | أذريجان ٧٢، ٢٠٠ |
| باب التل ١٦٦ | أرض الروم ٦ |
| باتاساه ١٩٦، ١٩٩ | أرض الشام ٤٢ |
| باب الجبل ١٦٦، ١٨٤ | أرض مصر ٤٢ |
| باب يلبليس ٢١٩ | أرمينية ١٠٧، ١٨٩، ٢١٠، ١٠٩، ١٩٧، |
| باب الخابور ١٣٩، ١٥٩ | ٢١٨، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٣، ١٢ |
| باب دارا ١٦٢ | أكناس ١٠٥ |
| باب الروم ١٦٠، ١٦٢، ١٦٦ | أبلق الفرد ٢٣٤ |
| باب اسطاعرون ١٣٩ | آمد ٨، ١٠، ١٢، ٣٠، ١٦٢، ١٦٣، |
| باب مروان ١١٧ | ١٦٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٨، ١٨١، |
| باب السر ١٧٨ | ١٨٥، ١٩٦ |
| باب عمودا ٩٣ | أنطاكية ٤٢، ١٦٨ |
| باب الماء ١٦٦، ١٨١ | آكل ١٨٧ |
| باب مكينوس ١٣٩ | أقشاش ١٩٥، ١٩٦ |
| باب دنيسر ١١٧ | اسمرد ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢٣٤، |
| باب روما ٢١٩ | ١٠، ٣٠، ١٠٦ |

| | |
|--------------------------------------|-------------------------------|
| بيعة سرجى ٩٢ | بازبدي ٨ |
| بيعة كريان ٩٣ | البصرة ٢١٣ |
| بيعة كونا ٩٢ | بالس ٨، ٣٢، ٣٣، ٣٦ |
| بيعة ماريوش ٩٣ | برج الشاة ١٧٢ |
| بيعة الأنوار ٩٢ | باعربايا ٩ |
| بيعة يوحنا ٩٢، ٢١٣ | بحيرة وان ٢١٢ |
| بيعة مريم ٩٣ | بلد ٩ |
| بيعة صهيا ٩٣ | بحيرة أرجيش ٢٢٣ |
| بيعة نسطوريا ١٣٥، ١٣٦، ١٤٢، ١٥٢، ١٥٨ | بادية العرب ٢١٥ |
| بيعة ماجرجس ٤٣، ٤٦ | البارعة ٣٤، ٦٤، ٨٠، ٨٥ |
| بيعة قليان ٩٣ | بلاد الشام ٨، ٩، ١٥٩ |
| بيعة نسطور ٩٣ | البطحاء ٢١٣ |
| بيعة المعلمان ٩٣ | بغداد ١٩، ٢٠، ٢٩ |
| بيعة جرجين ١٠٥ | بلاد الروم ٧ |
| البيرة ١١٠، ١٢٨ | برج المنفر ٧١، ٧٣ |
| بيت المذبح ٩٨ | بحيرة طبرية ٣١ |
| بيرحاء ١٠٩، ١٦١ | بلميس ١٠٨، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠ |
| بيت المقدس ١٥٩، ١٦٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧ | ٢٠٨، ٢١١، ٢٢٦ |
| بعلبك ١٦٨ | اليديل ٥٢ |
| بيعة ماريا ١٧٢ | برقعيد ٢٣٥ |
| بيعة مرقوما ١٨٤ | بلاد كندة ١٣٣ |
| بيعة توما ١٨٧ | باعما ١٥٩، ١٦٠ |
| بهمرد ١٩٩، ٢٠٨ | بالوا ١٦٩ |
| بيعة يوحنا ٢٢١، ٢٢٣ | بهر قزوين ٢٠٠ |
| بوشاط ١٩٥، ١٩٦ | بلاد آشور ٢١٠ |
| (ث) | بلاد فارس ٢٠٠ |
| تبوك ١٧٠ | بيعة برسوما ٩٢ |
| تطوانة ٢١٢ | بيعة انطيسيس ٩٣ |
| تلمر ١٦٨ | بيعة الذعب ٩٣ |
| تقليس ١٠٧ | بيعة السينة ٩٢ |
| | بيعة باذا ٩٢ |

| | |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| الجرمق ٢٠٠ | تل أرجوك ٦٤ |
| جیلان ٢٠٠ | تل بسمی ٦٤ |
| الجلیة ٦، ٧ | تل توتا ٨٥ |
| (ح) | تل عرب ٥٠ |
| حاران ١٥١، ١٢٨، ١٣٢، ٧، ١٠، ٨٨، | تل القرع ٨٥، ٦٤ |
| ٩٠، ١٠٠، ١٠١، ١٠٥، ١١٠ | تل القباب ١٣٩ |
| حضر موت ١٣٣ | تل ماسح ٧٦ |
| حانی ١٦٩، ١٨٧ | تل الموزر ٥٠ |
| حلب ١١، ٣٠، ٣٦، ٤١، ٦٧، ٢٢٢ | تیماء ٢٣٤ |
| الحصن الجلید ١٨٨ | تل الرامب ١٧٨ |
| حصن لغوب ١٩٧ | تل الضبیین ١٧٩ |
| حیزان ١٩٩، ٢٠٨، ١٠٨، ١٠، ٣٠ | تکریت ٩ |
| حرزم ٢١٠ | تل موزن ١٢، ٣٤ |
| الحیثة ٢٢، ٢٥ | (ث) |
| الحدیبة ٥٦ | الشفور ١١ |
| حوقا ١٠٧ | ثمانین (قرية) ٢٣٥ |
| حمص ٥، ٦، ٧، ١٠، ١١، ١٢ | (ج) |
| الحجاز ١٥، ١٨، ٧١ | الجزيرة ٥، ٦، ٧، ٩، ١٠، ١٢، ٢٤، ٣٠، |
| حصن کیفا ١٠ | ١٢٤ |
| الحدیبة ٩ | جزيرة ابن عمر ١٠، ١٢، ٢٣٤، ٢٣٥ |
| حصن أرجلس ٨٧ | جسر منبج ١٠ |
| (خ) | جرجان ٢٠ |
| خراسان ٢٠، ٨٧، ٧٢ | جبل مارون ١٢، ٧٨، ٢٣٤ |
| الخابور ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ٢٩، ٥١، ٦٧، | جبل الجودي ٢٣٥ |
| ٧٠، ٧٦، ٧٧، ٨٥، ٩١، ١٠٦، ١١٠، | جملین ٨، ٣٣، ٣٤، ٦٤، ٧٠، ٨٠، ٨٥ |
| ١٥١ | جبل القبق ١٠٧ |
| خلاط ١١ | جبل السناسة ١٠٧، ١٠٨ |
| الخانوقة ٣٦ | جبال مهرة ١٣٣ |
| خوی ٢٢١، ٢٣٣ | جبل جور ١٧٠، ١٨٧ |
| الخضیرا ١٦٠ | جبل فنك ٢٤٣ |
| الخضراء ١٧١ | الجبايرة ١٨٧ |

(د)

دارا ٨، ٣٣، ٣٤، ٦٣، ٧٠، ١٥٨، ٩٣،

١٥٩، ١٦١، ١٦٣،

ديس ١٠

دجله ٩، ١٠، ١٢، ٢٩، ٨٥، ١٦٤،

١٧٢، ٢٣٤، ٢٣٥،

دب الكلاب ١٨٩، ١٩٦،

دار الخيزران ١٣٠

ديار ريعة ٩، ١٢، ٣٠، ٣١، ٤٨، ٦٣،

٧٧، ١٥٦، ٢٠٤، ٢٤٧، ٢١٤، ٢٢٠،

٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٩٠،

ديار مضر ١٠، ١٢، ٢٣٨،

ديار بكر ١٠، ١٣، ٣٠، ٣١، ١٥٧، ١٦١،

٧٧، ١٠٩، ٢٠٤، ١٦٢، ٢١٣، ١٩٠،

١٨٩، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٨،

دنيسر ٨٨

الدساكر ٦٩

دير حافر ٣٧

دير السكرة ٤٣

دير النذور ١٦٢

دير مريح ٤٩

دير مرييا ٤٩

دير منا ٥٨

دير ملوخ ٩٣

دير يعقوب ٩٣

الدير الكبير ٩٣

دير باب الروم ٩٣

دير القربان ٩٤

دير فرها ١٠١، ١٠٢، ١٠٣،

دير قرقوت ١٢٤

دير قنقرت ١٢٤

(ج)

ذات السلاسل ٣٧

ذو القرنين ١٧٠، ١٨٨،

(ب)

رأس العين ٨، ٩، ١١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥،

٤٨، ٤٩، ٥٦، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٧٠، ٧١،

٧٩، ٨٥، ٨٧، ٩٤، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٤،

١٠٩، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥،

١٣٩، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧،

١٥٨، ٢١٣،

رومية الكبرى ١٦٤

الرملة ٢٩

رشن ١١٥

الرها ٧، ٨، ١٠، ١٢، ٣٤، ٦٣، ٦٤،

٧٠، ٨٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥،

١٢٨، ١٥١،

الرقعة ٦، ٨، ١٠، ١٢، ١٩، ٢٠، ٣٢،

٣٣، ٣٤، ٣٧، ٦٣،

(ز)

زبا (قلعة) ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٤٦، ٤٧، ٥١،

٨٥

زلايا (قلعة) ٣٣، ٣٥، ٤١، ٤٩، ٨٥،

الزليخة ١٣٤

الزليخة ١٣٣

(س)

سروج ١٥١، ١٢٩، ١٠، ٧٠، ٨٤، ٨٧،

١٠٥، ١١٠،

سنتجار ٨، ١٥١،

سلواس ٢٢١، ٢٣٣،

سرنيقية ١٦٤

السيوان ١٨٨

| | |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| عابدين ٥٠ | سوقاريا ٢٠٨، ٢١١، ٢١٥ |
| عادياء ٢٣٥ | السن ٥٠ |
| عرفات ٥٩ | السويدا ١٧٠، ١٠٤، ١٠٠، ٥٠ |
| العقبة ٥٦ | السخن ١٠٥ |
| عقبة باقيا ٢٣٤ | سلياس ١٠٧ |
| العمق ٩٩، ١٠٥ | سميساط ١٣٣، ٩٩، ١٠، ٨ |
| عكة ٤٢ | الاسماعيليات ٢٣٦، ٢٣٥، ١٢ |
| عسقلان ١٧١ | (ش) |
| عيلام ٢٠٠ | السلام ٦، ١٢، ١٥، ٢٢، ٢٣، ٣٠، ٤١، |
| عمواس ٥ | ٤٤، ٩١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٤ |
| عمورية ١٦٤ | الشمسانية ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٧٥ |
| علوا ١٣٢ | شاقا ١٨٩ |
| عين وردة ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ٣٣، ٨٦، | الشمطاء ٢٣٤ |
| ١٥٤، ١٥٨، ٧٧، ١٢٧ | (ص) |
| عين النهبانية ٧٦ | صور ٣٦، ٤٢، ١٥١ |
| (ف) | الصخرة ١٧٤ |
| الفسرات ٩، ١٠، ٤٨، ٥١، ٥٢، ٦٧، | صفين ٢٢ |
| ١٠٠، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٥١ | الصُور ٥٢، ٨٥، ١١٤، ١١٥ |
| الفراض ٦ | (ط) |
| فلسطين ١٥٩ | طنزا ١٩٩، ٢٠٨ |
| الفرحوس ١٢٦ | طبرستان ٢٠٠ |
| (ق) | طور عبيدين ٢٠٨، ٨ |
| القاهرة ١٢ | طبرية ٣٢ |
| القادسية ٦٨، ٨٢ | طبرندة ٧٨ |
| قصر عمودا ٨٠ | (ع) |
| قف وانتظر ١٠٨، ٢١١، ٢١٢، ٢١٨، | العراق ٩، ١٠، ١٣، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، |
| قلعة المرأة ٧٧، ١٦٢، ١١٠، ٨٨، | ٢٣، ٢٥، ٣٢، ٣٣، ٧٨، ٩١، ١٥١، |
| قية السلسلة ١٧٤ | ١٥٩، ٢٣٣، ٢٣٨ |
| القسطنطينية ١٦٤ | عانة ٩ |
| قلب ١٨٨، ١٩١ | عرايان ٣٥، ٥٢، ٧٥ |
| قصر الحيات ٢٣٧ | |

قلعة الشقورة ٢٣٧

قلعة الشعباني ٢٣٧

قلعة طماري ٢٣٥

قلعة الطوطال ٢٣٧

قلعة العقر ٢٣٧

قلعة قرج ٢٣٧

قلعة قرجالس ٢٣٧

قلعة قفيز ٢٣٥

قلعة مكاس ٢٣٥

قلعة فوسه ٢٣٧

قلعة كرباخ ٢٣٧

قلعة كواشي ٢٣٥

قلعة كوكب ٢٣٥

قلعة ملرا ٢٣٧

قلعة مكاس ٢٣٧

قلعة المنظورة ٢٣٥

قلعة هنلوار ٢٣٧

قلعة هلال ٢٣٧

قلعة وجل ٢٣٥

قلعة ياهو ٢٣٧

قلعة يشتاود ٢٣٧

قردي ٨

قلعة يرقبوس ٢٢٣

(ك)

كفر توتسا ٨، ٣٤، ٦١، ٦٣، ٨١، ٨٥،

٨٨، ١١٦، ١١٧، ١٣٩، ١٥١، ١٥٨،

٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٣٣،

كنيسة دمائر ٩٢

كيفا ١٠٦

كنيسة مريم ١٦٠، ١٦١

قنسرين ٦، ٧، ١١، ١٢،

قرقيسيا ٨، ٩، ٣٥، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧،

٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٣، ٦٥، ٦٩، ٧٠،

٧٤، ٧١

قلعة أشب ٢٣٧

قلعة أبدا ٢٣٥

قلعة اسطون ٢٣٥

قلعة انشان ٢٣٥

قلعة بان ٢٣٥

قلعة بابشري ٢٣٥

قلعة باكوكا ٢٣٥

قلعة باشهر ٢٣٥

قلعة باكير ٢٣٧

قلعة باعوخا ٢٣٧

قلعة بنيانس ٢٣٧

قلعة برت ٢٣٧

قلعة بناسني ٢٣٧

قلعة بوريا ٢٣٧

قلعة بيلون ٢٣٥

قلعة الجديدي ٢٣٧

قلعة دريس ٢٣٥

قلعة الدير ٢٣٥

قلعة الزعفران ٢٣٥

قلعة سرقال ٢٣٧

قلعة سلطون ٢٣٧

قلعة سورجارس ٢٣٧

قلعة السندية ٢٣٥

قلعة الشريفة ١٣٥

قلعة شارخ ٢٣٧

قلعة شموس ٢٣٧

قلعة شهروان ٢٣٧

| | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| الميدان ١٩٧ | الكوفة ٨٢، ٧، ٦ |
| الأمصار ٨ | |
| مقابر الخيزران ٢٠ | (ل) |
| الموصل ١٢، ٧٢، ٧٩، ٢٠٠، ٢٣٦ | الليثي ٥٠، ٣٤ |
| الموزر ٦٣، ١٠٩ | (م) |
| مكة ١٨، ٢٥ | ساردين ٨، ٣٠، ٣٤، ٦٤، ٧٧، ٧٨، ٧٩، |
| ميفارفين ٨، ١٠، ٣٠، ١٠٦، ١١٠، ١٧٠، | ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٩، ١١٠، |
| ١٧١، ١٧٢، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٦، ١٩٧، | ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٥١، |
| ١٩٩ | ماكسين ٣٥، ٥٢، ٧٥ |
| ميدان الروم ٩٣ | مرج رعبان ٨، ١١، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، |
| المنشار ٩١ | ٩٠، ١٠١، ١١٥، ١١٩، ١٢٤، ١٢٦، |
| مناز كرد ١٠٧ | ١٣٣، ١٣٩، ١٥٦، |
| (ن) | ماجن ٥٢ |
| نصيبين ٦، ٨، ٩، ١٠، ٣٠، ٦٣، ٩٣، | مرج الطير ٧٧، ٧٨٥ |
| ١٠٠، ١٠٤، ١٠٩، ١٦٠، ١٦٢، | مرج الصور ١١١، ١١٢، |
| نهر السلسيل ٤٠ | ميرين ٧٧ |
| نهر الكوثر ٦٢ | المجدل ٣٥، ٤٩، ٧٥، ٧٦، ٧٧، |
| نهر البليخ ٧٥ | مرج وسطان ١١، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، |
| النقب ٤٩، ٧٧، ٨٤ | المحولة ٥٢ |
| نقبة ١٦٤ | محراب داود ١٧٤ |
| نينوى ٧٢، ١٦٠، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٧، | المرسينع ١٦ |
| نورس ١٨٧ | المسجد الحرام ١٧٥ |
| (هـ) | المسجد الأقصى ١٧٥ |
| | مسجد كننة ٩٣ |
| الهكارية ٧٣، ١٠٧ | المدينة ٦، ٧، ١٢، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، |
| المتاخ ١٠٩، ١٧٠، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، | ٢٠، ٢٠٨، ٢٣٨، |
| ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، | مصر ٣٠، ٣٢، ١٥١، ٢٠٤، |
| الأهواز ٢١٣ | منى ٥٩ |
| (ي) | المعدن ١٩٩، ١٠٨، ٢٠٨، |
| اليمانية ١٨٧ | معرين ٩٣، ١٦١، |
| اليمن ٧١ | مهد عيسى ١٧٤ |

فهرس القبائل والطوائف والأمم

| | |
|--------------------------------------|--------------------------------------|
| إياد ١٢٩، ١٣٢، ١٣٤ | (أ) |
| أولياء ١٤٥ | أبناء الصحابة ١٥، ١٦، ٢١ |
| إياد بن نزار ٦٤ | أبناء الشهداء ١٥، ١٦ |
| إياد الشمطاء ٣٣، ٤٩، ٥٣، ٦٤، ٦٥، ١٢٨ | آرامي ٢٠٠ |
| أموي ٢٤ | الروم ٥٠، ٧٤، ٨٠، ٩٠، ٣٦، ٣٧، ٦٤، ٦٥ |
| أهل اليمن ٢١٥ | ١٠١، ١٠٦، ١١١، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩ |
| البطارقة ٥٦، ٧٨، ٩٩، ١٠٤، ١١٨، ١٢٢ | ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٣، ١٥١ |
| ١٥٢، ١٥٤، ١٩١، ١٦٤، ١٧٤، ١٨٠ | ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٤، ١٦٥ |
| ٢٠٤، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢١٩ | ١٦٩، ١٧٥، ١٨٤، ١٩٩، ٢١٩، ٢٢٦ |
| الرومية ٣٦، ٢٢٠، ٢٣٢ | ٢٢٩ |
| الروحانيون ٣٨ | الرسول ﷺ ٢١، ٦٧، ٦٨، ٨٠، ١٠٤ |
| الراكعون ٤٠ | الإسلام ٤٤، ٤٧، ٧٤، ١٠٤، ١٠٥، ١٩٥ |
| الأرمن ٣٦، ٦٤، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣ | ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٤، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨ |
| ١١١، ١٣٥، ١٣٨، ١٩٥، ٢١٢، ٢١٩ | ١١٤، ١١٥ |
| ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٠ | أصحاب رسول الله ﷺ ٥١، ٧٤، ١٠٣ |
| الرهبان ٥٧، ٩١، ١١٩، ١٢٤، ١٥٢ | ١٠٥، ١٤٠، ١٤٥، ١٧٢، ١٧٣، ١٤٣ |
| ١٦٦، ٢٠٤، ٢١٤، ٢٢٦ | ١٧٨، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٣٢ |
| الأرمنيات ٢١٥ | ١٥٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٩٧ |
| الروميات ٢١٥ | أصحاب محمد ﷺ ٣٤، ٩٧، ١١٤، ١٩٠ |
| أزواج النبي ٢٢ | آل عمر ١٢ |
| الأسباط ٣٨ | أهل الجزيرة ١٥٨، ١٧٩، ٢٠٨، ٢٢٠ |
| أعراب المدينة ٢٠٦ | ٢٢١، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٨ |
| آل غسان ٥٠ | أهل ربيعة ٨٦ |
| أهل الشام ٣٢ | أولاد الأنبياء ١٥٩ |
| أمير المؤمنين ١٩، ٣٠، ٢٣٧ | أنمار ١٢٩ |

| | |
|----------------------------------|--|
| الأعراب ٢٣٠ | الحجّاب ٦٨ ، ١٥٢ ، ١٩٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ |
| الأمراء ١٠٩ | الحواريون ٨٦ ، ٨٩ |
| (ب) | الخور العين ٢٣١ |
| بنو أسلم ١٥ | (خ) |
| بنو سهم ١٥ | الخليفة ٢٠ |
| بنو هاشم ١٥ | الخزرج ٢٢ ، ٢٥ |
| بنو ربيعة بن مالك ٤٧ ، ٦٤ | (د) |
| بنو تغلب ٤٩ ، ٦٤ | دهاقنة ١٦٠ ، ٢٠٤ |
| بنو غسان ٦٤ | الديلم ٢٠٠ |
| البرامكة ٢٠ | (ر) |
| بنو النضير ٥٦ | رجال اليمن ١٢٤ |
| بنو عبد النار ١١٩ | رجال السند ١١ |
| بنو الأصغر ١٠٦ ، ١٢٢ ، ١٢٣ | رسول الله ﷺ ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، |
| باهلة ١٢١ | ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٧ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، |
| بجيلة ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٨٢ ، ١٤١ | ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، |
| بنو عددي ١٢٢ | ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، |
| بنو ضبه ١٧٩ | ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، |
| بنو إسرائيل ١٥٩ ، ١٧٧ ، ٢١٦ | ٢٣٨ |
| بنو ماء المعمودية ١٦٦ ، ٢٠٤ | ربيعة ١٢١ ، ١٢٩ |
| (ت) | ربيعة الفرس ١٨٩ |
| تغلب ٦ | (س) |
| تنوخ ٦ | السكاسك ٨٢ ، ١٢٢ ، ١٢٤ |
| الرك ٢٠٠ | السنانسة ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، |
| التابعون ١٥ ، ٢١ | سنيس ١٢٢ |
| (ث) | السكون ١٢٢ |
| ثعلبة ٦٤ | سريانيون ٢١٦ |
| (ج) | السودان ١٣٣ |
| الجاهلية ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٣٠ | (ش) |
| جيوش العرب ٥ | الشهداء ١٨ ، ٦٢ ، ٢٣١ |
| الجرامقة ٢٠٠ ، ٢٣٦ | الآشوريون ٧٢ |
| (ح) | الشماسة ٨١ |
| حمير ٨٢ | |

| | |
|------------------------------------|---------------------------------|
| القحطانية ١٢١ | شلمس ١٢٤، ٢١٤ |
| قياصرة ١٢٣، ١٤٣ | (ص) |
| قريش ١٣٩، ٢٢ | الأصنام ١٣٠ |
| قسلوسة ١٢٤، ١٦٦، ١٥٢، ٢٠٤، ٢١٤، | الصباغة ١٠ |
| ٢٢٦، ٨١، ١١٩ | الصحابـة ١٨، ٣١، ٩٦، ١٠٥، ١١٦، |
| الأقبال ١٨٤ | ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٢١، ٢٢٧، ٢١٨، ١٤٨، |
| قبيلة بني كلاب ١٨٧ | ١٢٥ |
| القبائل ٢٢، ٢٤ | صعاليك العرب ٦٧ |
| قبيلة كتلة ٩٣ | (ط) |
| (ك) | طبيء ١٢١ |
| كتلة ١٢١، ١٢٢، ١٦٢، ٨٢ | الطراحة ٢٠٤ |
| الاكتفاطية ١٤٠ | (ع) |
| الأكاسرة ١٤٣ | عمم الجزيرة ٧ |
| الكرج ٢٢١ | عرب الجزيرة ٧، ٤٩ |
| (م) | عاملة ١٢١، ١٢٢، ١٢٤ |
| ملوك الروم ٦، ١٠٣، ٢٢٣، ١٤٧، ١٥٢، | العرب ٥، ٦، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٧، ٤٨، |
| ١٥٧ | ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٧٣، ٨٠، ٨١، ٨٧، |
| المورخون ٥، ٨، ١٨ | ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١٦٦، ١٦٩، |
| المومنون ٣١، ٢٢٧، ١٢٣، ١٦٨، ١٨٥، | ١٧٥، ١٧٨، ١٨٩، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٢٤، |
| المجاهدون ٣١، ٢١٦ | ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٠١، ٢٠٤، ١٩٦، ١٣٢، |
| المنافقون ٣١، ٢٣١ | ١٥٥، ١٤٠ |
| المردة ٥٨ | الأعاجم ٢٠٠ |
| الملائكة ٣٩، ٤٠، ١٤٥، ١٧٥ | العوام ١٤٧، ١٥٣ |
| الموالي ٢١ | علماء الحديث ١٦ |
| المهاجرون ١٢٢، ١٥٨، ١٦١، ١٧٢، ١٩٠، | العجم ٩١ |
| الموحلون ١٢٢ | عيد الصليب ٤٣ |
| مطران الروم ١٢٤ | (ف) |
| مضر ١٢٩، ١٧٧ | فزارة ١٢٢ |
| معد بن عدنان ١٣٠ | الفرس ٢٣٦، ٧٨ |
| منحج ١٢٤ | الفقهاء ٢٢ |
| مراد ١٢٤ | (ق) |
| | قضاة ١٢١ |

| | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| الأقباء ١٣١، ١٤٣، ١٤٥، ١٥٩، ١٧٥، | مرة ١٢١، ١٢٢، ١٢٤ |
| ٢١٦ | المحمليون ٩٤ |
| نبي العرب ١٤٣، ٢٣٢، ٦، ١٨، | المماليك ١١٢ |
| نزار ١٢٩ | المرسلون ٢١٦ |
| النصرانية ١٦٦، ٢٠٤، ٤٣ | الأمراء ٢٢١ |
| النصارى ١٧١، ١٧٥، ١٨٠، ٤٤، ١٩٥، | ملك آشور ١٥٩ |
| ١٩٨ | ملوك الكفر ١٦٨ |
| الأنصار ٢٢، ١٢٢، ١٥٨، ١٦١، ١٧٢، | المسلمون ٥، ٦، ٩، ١١، ٣٤، ٤١، ٦٣، |
| ١٩٠ | ٧١، ٧٤، ٨١، ٨٨، ٩١، ١٠٥، ١١٤، |
| نمير ١٢٢ | ٩٢، ٩٤، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، |
| (هـ) | ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٢، |
| هلال النعم (قبيلة) ٨٣ | ١٥٤، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٣، |
| (و) | ١٧٥، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، |
| الأوس ٢٢، ٢٥ | ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، |
| الوثنية ٢٠٠ | ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٢٩، |
| ولد إسماعيل ١٣٠ | ٢٣٧ |
| الولاة ٢٢٣ | متصرة العرب ١٨٩ |
| (ي) | المسيح ١٠٧، ١١٠، ١١٤، ١٢٣، ١٥١، |
| اليمانية ١٨٧ | ١٦٦، ٢٠١، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٢٢، ٢٢٨، |
| اليهود ١٥٩، ٤٤ | (ن) |
| اليونان ١٤٨، ١٦٤ | نهد ١٢١ |

فهرس الأشعار

| الصفحة | الشاعر | بحره | قالبته | أول البيت |
|--------|------------------------|--------|----------|----------------------|
| ٤٨ | طريف بن سهم | الطويل | فاجر | أتينا إلى أرض الفرات |
| ٣٣ | سهيل بن عدي | الوافر | بالتلال | أعدنا الرقة البيضاء |
| ٧٦ | قيس بن أبي حازم البجلي | الطويل | بالقواضب | أقمنا منار الدين |
| ٨٤ | عالم بن الوليد | الطويل | المغالب | أنا عالم المقداد |
| ١٤٢ | جميل النوسي | الطويل | حماسي | أيا رافعا إلا حملت |
| ٥٧ | سهل بن إساف | الطويل | قصدا | رجال من الأحباب |
| ١٩٥ | عالم بن الوليد | الطويل | اليفاء | سيعلم هذا الجمع |
| ٢٠٧ | الواقدي | بسيط | عبادا | لله قوم إذا |
| ٧ | عياض بن غنم | الكامل | زجاج | من مبلغ الأقوام |
| ٧٠ | النعمان بن المنذر | الطويل | أسودها | وإنا لقوم في الحروب |
| ١٢٥ | عالم بن الوليد | الطويل | الرواسب | ونهمز جيش المشركين |

فهرس المصادر المذكورة في الحواشي

- البداية والنهاية ، لابن كثير ، مصورة الطبعة الأولى ، بيروت .
- الجرح والتعديل ، للرازي ط. دار الأمم ، بيروت (بلا تاريخ) وصورة حيدر آباد .
- الخراج ، لقدامة بن جعفر ، طبعة لندن ١٨٨٩م (مصورة) .
- الخراج ، لأبي يوسف / المطبعة الأموية ببولاق ١٣٠٢ (مصورة) .
- الروض الأنف ، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، ط. مصر ١٩١٤ (مصورة) .
- الروض المعطار في خبر الأقطار ، للحميري ، تحقيق : د. إحسان عباس ، ط. مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٥ م .
- أسد الغابة في أخبار الصحابة ، لابن الأثير ، مصر ١٢٨٠هـ .
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ، على هامش الإصابة ، ط. دار صادر - بيروت .
- السلوك : للمقرئزي / ط.د. زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٤ م .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر ، ط. دار الكتب العلمية بيروت (مصورة الطبعة المصرية) .
- الصحاح في اللغة والعلوم ، تقديم عبد الله العلايلي ، إعداد نديم مرعشلي ، دار الحضارة بيروت .
- الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ط. دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
- أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، للطباخ الحلبي ، ط. حلب ، دار القلم العربي ، ١٩٨٨ م .
- الأعلام الخطيرة ، لابن شداد ، تحقيق : د. سامي الدهان ، دمشق ١٩٦٢ م .
- الأعلام ، للزركلي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٩ م .
- العراق في العصر البويهي ، محمد حسن الزبيدي .
- العرب واليهود ، أحمد سوسة ، ط. بغداد .
- الفهرست ، لابن النديم ، ط. القاهرة ، ١٣٤٨هـ .
- القرآن الكريم .
- القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، تحقيق : نصر الموريني ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٩٥٢ م .
- الاكمال لابن ماكولا ، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي ، مصورة حيدر آباد ، الهند ، ١٩٦٢ م .
- اللباب في تهذيب الأنساب ، لابن الأثير ، ط. دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- اللؤلؤ المنتور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، حصص ١٩٥٦ م .
- المسالك والممالك ، لابن خرداذبة ، ط. بيروت . مصورة لندن .

- المسالك والممالك ، للاصطخري ، ط بيروت ، مصورة ليدن .
- المعجم الذهبي . د. محمد الترنجي ، ط الأتوار ، لبنان .
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بمصر ، بإشراف عبد السلام هارون (بلا تاريخ) .
- المعارف لابن قتيبة ، تحقيق : د. ثروت عكاشة ، ط. دار الكتب المصرية ، ١٩٦٠ م .
- المغازي ، للواقدي ، تحقيق : مارسدن جونز . ط. عالم الكتب ، بيروت (بلا تاريخ) .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ، تحقيق : محمد عبد القادر العطا وزميله ، ط. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢ م .
- النظم الاقطاعية ، د. إبراهيم طوقان ، ط. القاهرة .
- الوافي بالوفيات ، للصفدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ومطابع مختلفة .
- بلدان الخلافة الشرقية . كي لسرنج . ترجمة كوركيس عواد . ط. بغداد ١٩٥٤ م .
- تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان ، ترجمة د. عبد الحليم النجار . ط. دار المعارف ، مصر ١٩٧٧ م .
- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ط. المكتبة السلفية ، المدينة المنورة (بلا تاريخ) ط مصورة .
- تاريخ جرجان ، للسهمي ، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي ، ط عالم الكتب ، بيروت ١٩٨١ م .
- تاريخ الخميس ، حسين محمد الديار بكري ، ط. مصر ١٢٨٣ هـ .
- تاريخ دمشق ، لابن عساكر ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، ط. مجمع اللغة العربية بدمشق .
- تاريخ الدولة العربية ، عبد العزيز سالم ، ط. دار النهضة بيروت ١٩٧١ .
- تاريخ الأمم والملوك ، للطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ .
- تاريخ الفتوح ، لابن الأكم الكوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لسنة ١٩٨٦ م .
- التاريخ الكامل لابن الأثير ، ط. دار صادر ، بيروت ١٩٧٩ م .
- تاريخ مختصر الدول ، لابن العربي ، تحقيق : انطون صالحاني ، ط. دار الرائد اللبناني ١٩٨٣ م .
- تاريخ الموصل ، سعيد دوجي ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٢ م .
- تاريخ المنبجي ، محبوب بن قسطنطين ، تحقيق فاسيليف طبعة بطرسبورغ ١٩٠٨ (مصورة) .
- تاريخ يحيى بن معين ، تحقيق : عبد الله أحمد حسن ، دار العلم ، بيروت (مصورة) .
- تاريخ اليعقوبي ، أحمد اليعقوبي ، ط. التحف ١٣٥٨ هـ (مصورة) .
- تذكرة الحفاظ ، للذهبي ، تحقيق : عبد الرحمن المعلمي ، دار إحياء التراث ، بيروت (مصورة الهند) ١٩٨٧ .
- تقويم البلدان ، لأبي الفدا إسماعيل ، (مصورة عن مخطوطة الأحمديّة بالموصل) .
- تهذيب التهذيب لابن حجر ، دار صادر ، بيروت (بلا تاريخ) مصورة حيدر آباد بالهند .
- جمهرة النسب ، لابن الكلبي ، تحقيق : د. ناجي حسن ، ط. عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٦ .
- دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ١٥ مجلد تعريب محمد ثابت الفندي ورفاقه لسنة ١٩٣٣ م .

- الديارات للشابشي، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦.
- ذبول تاريخ الطبري، للقرطبي والهمداني والطبري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة ١٩٧٧ م.
- رحلة ابن بطوطة، ط. المطبعة الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣٢٦ هـ.
- رحلة ابن جبیر، تحقيق: د. حسين نصار، دار مصر للطباعة ١٩٥٥ م.
- زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، دمشق ١٩٥١ م (ط المعهد الفرنسي).
- رحلة سفرنامه، ناصر خسرو، ترجمة يحيى الخشاب.
- السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق السقا ورفاقه، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٥٥ م.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١ م.
- صبح الأعشى، للقلقشندي، ط. دار الكتب المصرية القاهرة (مصورة).
- صورة الأرض، لابن حوقل، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩ م.
- طبقات خليفة ابن خياط، تحقيق: د. أكرم العمري، ط. دار طيبة، الرياض ١٩٨٢ م.
- العبر وديوان المبتدأ والخير، عبد الرحمن ابن خلدون، ط. مصر ١٢٨٤ هـ.
- عيون الأثر، لابن سيد الناس، القاهرة (مصورة).
- فتوح البلدان، للبلاذري، ط. مصر (مصورة).
- فتوح الشام، للواقدي، دار إحياء التراث العربي بيروت (مصورة).
- كتاب الرها، ج. ب. سيفال ترجمه، يوسف جبرا، مطبعة الأديب دمشق ١٩٨٨، دار الرها للنشر.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الهندي، بيروت ١٨ مجلد.
- كشف الظنون، لحاجي خليفة، تحقيق بالتقاي وكليسي، ط. مكتبة المثنى، بيروت (بلا تاريخ).
- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، تحقيق مجموعة من الأساتذة، ط. دار الفكر بدمشق ١٩٨٤ م.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، ط. دار صادر، بيروت ١٩٧٧ م.
- معجم ما استعجم، للبكري، تحقيق: مصطفى السقا، ط. دار الكتب، بيروت ١٩٨٣ (مصورة).
- معجم قبائل العرب، كحالة، بيروت ١٩٦٨.
- معجم المؤلفين، كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٥٧ م.
- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: محمد علي الكبير ورفاقه، ط. دار المعارف، القاهرة ١٩٨١ م.
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، ط. مؤسسة الأعلمي، بيروت (مصورة عن ط الهند) ١٩٧٠.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، ط. مصر ١٩٢٣ (مصورة عن ط الهند).
- مختصر كتاب البلدان، لابن الفقيه الهمداني، طبعة ليدن ١٩٦٧ م (مصورة).

- مروج الذهب ، للمسعودي ، تحقيق : شارل بلا ، ط الجامعة اللبنانية ١٩٦٥ .
- مختار الصحاح ، لزين الدين محمد بن أبي بكر الرازي ، تحقيق حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٢ .
- مراصد الاطلاع ، عبد المؤمن ابن عبد الحق ، تحقيق : البحاري دار إحياء الكتب العربية مصر ١٩٥٤ .
- معجم الحضارات السامية ، هنري عبودي ، جروس برس ، لبنان لسنة ١٩٨٨ .
- نخبة الدهر ، شيخ الربوة ، محمد بن أبي طالب (مصورة عن الأوروبية) .
- وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، تحقيق : د. إحسان عباس ، ط . دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ م .

كتب للمحقق

- تحفة الأنام لابن الإمام البصري
- تاريخ فتوح الجزيرة والخابور ويار بكر والعراق للواقدي

* * *